

كتاب الأغازي

للإمام الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي عشر

دار طاهر

بيروت

كتاب الأمازيغ

11

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

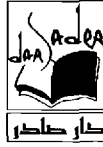
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص. ب. ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

Kitāb al-Aghānī I/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[173] - أخبار النابغة ونسبه¹

[نسبه]

النابغة اسمه زيادُ بن معاوية بن ضيَّاب بن جنَّاب بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر . ويكنى أبا أَمَامَة . وذكر أهل الرواية أنَّه إِنَّمَا لُقِّبَ النابغة لقوله :

فقد نَبَغْتُ لهم منَّا شوؤُنُ

[من الطبقة الأولى]

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

[سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبیب بن نصر المهلبیّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّه قال حدَّثنا أبو نُعَيْم قال حدَّثنا شريكٌ عن مُجاهِد عن الشَّعْبِيّ عن رِبْعِيّ بن حِرَاش قال : قال : عمر : يا معشر غَطَفَان ، مَنْ الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي
على خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبیب قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّه قال حدَّثنا عبِيد بن جنَّاد قال حدَّثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ عن جدّه عن الشَّعْبِيّ قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ النَّاسِ ؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قال : مَنْ الذي يقول : [من البسيط]

إلَّا سَلِيمَانَ إِذْ قَالَ لِلإِلهِ لَهُ
قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ²

وخيِّسَ الجِنَّ أَنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
يَنُونُ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمْدِ³

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي
على خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/157-173 وفي طبقات فحول الشعراء 1 : 51 والمؤتلف : 191 ، والخزانة 1 : 287 والكامل 2 : 67 وجمهرة ابن حزم : 241 ومختصر الجمهرة : 119 والموشح : 38 ، 39 وشرح نهج البلاغة 4 : 503 والزهر 2 : 483 .

2 فاحدها : فامعها . والفند : الخطأ .

3 الصَّفَّاح : حجارة دقاق عراض ، واحدها : صفحة .

قالوا : النابغة . قال : فَمَنْ الذي يقول :
 حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريةً وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ
 لكن كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً لمُبْلِغِك الواشي أغشُ وأكذبُ
 ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمهُ¹ على شَعْتِ أيُّ الرِّجالِ المهذبُ
 قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا
 عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال : ذُكر الشعرُ عند عمر ؛ ثم ذُكر مثله .
 [سئل ابن عباس عن شعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائني عن عبد الله بن الحسن
 عن عمر بن الحُبَاب عن أبي المؤمِّل قال : قام رجلٌ إلى ابن عباس فقال : أيُّ النَّاسِ أشعر ؟
 فقال ابن عباس : أخبره يا أبا الأسود الدؤلي ؛ قال الذي يقول : [من الطويل]

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنَّ المتأى عنك واسعُ

[تذاكروا شعره في مجلس الجنيد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن جرير بن شريك بن جرير بن
 عبد الله البجلي قال : كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه من
 الناس ، فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا² قوله : [من الطويل]

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنَّ المتأى عنك واسعُ

فقال شيخ من بني مرة : ما الذي رأى في النعمان حيث يقول له هذا ! وهل كان النعمان
 إلا على منظرٍ من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية فآكثروا . فنظر إلي الجنيد وقال : يا أبا
 خالد ؛ لا يهولنك قول هؤلاء الأعراب ! فأقسم بالله أن لو عاينوا من النعمان ما عاين
 صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

[يحكم بين الشعراء في عكاظ]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر
 العليمي قال حدثني عبد الملك بن قُريب³ قال : كان يُضرب للنابغة قُبَّةً من آدم بسوق عكاظ ،
 فتأتية الشعراء فتعرض عليه أشعارها . قال : وأول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم

1 لم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث : انتشار الأمر وفساده .

2 ل : أنشده .

3 اسم الأصمعي

أنشدته الشعراء ، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد : [من البسيط]
 وإن صخرًا لتأتُم الهدأة به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 فقال : والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفًا لقلت إنك أشعر الجن والإنس . فقام حسّان
 فقال : والله لأنّا أشعرُ منكَ ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا ابن أخي ، أنت لا تحسن أن
 تقول :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعٌ
 خطاطيفُ حُجْنٌ في جبالٍ مَينيةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ¹
 قال : فحنس² حسّان لقوله .

[جني يرى أن النابغة أشعر الناس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة
 قال حَدَّثَنَا الأصمعيّ قال حَدَّثَنَا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيته : بينا
 نحن نسير بين أنقاء³ من الأرض تذاكرنا الشعرَ ، فإذا راكبٌ أطيلس⁴ يقول : أشعرُ الناسِ
 زياد بن معاوية ؛ ثم تملّس⁵ فلم نره .
 [فضله أبو عمرو على زهير]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عمر قال حَدَّثَنَا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان
 ينبغي للنابغة إلا أن يكون زهيرٌ أجيراً له .
 [تفضيل عبد الملك له]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عمر قال عمرو بن المُتَشِير المُراديّ : وفَدْنَا على عبد الملك بن مروان
 فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ما كنتَ حَرِيّاً أن تفعل
 ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشام فقال : أَيْكُمْ يَرُوي من اعتذار النابغة إلى النعمان : [من الطويل]
 حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبيةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
 فلم يجد فيهم من يرويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أترويه ؟ قلت نعم ؛ فأنشدته القصيدة كلّها ؛
 فقال : هذا أشعر العرب .

- 1 الخطاطيف : جمع خُطاف . خطاف البئر : حديدة ، تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحداها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جوازب .
- 2 حنس : انقبض ، أو رجع وتحنى .
- 3 الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودة .
- 4 أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد .
- 5 تملّس : تملّص وأفلت .

[رأى حماد في شعره]

أخبرنا حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماد الراوية : بِمَ تَقَدَّمُ النَّابِغَةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله : [من الطويل]
 حلفتُ فلم أترك لنفسك ربيَّةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ
 [كُلُّ نَصْفٍ يُغْنِيكَ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَقَوْلُهُ : «أَيُّ الرَّجَالِ الْمَهْدَبُ» رِبْعُ بَيْتٍ يُغْنِيكَ عَنْ غَيْرِهِ] .

وهذه القصيدة العينية يقولها في النعمان بن المنذر يعتذر إليه بها وبعده قصائد قالها فيه تُذَكِّرُ فِي مَوَاضِعِهَا . ولقد اختلفت الرواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك .
 [وصفه لزوجة النعمان]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة وغيره من علمائهم : إن النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه ؛ فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيتها تشبيهاً بالفجاءة ، فسقط نصيفها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لبعالتها وغلظها ؛ فقال قصيدته التي أولها : [من الكامل]
 أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدِي عَجْلَانٌ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
 زَعَمَ الْبُورَاحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ تَتَعَابُ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ
 لَا مَرْحَبًا بَغْدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِيَّةِ فِي غَدٍ
 أَزْفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَسْرُلُ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدٍ
 فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمْتِكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبِكَ غَيْرَ أَنَّ لَمْ تُقْصِدِ¹
 بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ زَيْنَ نَحْرُهَا وَمُفْصَلٍ مِنْ لَوْلُوٍّ وَزَبْرَجِدٍ

عروضه من الكامل . وغناه أبو كامل من رواية حبش ثقيلاً أول بالبنصر . وغناه الغريض من روايته ثاني ثقيلاً بالوسطى . وغناه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى .

قوله : أَمِنْ آلِ مَيَّةَ : يخاطب نفسه كالمستثبت . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . والزاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم ورد تحية . والبوارح : ما جاء من ميامينك إلى مياسرك فولاك مياسره . والسائح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح ، وغيرهم من العرب تتشاءم بالسائح

1 تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

وتتيمّن بالبارح ؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً ؛ قال بعضهم : [من مجزوء الكامل]

ولقد غدوتُ وكنْتُ لا أَغْدُو على واقٍ وحائِمٍ¹
فإذا الأشائمُ كالأيامِ من والأيامِ نُ كالأشائمِ

وتنعبُ الغراب : صياحه ؛ يقال : نَعَبَ الغرابُ² يَنْعَبُ نَعْباً وَنَعْبَاناً ، والتنعبُ تَفَعَالٌ من هذا . وكان النابغة قال في هذا البيت : «وبذاك خَبَرْنَا الغُرابُ الأَسودُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعَهُ يُغْنَى فِيهِ ، فبان له الإقواء ، فغَيَّرَهُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ شِعْرِهِ .

[إقواء النابغة]

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي : قال أبو عبيدة : كان فَحْلَانِ مِنَ الشُّعْرَاءِ يُقْوِيَانِ : النابغة وبِشْرُ بْنُ أَبِي خازِمٍ . فَأَمَّا النابغةُ فَدَخَلَ يَثْرِبَ فَهَابُوهُ أَنْ يَقُولُوا لَهُ لِحْنَتَ وَأَكْفَأَتِ³ ، فَدَعَا قَيْنَةً وَأَمْرُوها أَنْ تَغْنِي فِي شِعْرِهِ فَفَعَلَتْ . فَلَمَّا سَمِعَ الغناءَ وَ«غَيْرَ مَزودٍ» وَ«الغرابُ الأَسودُ» وَبان له ذلك فِي اللحنِ فَطَنَ لِمَوْضِعِ الخَطَأِ فَلَمْ يَعُدْ . وَأَمَّا بِشْرُ بْنُ أَبِي خازِمٍ فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ سَوَادَةُ : إِنَّكَ تُقْوِي . قَالَ : وَمَا ذاك ؟ قَالَ : قَوْلُكَ : [من الوافر]

وَيُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُذامُ⁴

ثم قلت بعده «إلى البلد الشام» . ففطن فلم يعد .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا : كان النابغة يقول : إن في شعري لعاهة ما أقف عليها . فلما قدم المدينة غني في شعره ؛ فلما سمع قوله : «وأتقنتنا باليد» و«يكاد من اللطافة يعقد» تبين له لما مدت «باليد» فصارت الكسرة ياء ومدت «يعقد» فصارت الضمة كالواو ؛ ففطن بغيره وجعله : [من الكامل]

عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقِدْ

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وَفِي شِعْرِي بَعْضُ العاهة⁵ ، فَصَدَرَتْ عَنْهَا وَأَنَا أَشْعُرُ النَّاسِ . وَقَوْلُهُ لَا مَرْحَبًا : لَا سَعَةَ ؛ وَنَصْبُهُ هَاهُنَا شَبِيهُ بِالْمَصْدَرِ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ لَا رَحْبَ رُحْبًا وَلَا أَهْلَ أَهْلًا . وَأَزِفَ : قَرَبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرّدة وسرّها وجهها

1 الواقى هنا : الصرد وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تنظير بصوته . والخاتم هنا : الغراب الأسود .

2 ل : الغداف .

3 الإكفاء والإقواء من عيوب القافية .

4 وصدر البيت : ألم تر أن طول الدهر يسلي .

5 ل : الفهدة .

بذراعها :

[من الكامل]

صوت

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فتناولته وَاَتَقَتْنَا بِالْيَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ
ويفاحم رَجُلِي أَثِيثَ نَبْتِهِ كالكَرْمِ مَالٍ عَلَى الدِّعَامِ الْمُسْنَدِ
نظرت إليك بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ الْعُودِ

غناه ابن سُرَيْجٍ ، ولحنه من خَفِيفِ التَّقِيلِ الأوَّلِ بالوسطى عن عمرو . والنَّصِيفُ :
الخِمارُ ، والجمع أَنْصِيفَةٌ وَنُصْفٌ . وَالْعَنَمُ ، فيما ذكر أبو عُبيدة ، يَسَارِيعٌ¹ حُمْرٌ تكون في
البقل في الربيع . وقال الأصمعي : العَنَمُ : شجرٌ يَحْمَرُّ وَيَنْعَمُ² نَبْتُهُ . والفاحم : الشديد
السواد . والرَّجُلُ : الذي ليس بجَعْدٍ . والأثيثُ : المتكاثفُ ؛ قال امرؤ القيس : [من الطويل]
أَثِيثٌ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَنِّكِلِ³

ويقال : شَعْرٌ رَجُلٌ وَرَجُلٌ . وَيُرْوَى :

ورنت إليَّ بمقلتي مكحولة

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضِهَا : يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة
أهلها ، فهي كالسَّقِيمِ الذي ينظر إلى مَنْ يعودُه .

غناه ابن سُرَيْجٍ خَفِيفَ تَقِيلٍ أوَّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه .

[قال صالح بن حسان إنه كان مخنثاً]

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمري قال :
قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حسان : كان والله النابغة مخنثاً . قلت : وما علمك
به ؟ أرايته قط ؟ قال : لا والله ! . قلت : أفأخبرت عنه ؟ قال لا .

قلت : فما علمك به ؟ قال : أما سمعت قوله :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فتناولته وَاَتَقَتْنَا بِالْيَدِ

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ولا هذا القول إلا مخنث .

[هروبه من النعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرواة في سببه]

قال : فأنشدها النابغة مرةً بن سعد القريني ، فأنشدها مرةً النعمان ، فامتلاً غضباً فأوعد

1 اليساري : جمع يسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل .

2 نعيم العود : اخضر ونضر .

3 القنو : العنق . والمتعنكل : ذو العناكيل (الشماريخ) .

النَّابِغَةَ وَتَهْدِدَهُ ؛ فَهَرَبَ مِنْهُ فَأَتَى قَوْمَهُ ، ثُمَّ شَخَّصَ إِلَى مَلُوكِ عَسَّانَ بِالشَّامِ فَامْتَدَحَهُمْ . وَقِيلَ :
 إِنَّ عِصَامَ بْنَ شَهْبِيرِ الْجَرْمِيِّ حَاجِبَ النُّعْمَانَ أَنْذَرَهُ¹ وَعَرَفَهُ مَا يُرِيدُهُ النُّعْمَانُ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ ،
 فَهَرَبَ . وَعِصَامُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الرَّاجِزُ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمْتَهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا²
 وَجَعَلْتَهُ مَلِكًا هُمَامًا

وَقَالَ مَنْ رَوَيْتُ عَنْهُ خَبَرَ النَّابِغَةَ : إِنَّ السَّبَبَ فِي هَرَبِهِ مِنَ النُّعْمَانِ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ بْنَ
 خُفَافِ التَّمِيمِيِّ وَمُرَّةَ بْنَ سَعْدِ بْنِ قُرَيْعِ السَّعْدِيِّ عَمِلَا هِجَاءٍ فِي النُّعْمَانِ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنْشَدَا
 النُّعْمَانَ مِنْهُ أُبَيَاتًا يُقَالُ فِيهَا :

مَلِكٌ يُلَاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ رِخْوُ الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالْمُرْوِدِ

ومنه :

قَبَّحَ اللَّهُ ثُمَّ تَنَّى بِلَعْنٍ وَارثَ الصَّائِغِ الْجَبَانَ الْجَهُولَا
 مَنْ يَضُرُّ الْأَدْنَى وَيَعْجِزُ عَنْ ضَدِّ رِّ الْأَقَاصِي وَمَنْ يَخُونُ الْخَلِيلَا
 يَجْمَعُ الْجَبِشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ قَتِيلَا

يعني بوارث الصائغ النعمان ؛ وكان جدُّه لأمِّه صائغاً بفدك³ يقال له عطية . وأمُّ النعمان
 سلمى بنت عطية .

فأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن
 الأعرابي عن المفضل : أن مرة بن سعد القريعي الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له
 ذو الريقة من كثرة فرنده وجوهره ، فذكره النابغة للنعمان ، فأخذه . فاضطغن ذلك القريعي
 حتى وشى به إلى النعمان وحرَّضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب عن
 أبي عمرو بن العلاء ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز
 عن عمر بن شبة ، قالوا جميعاً : إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان
 والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسين عنده ، وكان النعمان دميماً أبرش⁴ قبيح

1 أنذره : أعلمه .

2 مثل يضرب في نباهة الذكر من غير قديم كما في سيرة عصام هذا فكل من ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له
 عصامي ؛ فصل المقال : 137 .

3 فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

4 الأبرش : الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

المنظر ، وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب ، وكان يُرمي بالمتجرّدة زوجة النعمان ، ويتحدّث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقال النعمان للنابعة : يا أبا أمانة ، صيف المتجرّدة في شعرك ؛ فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها . فلحقت المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جرّبه . فوقر ذلك في نفس النعمان . وبلغ النابعة فخافه فهرب فصار في غسان .

[كان المنخل يشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فنزل فيها فقتله]

قالوا : وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

ولقد دخلتُ على الفتاة	ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحساء تر	قل في الدمقس وفي الحرير
فدفعته فتدافعت	مشي القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتنفست	كتنفس الطيبي البهير ¹

غناه إبراهيم الموصلي من رواية عمرو بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق :

وبدت وقالت يا منخ	ل ما بجسمك من فتور ² ؟
ما مس جسمي غير حب	لك فاهدئي عني وسيري ³
ولقد شربت من المدا	مة بالكبير وبالصغير ⁴
فإذا سكرت فأنني	رب الخورنق والسدير ⁵
وإذا صحوت فأنني	رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل	يا هند للعاني الأسير
وأحبها وتحييني	ويحب ناقتها بعيري

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسجح : في هذا الصوت لملك ومعبد وابن سريج وابن محرز والغريص وابن مسجح لكلهم فيه ألحان . قال : فبلغ عمراً

1 البهير : الذي يتابع نفسه من الإعياء ، والتعب ؛ وفي الشعر والشعراء 404/1 :
وعظفتها فتعظفت كتعظف الطيبي الغري

2 وبدت : في الشعر والشعراء : 404/1 فترت .

3 مس : في الشعر والشعراء : 404/1 ما شف .

4 في الشعر والشعراء : 405/1 بالصغير والكبير .

5 الخورنق والسدير : قصران ، وقيل هما نهران .

خيرُ المنخَلِّ فأخذه فقتله . وقال المنخَلُّ قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضُّ قومه على طلب الثَّارِ به :

طُلَّ وَسَطَ الْعِرَاقِ قَتْلِي بِلَا جُرْمٍ وَقَوْمِي يَنْتَجُونَ السَّخَالَا
رجع الخير إلى سِياقِهِ . قالوا جميعاً : فلما صار النابغة إلى غَسَّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِرٍ ، وأمَّ الحارث الأعرج ماريَّة بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكِنْدِيَّةِ وهي ذات القُرْطَيْنِ اللَّذَيْنِ يُضْرَبُ بهما المثل فيقال لِمَا يُغْلَى به الثمن « [خُذْهُ وَلَوْ] ¹ بِقُرْطَيِ مَارِيَّةَ » . وأختها هند هند امرأة حُجْرٍ آكِلِ المَرَارِ . وإيَّاهَا عَنَى حَسَّانُ بقوله في جَبَلَةَ بن الأَيِّهَمِ : [من الكامل]

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَّةِ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ

[مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني]

ولذلك خير يأتي في موضعه ، فمدحه النابغة ومدح أخاه النعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أخوه النعمان ؛ فصار معه إلى أن استطلعه ² النعمان فعاد إليه . فمِمَّا مَدَحَ بعِ عمرًا قوله :

[من الطويل]

صوت

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضِ وَلَيْسَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ بِأَتَبِ
عَلِيٍّ لِعَمْرٍو نِعْمَةً بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَادِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ

عروضه من الطويل . غنَّى في البيتين الأوَّلين ابن مُحَرِّزٍ خفيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو . وَغَنَّى فِيهِ الْأُبَجْرُ مِنْ رِوَايَةِ حَبَشٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى . وَغَنَّى مَالِكٌ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيِّ . وَغَنَّى فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَبْيَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ مَآخُورِيًّا عَنْ حَبَشٍ ، وَغَنَّى فِيهَا طُوَيْسٌ رَمَلًا بِالْوَسْطَى بِحِكَايَتَيْنِ عَنْ حَبَشٍ .

هكذا رُوِيَ قَوْلُهُ « يَا أُمَيْمَةَ » مَفْتُوحَ الْهَاءِ . قَالَ الْخَلِيلُ : مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ تَنَادِيَ الْمُؤَنَّثَ

1 مثل : في باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها . هي مارية بنت الأرقم بن عمرو بن ثعلبة بن جفنة ، أو هي مارية بنت ظالم وهي أم ملك غسان الحارث بن الأعرج بن الحارث الأكبر بن عمرو بن عدي بن حجر . فصل المقال : 335 .

2 استطلعه : طلب طلوعه إليه .

بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلَمَ ؛ فلَمَّا لم يُرَخِّمَ لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مُرَحِّمَةً وأتى بها بالفتح . وكِلِينِي أَي دَعِينِي . ووَكَلْتُهُ إِلَى كَذَا أَكَلُهُ وَكَالَةٌ¹ . وناصب : مُتَعَب . وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تَغُور . أراح : رد . يقال أراح الرجلُ إبله أي ردها : فيقول : ردَّ هذا الليلُ إليَّ ما عزَبَ من هَمِّي بالنَّهار ؛ لأنَّه يتعلَّل نهاراً بمحادثة النَّاس والتشاغل بغير الفكر ، فإذا خلا بالليل راح إليه هُمُّه . وتقاوس تأخَّر ؛ وأصلُ التقاوس الرجوعُ إلى خَلْفِ القَهْقَرَى ، فشَبَّه الليلَ في طولهِ بالمُتَقَاعِسِ . والذي يَهْدِي النجوم أولُّها ، شَبَّهها بهودايها² . وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدرها ولا يَمْنُها .

ومَّا يَعْنِي فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي بِصَاحِبِ³
لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّتِي وَقَبْرِ بَصِيدَاءِ الَّذِي عِنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتَمِسَنَّ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ⁴

غَنَاهُ إِسْحَاقُ خَفِيفَ ثَقِيلِ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ عَنْهُ وَمِنْ رِوَايَةِ حَبَشَ . وَغَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلِ بِالْبَنْصَرِ . يَقُولُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَا يَكُونُ مِنْ صَاحِبِي إِلَّا أَنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ . وَقَوْلُهُ «لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ» يَعْنِي لَئِنْ كَانَ عَمْرٍو ابْنًا لِلْمَدْفُونَيْنِ فِي هَذَيْنِ الْقَبْرَيْنِ ، يَعْنِي قَبْرَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ وَهُمَا الْحَارِثُ الْأَكْبَرُ وَالْحَارِثُ الْأَعْرَجُ ، لَيَلْتَمِسَنَّ جَيْشُهُ دَارَ الْمُحَارِبِ لَهُ ؛ يَحْرُضُهُ بِذَلِكَ . وَيُرْوَى «أَرْضَ الْحَارِبِ» : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبِ

صوت

[مِنْ الطَّوِيلِ]

لَهُمْ شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنْ النَّاسِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَائِسِ بِهِنَّ كَلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ

1 الوكالة : اسم من التوكيل .

2 إن الذي يهدي النجوم ما يتقدمها ؛ إذ هادي كل شيء ما يتقدمه . فليل المراد به أول النجوم ، ومعنى كونه غير آتب : غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادي النجوم الشمس .

3 غير ذي مثنوية ؛ لم أستن فيها . في الديوان : حُسن ظنِّ بصاحب .

4 الحارث الجفني : هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتابِ
إذا استنزلوا عنهنّ للطعنِ أرقلوا إلى الموتِ إرقالَ الجمالِ المصاعبِ
حبوتُ بها غسانٌ إذ كنتُ لاحقاً بقومي وإذ أُعيتُ عليّ مَذهبي

وجذتُ في كتابِ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المكّي . الشّيمة : الطيّعة ، وجمعها شيمٌ . غير عواذب أي لا تعزب أحلامهم فتنفذ عنهم . وعارفات للطعان أي صابرات عليه قد عودت أن يُحاربَ عليها . وعوابس كوالح . وجالب أي عليه جُلبة وهي قشرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَبَ الجرحُ يَجْلِبُ جلوباً وأجلب إجلاباً . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخببَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصعبٌ وهو الفحل الذي لم يَمَسَّه الحبل وإنما يُقتنى للفحلة ، ويقال له قرمٌ ومُقرمٌ . وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة . وروى أبو عبيدة «إذ كنت لاحقاً بقوم» وقال : يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين ، فكنتم أحقّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال : [من السريع]

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التمامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ أصغرِ والحارثِ خيرِ الأنامِ
ثم لهندي ولهندي فقد أسرع في الخيراتِ منه إمام¹
خمسةُ آباءٍ وهم ما همُ هم خيرٌ من يشرب صوبَ الغمام²

غناه حنينٌ خفيف رملٍ بالنصر عن حبش .

[فضله الشعبي على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عبد الله الزبيريّ قال حدثنا شيخ يُكنى أبا داود عن الشعبيّ قال : دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شراحيلِ الشّعبيّ . فقال : على علمٍ ما أذنّا لك . فقلتُ في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطل : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خذها ثنتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول :

[من السريع]

1 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : يُنجع في الرّوضات ماء الغمام .

2 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : هم خير من يشرب صفو المدام .

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُسْتَقْبِلُ الخَيْرِ سريعُ التَّمَامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الِ أصغرِ والحارثِ خيرُ الأَنَامِ
خمسةُ آباءٍ وهُمُ ما هُمُ همُ خيرٌ مَن يشربُ ماءَ الغمامِ

والشعر للنابعة ، فقال الأخطل : إن أمير المؤمنين إنما سألتني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألتني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنه أخطأ ثلاث مرّات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز ولم أسمع من أحد ، ووجدته أتمّ مما رأيت في كل موضع ، فأثبت به في هذا الموضوع وإن لم يكن من خاصّ خبر النابعة لأنه أليق به . قال أحمد بن الحارث الخزاز حدّثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال : كتب عبد الملك إلى الحجّاج : إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق عندي شيء إلا مناقلة الإخوان للحديث . وقيل لك عامر الشعبي ، فابعث به إليّ يحدّثني . فدعا الحجّاج الشعبي فجهره وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبي ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي . قال : من أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبي . قال : حيّاك الله ؛ ثم نهض فأجلسني على كرسيه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخلْ يرحمك الله . فدخلت ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسيّ ، فسلمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم أوماً إليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبي : فأظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ، فلم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟! قال : فعجب عبد الملك من عجزتني قبل أن يسألني عن حالي . قال : هذا الأخطل . فقلت . يا أخطل ! أشعرُ والله منك الذي يقول : [من السريع]

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبِلُ الخَيْرِ سريعُ التَّمَامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الِ أصغرِ والحارثِ خيرُ الأَنَامِ
ثم هُنْدٍ وهُنْدٍ فقد أسرع في الخيرات منه إمام
خمسةُ آباءٍ وهُمُ ما هُمُ هُمُ خيرٌ مَن يشربُ صوبَ الغمامِ

فردّتها حتى حفظها عبد الملك . فقال الأخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبي . قال فقال : صدق والله يا أمير المؤمنين ، النابعة والله أشعر مني . فقال الشعبي : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به . ثم ذهبت لأضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فقال : مه !

إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تُفارقنا . ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غطفانَ فقال : يا معشر غطفان ، أيُّ شعرائكم الذي يقول : [من الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
لكن كنت قد بلغت عني خيانةً لمبيلغك الواشي أغشُ واكذبُ
ولست بمُستتبي أخاً لا تلمهُ على شعثِ أيُّ الرجال المهذبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأبيكم الذي يقول : [من الطويل]

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسعُ
خطاطيفُ حُجْنٍ في حبالٍ متينةٍ تمُدُّ بها أيدي إليك نوازعُ

قالوا : النابغة . قال : فأبيكم الذي يقول : [من الوافر]

إلى ابن مُحَرَّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلي وقد هدتِ العيونُ¹
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي على خوفٍ تُظنُّ بي الظنونُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْنَهَا كذلك كان نُوحٌ لا يخونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطل

فقال : أتجِبُّ أن لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبُّ أنك قلتَه ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلا أتِي وِدِدْتُ أن كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منا ، كان والله ما علمتُ مُغْدَفٌ² القِنَاعَ قَلِيلَ السَّمَاعِ قَصِيرَ الذَّرَاعِ . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته : [من البسيط]

إِنَّا مُحَيِّوُكَ فَاسَلِمَ أَيُّهَا الطَّلُّ وإن بليت وإن طالت بك الطَّيْلُ³
ليس الجديدُ به تبقى بشاشتهُ إلا قليلاً ولا ذو خَلَّةٍ يصلُ
والعيشُ لا عيشٌ إلا ما تقرُّ به عينٌ ولا حالٌ إلا سوف تنقلُ
إن ترَجِّعي من أبي عثمانٍ مُنْجِحَةٌ فقد يهون على المُسْتَنْجِعِ العملُ⁴
والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ ما يشتهي ولأمُّ المخطيءِ الهَبْلُ

1 هدت ، أصله : (هدأت) بالهمز .

2 إغداق القناع : إرساله على الوجه .

3 الطَّيْلُ : جمع طيلة وهو الدهر .

4 منجحة : ظفارة . والمستنجع : طالب النجاح .

قد يُذركُ المتأنِّي بعضَ حاجتِهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزَّللُ
حتى أتى على آخرها . قال الشعبيُّ : فقلت : قد قال القَطاميُّ أفضلَ من هذا قال : وما
قال ؟ قلت قال : [من الكامل]

1	ما كنت أحسبُها قريبَ المُعَنقِ ¹	طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطْرَقِ
2	حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُوْمَتِيهِ مُطَوَّقِ ²	قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِدَايَةِ
3	شَرِبُوا الْغُبُوقَ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُعْرَقِ ³	وَمُضْرَعِينَ مِنَ الْكَلَالِ كَأَمَّا
4	وَمُفْرَجِ عَرَقِ الْمَقْدِ مُنَوَّقِ ⁴	مَتَوَسِّدِينَ ذِرَاعَ كُلِّ نَجِييَةِ
5	وعلى كَلَاكِلِ كَالنَّقِيلِ الْمُطْرَقِ ⁵	وَجِثْتُ عَلَى رُكْبِ تَهْدُ بِهَا الصَّنْفَا
6	ومن النجومِ غَوَابِرٌ لَمْ تَخْفِقِ ⁶	وَإِذَا سَمِعْنَ إِلَى هَمَاهِمِ رُفْقَةِ
	طَرَبًا بَهَنَ إِلَى حُدَاءِ السُّوقِ	جَعَلْتُ تُمِيلُ خَدُودَهَا آذَانَهَا
	من رَائِعٍ لِقُلُوبِهِنَّ مُشَوَّقِ	كَالْمُنْصِتَاتِ إِلَى الْغِنَاءِ سَمِعْنَهُ
7	لَهَقًا كَشَاكِلَةِ الْحِصَانِ الْأَبْلَقِ ⁷	وَإِذَا نَظَرْنَ إِلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ
8	حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لَمْ يَلْحَقِ ⁸	وَإِذَا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجَةِ
	حَدَّثَ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ	وَإِذَا يَصِيكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً
9	وَحَلَا التَّكَلُّمُ لِللِّسَانِ الْمُطْلَقِ ⁹	لِئِنْ الِهِمُومُ عَنِ الْفَوَادِ تَفَرَّقَتْ

قال : فقال عبد الملك : هذا والله أشعرُ ، تَكَلَّتِ الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ ! . قال : فالتفت إليَّ
الأخطل فقال : يا شعبيُّ ، إنَّ لك فنوناً في الأحاديث ، وإنَّما لنا فنٌّ واحدٌ ؛ فإن رأيتُ ألاَّ

- 1 المعنق : المكان الذي أعنتت منه . العنق : ضرب من السير سريع .
- 2 الجداية : الغزال . التومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة .
- 3 شربوا في ل : سَمَرُوا . الرحيق في الديوان : الطلاء . المعرق : القليل الماء .
- 4 المفرج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقد : ما خلف الأذن . بعير منوق : مذل كانه ناقة ، أو هو الذي اختير وتنوق فيه .
- 5 النقيل : رفاق النعل والخف ، واحدها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .
- 6 غواير في ل : غواير أي بواق .
- 7 لهقا في ل : كهفاً . واللهق : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلى من الخيل : الذي ارتفع تحجيله إلى فخذه .
- 8 الشسع : أحد سيور النعل .
- 9 لئن في ل : ليت . تفرقت في ل : تفرجت .

تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرصاً¹ ! . فقلت : لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأقيني في هذه المرة . قال : من يتكفل بك ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليّ ألاّ يعرض لك أبداً ؛ ثم قال : يا شعبي ، أي نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : خنساء . قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنعشُ قد فات خطوها لتُدركه يا لهف نفسي على صخرٍ
ألا تكليت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك : أشعر منها والله التي تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر²
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فحج وإن لم يغز ينتظر

ثم قال : يا شعبي ، لعلك شقّ عليك ما سمعت . قلت : إي والله يا أمير المؤمنين أشدّ المشقة . إنني أحدثك منذ شهرين لم أفدك إلاّ أبيات النابغة في الغلام . قال : يا شعبي ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهل الشام أعلم بعلم العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها ، ولم أزل عنده ؛ فكنت أول داخل وآخر خارج . قال : فمكثت كذلك سنين ، وجعلني في الفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في الفين الفين ؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه : يا أخي ، إنني قد بعثت إليك الشعبي ، فانظر هل رأيت مثله قط ؟ ثم أذن لي فانصرف .

[حديث حسان عنه حين قدم على النعمان]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبة عن أبي بكر الهذليّ قال : قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأتيت حاجبه عصام بن شهبّر فجلست إليه ؛ فقال : إني لأرى عربياً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكن قحطانياً . فقلت : فأنا قحطاني . قال : فكن يثرياً قلت : فأنا يثري . قال : فكن خزرجياً . قلت : فأنا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجمت بمدحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فأني أرشدك : إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جيلة بن الأيهم ويسبه ، فإياك أن تساعد على ذلك ،

1 الحرض : الرديء ، من الناس .

2 مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال رفته وخفته .

ولكن أميرٌ ذكره إمراراً لا تُوافق فيه ولا تُخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ . وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكله ؛ فإن أقسم عليك فأصيب منه اليسير إصابةً باراً قسّمه مُتشرّفٍ بمواكلته لا أكلٍ جائعٍ سَغِبَ ، ولا تُطلِّ محادثته ، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تُطلِّ الإقامة في مجلسه . فقلت : أحسن الله رِفْدَكَ ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لي : ادخُل . فدخلتُ فسَلِمْتُ وحييتُ تحيةَ الملوك . فجاراني من أمرِ جبلة ما قاله عِصامٌ كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصامٌ به ، وبالشراب ففعلتُ مثل ذلك . فأمر لي بجائزة سنّية وخرجت . فقال لي عِصامٌ : بقيت عليّ واحدة لم أوصيك بها ؛ قد بلغني أن النابغة الذبياني قدِم عليه ، وإذا قدِم فليس لأحد منه حظٌ سواه ؛ فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرماً خبير من أن تنصرف مجفواً ؛ فأقمتُ بيابه شهراً . ثم قدِم عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دُخُلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألها مسألة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قبةً من آدم ، ولم يشعر بأن النابغة معهما . ودسّ النابغةُ قينةً تغنيه بشعره :

يا دارميّة بالعلياء فالسند

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ! وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ؛ فكلماه فيه فأمنه .

وقال أبو زيد عمر بن شبة في خبره : لما صار معهما إلى النعمان كان يرسل إليهما بطيبٍ وأطاف مع قينة من إمائِه ، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان ، فعلم أنه النابغة . ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تغنيه به إذا أخذت فيه الخمر ؛ ففعلت فأطربته ، فقال : هذا شعر علوي¹ ، هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج في غبّ سماء ، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خُصِبَ بجنّاء فأقنأ خضابه² ، فلما رآه النعمان قال : هي بدمٍ كان أحرى أن تُخضب . فقال الفزاريان : أبيت اللعن ! لا تثريب³ ، قد أجرناه ، والعفو أجمل . فأمنه واستنشده أشعاره . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدري على أيّتهن كنتُ له أشدّ حسداً : على إدياء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته⁴ له

1 علوي : نسبة إلى العالية غير القياس ، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

2 قنوء الخضاب : اشتداد حمرة .

3 الترشيب : اللوم والتعبير بالذنب والتذكير به .

4 في ل : ومسامرته .

وإصغائه إليه ، أم على جَوْدَة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره¹ أمر له بها .
قال أبو عُبَيْدَة : قيل لأبي عمرو : أفمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبِه منه أم لغير ذلك ؟
فقال : لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ، إن كان لآمناً من أن يوجّه النُعمان له جيشاً ، وما كانت
عشيرته لتُسلمه لأوّل وهلة ، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في
آنية الفِضّة والذهب من عطايا النُعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك . وقيل : إن السبب في
رجوعه إلى النُعمان بعد هَرَبِه منه أنه بلغه أنه عليلٌ لا يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على
البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنقل
ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شَهيرٍ حاجبه ، فيما أخبرنا به اليزيديّ عن عمّه
عبيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفضّل :

صوت

ألم أقسيم عليك لتُخبرني أحمول على النَّعشِ الهمام
فإني لا أؤمك في دخولي ولكن ما وراءك يا عصام²
فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ الناسِ والشهرُ الحرام³
ونمسيك بعده بذناب عيش أجبُ الظهر ليس له سنّام⁴

غناه حين ثقيلاً أوّل بالبصر عن حبش .

قال أبو عُبَيْدَة : كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبون ،
فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

[من الوافر]

وقوله :

فإني لا أؤمك في دخولي

أي لا أؤمك في ترك الإذن لي في الدخول ، ولكن أخبرني بكنه أمره . وقوله : [من الوافر]

ربيع الناس والشهر الحرام

1 العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

2 لا أؤمك في ل : لا ألام . و«ما وراءك يا عصام» مثل . انظر مجمع الأمثال للميداني : 262/22 وكتاب
الأمثال لأبي فيد : 184 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري : 225/2 وكتاب المستقصى في الأمثال
للزمخشري : 334/2 .

3 أبو قابوس : كنية النُعمان بن المنذر .

4 ذناب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السنّام .

يريد أنه كالربيع في الخصب مُجْتَدِيهِ ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد .

[مما يعنى فيه من شعره]

صوت

[من الطويل]

رَأَيْتِكَ تَرَعَانِي بَعِينٍ بِصِيرَةٍ وَتَبَعْتَ حُرَّاساً عَلِيٍّ وَنَاطِرًا¹
 قَالَيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا² وَلَا أَتْبَغِي جَارًا سِوَاكَ مَجَاوِرًا²
 وَأَهْلِي فِدَاءٍ لِمَرِيءٍ إِنْ آتَيْتَهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ الْمَفَاقِرَا³
 أَلَا أَبْلُغُ النُّعْمَانَ حَيْثُ لَقَيْتَهُ وَأَهْدَى لَهُ اللَّهُ الْغِيُوثَ الْبِوَاكِرَا
 غَنَاهُ خُلَيْدٌ⁴ الْوَادِيَّ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ حَبِشٍ .

ومما يعنى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان :

[من البسيط]

صوت

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ
 وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَانًا أُسَائِلُهَا أَعَيْتُ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
 إِلَّا الْأَوَارِيَّ لِأَيَّامٍ مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّوِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَدِ
 رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّده ضَرَبُ الْوَالِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأْدِ⁵
 خَلَّتْ سَبِيلَ أَتْيِيَّ كَانِ يَحْبِسُهُ وَرَفَعْتَهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالضُّنْدِ
 أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

الغناء لمُعَبَّدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَجَمِيلَةٌ ثَانِيٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ

عَنْ عَمْرٍو وَحَبِشٍ .

قال الأصمعيّ : وقوله «يا دار مية» يريد بأهل دار مية ، كلما قال امرؤ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

يريد أهل الطلل . وقال الفراء . إنما نادى الدار لا أهلها أسفاً عليها وتشوقاً إلى أهلها

1 ترعاني : تحرسني وتحفظني .

2 آليت : أقسمت ، ومجرماً : مذنباً .

3 يقال : سدّ الله مفارقة أي أغناه وسدّ وجوه فقره .

4 هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى .

5 موضع الثأد التراب الندي المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق ببعضه ببعض وانخفض .

وَتَمَنِّيَه أَنْ تَكُونَ أَهْلًا . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلَا يَعْلُو وَعَلِيَ يَعْلَى ، مثلُ حَلَا يَحْلُو وَحَلِيَ يَحْلَى ، وَسَلَا يَسْلُو وَسَلِيَ يَسْلَى . وَالسَّنْدُ : سَنَدُ الْجَبَلِ وَهُوَ ارْتِفَاعُهُ حَيْثُ يُسْنَدُ فِيهِ أَيْ يُصْعَدُ . أَقَوْتُ : أَقْفَرْتُ وَخَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ يَا دَارَ مِيَّةٍ ثُمَّ قَالَ أَقَوْتُ وَلَمْ يَقُلْ أَقَوَيْتَ : إِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ يَخَاطِبُوا الشَّيْءَ ثُمَّ يَتْرَكُوهُ وَيَكْفُوهُ عَنْهُ . وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ «أَصِيلَانًا» وَهُوَ تَصْغِيرُ أَصْلَانٍ¹ . وَيُرْوَى «عَيْتٌ جَوَابًا» أَيْ عَيْتٌ بِالْجَوَابِ . وَالْأَوَارِي : جَمْعُ آرِي² . وَلَأْيًا : بَطْطًا . وَالْمَظْلُومَةُ : الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَثَرٌ فَحَفَرَ أَهْلُهَا فِيهَا حَوْضًا ؛ وَظَلَّمَهُمْ إِيَّاهَا إِحْدَاثَهُمْ فِيهَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا . شَبَّهَ النَّوْيَ بِذَلِكَ الْحَوْضِ لِاسْتِدَارَتِهِ . وَالجَلْدُ : الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الْغَلِيظَةُ مِنْ غَيْرِ حَجَارَةٍ . وَإِنَّمَا جَعَلَهَا جَلْدًا لِأَنَّ الْحَفْرَ فِيهَا لَا يَسْهُلُ . وَقَوْلُهُ «رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيَهُ» يَعْنِي أُمَّةً فَعَلَتْ ذَلِكَ ، أَضْمَرَهَا وَلَمْ يَكُنْ جَرَى لَهَا ذِكْرٌ . وَأَقَاصِيَهُ : يَعْنِي أَقَاصِي النَّوْيِ عَلَى أَدْنَاهُ لِيَرْتَفِعَ . وَوَلَدَهُ : طَأْمَنَهُ³ . وَالْوَالِدَةُ : الْأُمَّةُ الشَّابَّةُ . وَالنَّشَادُ : النَّدَى . وَالسَّيْلُ : الطَّرِيقُ . وَالْأَتْيُ : النَّهْرُ الْمُخْفَرُ ، وَالْأَتْيُ : السَّيْلُ مِنَ حَيْثُ كَانَ . يَقُولُ : لَمَّا أَفْسَدْتُ طَرِيقَ الْأَتْيِ سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقًا حَتَّى جَرَى . وَرَفَعْتَهُ أَيْ قَدَّمْتُ الْحَفْرَ إِلَى مَوْضِعِ السَّجْفَيْنِ ، وَلَيْسَ رَفَعْتَهُ هَاهُنَا مِنْ ارْتِفَاعِ الْعُلُوِّ . وَالسَّجْفَانُ : سِتْرَانِ رَقِيقَانِ يَكُونَانِ فِي مُقَدِّمِ الْبَيْتِ . وَالنَّضْدُ : مَا نُضِدُّ مِنَ الْمَتَاعِ . وَأُخْنِي : أَفْسَدُ . وَوَلَدُ : آخِرُ نَسْرِ لُقْمَانَ الَّتِي اخْتَارَ أَنْ يُعَمَّرَ مِثْلَ أَعْمَارِهَا وَلَهُ حَدِيثٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ .

صوت

[من البسيط]

أُسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ
فَبَثُّهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَ بِهِ
وَكَانَ ضَمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ
شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمُدْرَى فَأَنْقَذَهَا
غَنَى فِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ . وَفِيهِ لَحْنٌ لِمَالِكٍ . يَعْنِي

1 أصلان : جمع أصيل وهو القسي .

2 آري : الآخية التي تشد بها الدابة .

3 طأمنه : خفضه وسكنه .

4 بث : فرق .

5 ضمران : اسم كلب . يوزعه : يغيره .

أَنَّ سَحَابَةً مَرَّتْ عَلَيْهِ لَيْلًا وَأَنَّ أَنْوَاءَ الْجَوَازِ أُسْرَتْ عَلَيْهِ بِهَا . وَتَزْجِي : تَسْوِقُ وَتَدْفَعُ . عَلَيْهِ أَي عَلَى الثَّوْرِ . وَالكَلَّابُ : صَاحِبُ الْكِلَابِ . وَقَوْلُهُ «بَاتَ لَهُ طَوْعُ الشَّوَامَتِ» أَي بَاتَ لَهُ مَا يَسُرُّ الشَّوَامَتِ¹ اللَّوَاتِي شَمِتْنَ بِهِ . وَصَمْعُ الْكَعُوبِ : يَعْنِي قَوَائِمَهُ أَنَّهُا لَازِقَةٌ مَحْدَدَةٌ الْأَطْرَافِ لَيْسَتْ بِرَهْلَاتٍ . وَأَصْلُ الصَّمْعِ رِقَّةُ الشَّيْءِ وَلَطَافَتُهُ . وَالْحَرْدُ² : دَاءٌ يَعْبِيهِ ؛ يُقَالُ بَعِيرٌ أَحْرَدٌ ، وَنَاقَةٌ حَرْدَاءٌ . وَالْمُحْجَرُ : الْمَلْجَأُ . وَالنَّجْدُ³ : الشَّجَاعُ . وَالْفَرَيْصَةُ : مَرْجِعُ الْكَيْفِ إِلَى الْعَاصِرَةِ . وَالْمِذْرَى : الْقَرْنُ . وَالْمَيْطِيرُ : الْبَيْطَارُ . وَالْعَضْدُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْعَضْدِ .

وفي لحن إبراهيم الموصلي بعد «فارتاع من صوت كلاب» : [من البسيط]

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدٍ⁴
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكْرَعُهُ طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ

قال الأصمعيّ : زال النهار بنا أي انتصف . و«بنا» هاهنا في موضع «علينا» . ومَنْ روى «مُسْتَوْجِسٌ» فإنه يعني أنه قد أُوجِسَ شيئاً يخافه فهو يَسْتَوْجِسُ . والجليل : الثمام ، واحدته جَلِيلَةٌ . ووجرة : طَرْفُ السَّيِّ⁵ وهي فلاة بين مَرَّانٍ وذات عِرْقٍ وهي سَتُونٌ مَيْلًا يجتمع فيها الوحش . ومَوْشِيٍّ أَكْرَعُهُ أَي إنه أبيض في قوائمه نُقْطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفْعَةٌ⁶ . وطاوي المصير : ضامر . والمصير المَعَى ، وجمعه المَصْرَانُ . والفردُ : المنقطع القرين ؛ يُقال : فَرْدٌ وَفَرْدٌ وَفُرْدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : غنى مُخَارِقٌ يوماً بين يدي الرشيد :

[من البسيط] سرت عليه من الجوزاء سارية

فلما بلغ إلى قوله : [من البسيط]

فارتاع من صوت كلابٍ فبات له

قال : فارتاع (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أَرُدَّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنَّ أنني حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطه . فالتفت إليه بعضُ مَنْ حضر ، أظنه قال محمد بن عمر الروميّ ، فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغني بمثل هذا الخطأ القبيح لسوقية

1 الشوامت : جمع شامنة وهي القوائم .

2 الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربما كان خلقه .

3 النجد : وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره .

4 الاستئناس هنا : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس كما قال ابن الأعرابي .

5 السّي : موضع .

6 السفعة : السواد ؛ وهي سواد مشرب بحمرة .

فضلاً على الملوك ! وملك ! لو قلت : «فارتاع» كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاع». فحجِلَ مُخارق ، وكُفِّيتُ ما أردته بغيري . قال : وكان مخارق لَحَانًا .
ومنها :

[من البسيط]

صوت

قالت ألا لَيْتَما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا ونصْفُه فقَدِ
يَحْفُه جانِباً نِيقٍ وتُتْبِعُه مثلَ الرُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمْدِ
فحسبوه فألْفَوْه كما حَسِبتُ تسعاً وتسعين ولم تنقص ولم تزد
فكملتُ مائةً فيها حمامتها وأسرعتُ حسبةً في ذلك العددِ

غناه ابن سُرَيْجٍ خفيف ثَقِيلٍ عن الهشامِيّ . هذا خبرٌ رُوِيَ عن زَرْقَاءِ اليمامة ، ويُرْوَى عن بنت الخُسِّ¹ .
[أخذ معنى لزرقاء اليمامة]

حدَّثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة ، قالت :

[من مجزوء الرجز]

ليت الحمامَ ليْه ونصْفَه قَدِيه²

إلى حَمَامَتِيه تَمَّ الحمامُ مِيه

فسلخه النابغة . وقال الأصمعيّ : سمعت أناساً من أهل البادية يتحدثون أن بنت الخُسِّ كانت قاعدةً في جوارٍ ، فمرَّ بها قطاً وارداً في مَضِيقٍ من الجبل ، فقالت : [من مجزوء الرجز]

يا ليتَ ذا القَطَا لِيه ومثلَ نصْفِ مَعِيه

إلى قَطَاةِ أهْلِيه إذا لنا قَطَا مِيه

وَأَتْبَعَتْ فَعَدَّتْ عَلَى المَاءِ فإذا هي سَتْ وَسْتُونَ . وقوله : «فَقَدَ» أي فَحَسَبُ . وَيَحْفُه أي يكون من ناحية هذا الثَّمَدِ ؛ يقال : حَفَّ القَوْمُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيقُ : الجبل . ومثل الزجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزجاج . الحِسْبَة : الهيئة التي تُحَسَّبُ ؛ يقال : ما أَحْسَنَ حِسْبَتَه ، مثل الجِلْسَة واللَّبْسَة والرُّكْبَة .

[من البسيط]

ومنها :

صوت

نُبْتُ أَنْ أبَا قَابُوسَ أوعدني ولا قَرَارَ على زَارٍ من الأَسَدِ

1 بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة اسمها هند ، وقيل : جمعة .

2 قديه : حسي ، والهاء الساكنة للسكت .

مَهْلًا فِدَاكَ لِكَ الْأَقْوَامُ كُلَّهُمْ وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
 إِنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
 هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعُ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعْرَضْ أُنَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفْدِ

غناه الهذلي ، ولحنه من الثقيل الأول عن الهشامي . أثمر : أصلح وأجمع . والزَّارُ :
 صياح الأسد ؛ يقال : زار زئيراً وهو الزَّار . والصَّفْدُ : العطيّة ؛ يقال : أصفده يُصفده
 إصفاً إذا أعطاه ، وصفده يصفده صفداً إذا أوثقه .
 [رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الصلت بن
 مسعود قال حدثنا أحمد بن شبيب عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارك عن فليح بن
 سليمان عن رجل قد سماه عن حسان بن ثابت ، ونسخت من كتاب ابن أبي خيثمة عن أبيه
 عن مُصعب الزبيري قال قال حسان بن ثابت ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني
 عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيباني قال
 حسان بن ثابت ، وقد جمعت رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها ، وأكثر اللفظ للجوهري ،
 قال : خرجت إلى النعمان بن المنذر ، فلقيت رجلاً ، وقال اليزيدي في خبره : فلقيت صائغاً
 من أهل فدك ، فلما رأيته قال : كُنْ يَثْرِيًّا ؛ فقلت : الأمر كذلك . قال : كُنْ خَزْرَجِيًّا ؛
 قلت : أنا خزرجي . قال : كُنْ نَجَّارِيًّا ؛ قلت : أنا نجاري . قال : كُنْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ ؛
 قلت : أنا هو . فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أسدّدك إلى أين تذهب
 ومن تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لي به علماً وخبراً . قلت : فأعلمني ذلك . قال : فإنك إذا
 جئت متروكاً شهراً قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأس الشهر ، ثم إنك متروك
 آخر بعد المسألة ثم عسى أن يؤذن لك . فإن أنت خلوت به وأعجبتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً ؛
 فأقم ما أقمت ، فإن رأيت أبا أمانة فاطعن ، فلا شيء لك عنده . قال : فقدمت ففعل بي ما
 قال الرجل ثم أذن لي وأصببتُ منه مالا كثيراً ونادمتُه وأكلت معه . فبينما أنا على ذلك وأنا معه
 في قبة له إذا رجلٌ يرتجز حولها :

أصمُّ أم يسمع ربُّ القبة يا أوهبَ الناسِ لعنسٍ صلبه¹
 ضرابية بالمشفر الأذبة ذات هبابٍ في يديها جلبه²

1 العنس : الناقة القوية .

2 الأذبة : جمع قلة لذباب . الهباب : النشاط والسرعة .

في لاجِبِ كَأَنَّهُ الْأَطِيَّةُ¹

وفي رواية الزبيدي «في يديها خُدْبَةٌ» أي طول واضطراب . والأطِيَّة : جمع طياب وهو الشُّرَاكُ يجمع فيه بين الأديمين في الخَرَزِ . وقال عمر بن شُبَّة في خبره : قال فُلَيْحُ بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن ذأب ، قال فقال : أليس بأبي أمانة ؟ قالوا بلى . قال : فأذّنوا له . ودخل فحياهُ وشرب معه . ثم وردت النَّعْمُ السُّودُ ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعرَفُ مكانه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النُّعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأذّن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبٌ

ووردت عليه مائة من الإبل السُّود الكلبية فيها رعاؤها وبيتها وكلبها ، فقال : شأنك بها يا أبا أمانة ، فهي لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ ، وما أدري أيما كنتُ أحسدَ له عليه : ألما أسمع من فضل شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرَامِيزِي² وركبتُ إلى بلادِي . وقد روى الواقدي عن محمد بن صالح الخبر فذكر أنّ حسّان قديم على جبلة بن أبي شَمِير ؛ ولعله غلط . أخبرنا به محمد بن العباس الزبيدي قال حدّثني عمي يوسف قال حدّثني عمي إسماعيل عن الواقدي عن محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يقدّم على جبلة بن الأيّهم سنةً ويُقيم سنةً في أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورحماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس لمعروف ، وقد يئس مني أن أقدم عليه لِمَا يعرف من انقطاعي إلى جبلة . فخرجتُ في السنة التي كنتُ أقيم فيها بالمدينة حتى قدّمتُ على الحارث وقد هيأتُ مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إن الملك قد سرُّ بقدمك عليه ، وهو لا يدعُك حتى تذكرَ جبلةً . فإياك أن تقع فيه فإنّه يختبرك ؛ فإنك إن وقعتَ فيه زهد فيك ، وإن ذكرتَ محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ؛ فإن سألك عنه فلا تُطِنّب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسحْ ذكره مسحاً وجاوزه . وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يُثقل عليه أن يُوكّل طعامه أو يُشربَ شرابه ، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوك إليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس عن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكلّ ذلك أخبره ، حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال : كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطعتُ إليه وتركتنا ؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه ؛ فلم أجِرْ معه في مدح ولا ذمّ ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي

1 اللاحب : الطريق الواضح .

2 جمع فلان إليه جراميزه : إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

الحاجب . قال : ثم قال لي الحاجب : قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقه وأنسُ به ، وهو قبيح أن يجفوك بعد البرِّ ، فاستأذنه من الآن فهو أحسن . فاستأذنته فأذن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكُسا وحُمِّلان ، فقبضتها وانصرفتُ إلى أهلي .

صوت

[من الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لقيتُهُمُ أَحَكَّمُ في أموالهم وأقربُ

ولكنني كنتُ امرءاً لي جانبٌ من الأرضِ فيه مُستَردٌ ومطلبُ

الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أولُ . الجانب هنا : المتسع من الأرض . والمسترد : المختلف يذهب فيه ويجيء ؛ ويقال : راد الرجلُ لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مسترده فقال : «ملوكٌ وإخوانٌ» .

[من الطويل]

ومن القصيدة العينية :

صوت

عفا ذو حساً من فرتنا فالفوارعُ فَجَبْنَا أريكُ فالتلاعُ الدوافعُ¹فمُجْتَمَعُ الأشراجِ عَيْرَ رَسَمَها مَصَافٍ مَرَّتْ بعدنا ومَربَعُ²

توهمتُ آياتِ لها فعرفتُها لِسْتةُ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

رَمادٌ ككُحْلِ العينِ ما إن أُبينه ونُوِّي كجِذَمِ الحوضِ أثلمُ خاشِعُ³

[من الخفيف]

غناه معبداً من رواية حبشٍ رملاً بالنصر .

صوت

آذنتنا بينها أسماءُ رَبُّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواءُ

بعد عهدٍ لها ببرقة شَمَا ءِ فأذني ديارها الخُلصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبينُ : الفرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثوى ثواءً . والبرقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمَاءُ والخُلصاءُ : موضعان . الشعر للحارث بن حِلْزَةَ اليَشْكُريِّ . والغناء لمعبد ، ثقیلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس من ينسبه إلى حنين .

- 1 ذو حساً وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسائل . والتلاع : جمع تلعة ، وهي هنا : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . والدوافع : التي تدفع بالماء إلى الوادي .
- 2 الأشراج : جمع شرج وهو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة .
- 3 إن أُبينه في الديوان : «لأياً أُبينه» . النوي : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شيء : أصله .

[174] - أخبار الحارث بن حِزْرة ونسبه¹

[نسبه]

هو الحارث بن حِزْرة بن مَكْرُوهُ بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عَبْدِ بن سَعْد بن جُشَم بن عاصم بن ذُبْيَان بن كِنَانة بن يَشْكُر بن بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيدَةَ بن أُسَد بن رَبِيعَةَ بن زَرَار .

[السبب في قول قصيدته المعلقة]

قال أبو عمرو الشيباني: كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك، وكان جباراً عظيم الشأن والمُلْك، لَمَّا جمع بَكراً وتَغْلِبَ ابني وائل وأصلح بينهم، أخذ من الحَيِّين رُهْناً من كلِّ حيٍّ مائة غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض؛ فكان أولئك الرُهْن يكونون معه في مسيره ويغزون معه؛ فأصابتهُم سُمُومٌ في بعض مسيرهم فهلك عامة التَّغْلِبِيِّين وسَلِمَ البَكْرِيُّونَ . فقالت تَغْلِبُ لبكر: أعطونا دِيَاتِ ابْنائنا؛ فإن ذلك لكم لازم، فأبى بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِبُ إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتغلب: بمن ترون بكراً تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلا برجل من أولاد تغلبة . قال عمرو]: أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصْلِح² أصم من بني يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرِم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرِم: يا أصم! جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك! فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا يُكْر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له: أما والله لو لطمت لك لطمَةً ما أخذوا لك بها . فقال له النعمان: والله لو فعلت ما أفلتت بها قيس أير أيبك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا جارية أعطيه لحيًا بلسان أنثى (أي سببه بلسانك) . فقال: أيها الملك أعط ذلك أحب أهلِكَ إليك . فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك؟ قال: لا! ولكن وددت أنك أمي . فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان . وقام الحارث بن حِزْرة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً، توكأ على قوسه وأنشدها وانتظم³ كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي: أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به

1 انظر أخباره في: الشعر والشعراء: 1/197-198، والخزانة 1/158، ومعاهد التنصيص 138-139 .

2 الأصلح: الأصم، والأصلح في لغة بعض قيس: الأصلح .

3 انتظم هنا: طعن .

وَضَحَّ¹ ، فقيل لعمر بن هند : إنَّ به وضحاً ؛ فأمر أن يُجعل بينه وبينه سِتْرٌ . فلَمَّا تكلَّم أُعجب بمنطقه ؛ فلم يزل عمرو يقول : أدُنُوهُ أدُنُوهُ حتى أمر بطرح السِتْرِ وأقعدته معه قريباً منه لإعجابه به . هذه رواية أبي عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحوهً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كلِّ حيٍّ وأصلح بينهم بذي المجاز² ، وذكر أن الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا . وقال في خبره : إنَّ الحارث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته :

قفي قبل التفرق يا ظعينا

وغير الأصمعيُّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبيُّ عن أبيه أن الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء ، وكان قد شرط : أيُّ رجلٍ وُجد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه ، وإن وُجد بين مَحَلَّتَيْنِ قيسَ ما بينهما فيُنظرُ أقربهما إليه فتضمَّن ذلك القتل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرة بن همام . ثم إنَّ المنذر أخذ من الحيين أشرافهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة ؛ فشرط بعضهم على بعض وتوثقوا على ألا يُقبي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغلاق . وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة :

فَهَلَّا سَعَيْتَ لصلح الصديق	كصلح ابن مارية الأقصم ³
وقيسٌ تدارك بكر العراق	وتغلب من شرها الأعظم
وبيت شراحيل في وائل	مكان الثريا من الأنجم
فأصلح ما أفسدوا بينهم	كذلك فعل الفتى الأكرم

ابن مارية هو قيس بن شراحيل . ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند . فلبثوا كذلك ما شاء الله ، وقد أخذ المنذر من الفريقين رهناً بأحداثهم ؛ فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن . فسرَّح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طيِّء في أمر من أمره ، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات . فذكروا أنهم أجلَّوهم عن الماء وحملوهم على المفازة ، فمات القوم عطشاً . فلَمَّا بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَّوه على

1 الوضح هنا : البرص .

2 ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .

3 الأقصم : المكسور الثنية من النصف .

بكر ، وقالوا : غَدَرْتُمْ ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء . وقال بكر : أتم الذين فعلتم ذلك ، قدفتموننا بالعضية¹ وسمعتهم الناس بها ، وهتكتهم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا . قد سقيناهم إذ وردوا ، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا ، فهل علينا إذ حار القوم وضلوا ! ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة :

لَمْ يَغْرُوكُمْ غُرُورًا وَلَكِنْ يَرْفَعُ الْآلُ جِرْمَهُمُ وَالضَّحَاءُ

[كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد]

وقال يعقوب بن السكيت : كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يُلم . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدَّةٍ من أيام العرب غير بعضها بني تغلب تصریحاً ، وعرض بعضها لعمر بن هند ؛ فمن ذلك قوله : [من الخفيف]

أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْ سَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ

قال : وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك ، فبعث إليهم رجلاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقتلوا ولم يُدرك بثأرهم ؛ فغيرهم بذلك . هكذا ذكر الأصمعي . وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت ، فلم يكن في ذلك منهم شيء² ولا أدركوا ثأراً . قال : وهكذا البيت الذي يليه وهو :

أُم عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةَ أُم لَيْس عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْنَا أُنْدَاءُ³

فإنه غيره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعل كندة ، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً . قال : وقوله :

أُم عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةَ أُم مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبِ غَبْرَاءُ⁴

قال : وكانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر ، فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملّكه ويكون من قبلة ؛ فركن المنذر إلى ذلك وأقام العلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلة ، وتفرق من كان مع المنذر ، واتهبوا عسكره . فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة . قال وقوله :

1 العضية : الإفك والبهتان والقالة القبيحة .

2 ل : تغيير .

3 الجرى : الجناية . الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يلحق بالإنسان من شر .

4 غبراء : أي جماعة غبراء ، يريد الفقراء الصعاليك . والغبراء أيضاً : الأرض .

وثمانون من تميم بأيديهم رماح صدورهنّ القضاء¹
يعني عمراً أحد بني سعد [بن زيد] مناة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم
من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنطاق قرية من
البحرين ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يدرك منه بثار . قال : وقوله : [من الخفيف]
ثمّ خيّل من بعد ذلك مع الغلّاء ق لا رأفة ولا إقواء
قال : الغلّاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثاره من غسان ؛ فامتنعوا
وقالوا : لا نطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظنّ ابن هند أنّا له رعاء ! . فغضب عمرو بن هند
وجمع جمعواً كثيرة من العرب ؛ فلما اجتمعت آلى ألا يغزوا قبل تغلب أحداً ؛ فغزاهم فقتل
منهم قوماً ، ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم ، فأمسك عن بقيتهم ، وطئت دماء
القتلى . فذلك قول الحارث :

مَنْ أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطَلُوا لُ عَلَيْهِ إِذَا تَوَلَّى الْعَفَاءُ

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكرٍ عنده فقال : [من الخفيف]

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا تَ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ
آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا عُوا جَمِيعاً لِكُلِّ حِيٍّ لُؤَاءُ²
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتَمِينَ بِكَبْشٍ قَرْظِيٍّ كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ³
فَرَدَدْنَاهُمْ بِضَرْبِ كَمَا يَخِ رُجٌ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ⁴
ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارَسِيَّةٌ خَضْرَاءُ⁵
أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ ذُو أَشْبَالٍ وَرَبِيعٌ إِنْ شَنَعَتْ غَبْرَاءُ⁶

1 القضاء هنا : الموت .

2 شارق : جاء من قبل المشرق .

3 المستلم : لابس الامة وهي الدرع . وقرظي : نسبة إلى البلاد التي بنيت فيها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .

4 خربة المزادة : يريد القرية وهي مسيل الماء منها .

5 فارسية : أي كنية سلاحها من فارس . ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح .

6 ذو أشبال في الديوان ص 51 : ورد هموس ، والمعلقات العشر ص 363 ؛ الهموس : الخفي الوطء . شنت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

فرددناهُمُ بطعن كما تُنْ - هَزُّ فِي جُمَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءِ¹
 وفككنا غُلَّ امرىء القيسِ عنه - بعد ما طال حبسُهُ والعناءُ
 وأقذناه رَبَّ غَسَّانَ بالمدِّ - لَذِرِ كَرْهًا وما تُكَالِ الدَّمَاءُ²
 وفديناهُمُ بتسعة أملا - لِ كِرَامِ أُسْلَابِهِمُ أَغْلَاءِ³
 [ومع الجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الْأَوْ - سِرِّ عَنُودٍ كَانَتْهَا دَفُوءًا]⁴

يعني بهذه الأيام أياماً كانت كلُّها لبكر مع المنذر؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيكَرِبٍ ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُعيرون على إبل لعمر بن هند، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يومُ غَزَا حُجْر الكِنْدِيِّ، وهو حُجْر بن أُمِّ قَطَامٍ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لقيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة، وكانت بكر مع امرىء القيس، فخرجت إلى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه. وقوله: [من الخفيف]

فككنا غُلَّ امرىء القيس عنه

وكانت غَسَّانُ أُسْرته يوم قَتَلَ المنذرُ أبِيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوَادِي الشَّامِ فقتلوا ملكاً من ملوك غَسَّانِ واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُونُ. وقوله: «وفديناهُمُ بتسعة . . .» يعني بني حُجْر آكِلِ المُرَارِ. وكان المنذر وجه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْرُ الأَمْلَاكِ. قال: والجون جون آل بني الأوس: ملك من ملوك كِنْدَةَ وهو ابن عمِّ قيس بن مَعْدِيكَرِبٍ. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرَارِ ومعه كتيبةٌ خَشْنَاءُ، فحاربتَه بكرٌ فهزَموه، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلَمَّا فَرَّغَ الحارث من هذه القصيدة حكَمَ عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ؛ ففَرَّقُوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى همَّ باستخدام أمِّ عمرو بن كلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً؛ فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يُدَكِّرُ هناك.

1 نهز الدلاء: تحريكها لتمتليء.

2 وما تكال في ل: وما تطل.

3 أغلاء: غالية.

4 عنود هنا: الكتيبة. الدفواء: المائلة. والدفواء: العقاب لعوج مقارها.

[قصيدته الدالية]

قال يعقوب بن السكيت أنشدني النضر بن شميل للحارث بن حنيفة ، وكان يستحسنها
ويستجيدها ويقول : لله دَرُه ما أشعره :

[من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ	نِ الدَّهْرِ مَالَ عَلِيٍّ عَمْدَا
أُودَى بِسَادَتِنَا وَقَدْ	تَرَكَوْا لَنَا حَلَقًا وَجُرْدًا ¹
خَيْلِي وَفَارَسُهَا وَرَ	بُّ أَبِيكَ كَانَ أَعَزَّ فَقْدَا
فَلَوْ أَنَّ مَا يَأْوِي إِ	لَيَّ أَصَابَ مِنْ ثَهْلَانٍ هَدَا ²
فَضَعِي قِنَاعَكَ إِنَّ رِيَّ	بَ الدَّهْرِ قَدْ أَفْنَى مَعْدَا
فَلَكُمْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا	قَدْ جَمَعُوا مَالًا وَوُلْدَا
وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ	لَا تَسْمَعُ الْآذَانَ رَعْدًا ³
فَعَيْشٌ بَجْدٌ لَا يَضِرُّ	كَ النَّوْكَ مَا لَاقَيْتَ جَدَا
وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَا	لِ النَّوْكَ مِمَّنْ عَاشَ كَدَا

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى لعبد الله بن
العباس الربيعي ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت

[من الوافر]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا	وَلَا تُبْقِي خَمُورَ الْأَنْدَرِينَا ⁴
مُشَعَّشَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا	إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا ⁵

عروضه من الوافر . الشعر لعمر بن كلثوم التغلبي . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أولٌ بالخنصر

في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو .

1 الخلق هنا : الدروع .

2 ثهلان : جبل .

3 الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .

4 أندرين : قرية كانت جنوبي حلب شهيرة بالخمير .

5 مشعشة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . الحُص : الورس أو هو الزعفران .

[175] - نسب عمرو بن كلثوم وخبره¹

[نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه]

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم [بن بكر] بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . وأمّ عمرو بن كلثوم ليلي بنت مهلهل أخي كليب ، وأمّها بنت بعيج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني العُكَلِيُّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن خیراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عتّاب قال : سمعت الأَخْذَر ، وكان نَسَابَةً ، يقول : لما تزوّج مهلهل بنت بعيج بن عتبة أهديت إليه ، فولدت له ليلي بنت مهلهل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتليها . فأمرت خادماً لها أن تُغَيِّبها عنها . فلما نام هتف به هاتفٌ يقول :

كَمَ مِنْ فَتَى يُومَلُ وَسَيِّدِ شَمَرْدَلٍ²
وَعُدَّةٌ لَا تُجْهَلُ فِي بطنِ بِنْتِ مَهْلَهْلٍ

واستيقظ فقال : يا هند أين بنتي ؟ قالت : قتلتها . قال : كلاًّ وإله ربيعة ! ، فكان أوّل من حلف بها ، فاصدقيني ، فأخبرته . فقال : أحسني غداءها . فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عتّاب .

[أُمّه ترى مناماً في حملها به]

فلما حملت بعمر بن كلثوم قالت : إنّه أتاني آتٍ في المنام فقال :

يَا لَكَ لَيْلِي مِنْ وَكْدٍ يُقَدِّمُ إِقْدَامَ الْأَسَدِ
مِنْ جُشَمٍ فِيهِ الْعَدَدُ أَقُولُ قِيلاً لَا فَنَدُ

فولدت غلاماً فسمّته عمراً . فلما أتت عليه سنة قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه ،

فأشار إلى الصبيّ وقال :

إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمَّ عَمْرٍو بِمَا جَدِ الْجَدِّ كَرِيمِ النَّجْرِ

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/234-236 ، والخزانة 1 : 517-521 . وشواهد المغني 44-45 .

2 الشمردل : القويّ الفتيّ الحسن الخلق .

أشجعَ من ذي لَبْدٍ هِزْبِرٍ وَقَاصِرٍ أَقْرَانٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ¹
يسودُّهم في خمسةٍ وعشرٍ

قال الأَخْذَرُ : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة .

[قصة قتله لعمر بن هند]

قال أبو عمرو حدثني أُسْدُ بن عمر الحَنْفِيُّ وَكَرْدُ بن السَّمْعِيِّ وَغَيْرُهُمَا ، وقال ابن الكلبيّ حدثني أبي وَشَرْقِيُّ بن القَطَامِيِّ ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيْبَةَ : أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأتف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم ! أم عمرو بن كلثوم . قال : ولم ؟ قالوا : لأن أباهم مُهْلَهْلُ بن ربيعة ، وعمها كُليبُ وائلُ أعزُّ العرب ، ويعلمها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب ، وابنها عمرو وهو سيّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ويساله أن يُزيّر أمه أمه . فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغلب ، وأقبلت ليلي بنت مهلهل في طُعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفُرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلي وهند في قُبّة من جانب الرّواق . وكانت هند عمّة امرئ القيس بن حُجْر الشاعر ، وكانت أمُّ ليلي بنت مُهْلَهْل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تتحى الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدم ليلي . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني يا ليلي ذلك الطبق . فقالت ليلي : لَتَقْمُ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألحّت . فصاحت ليلي : وأدلاء ! يا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّم في وجهه ؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمر بن هند مُعلّقٍ بالرّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

[من الوافر]

ألا هُبَّيْ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

[تعظيم تغلب قصيدته المعلقة]

وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظّمها جدّاً ويرونها صغارهم وكبارهم ، حتى هُجُوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل : [من البسيط]

1 الوقص : الكسر والدق . شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخ .

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشيعر غير مستوم
 [فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند]

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل : [من الكامل]

ما ضرّ تغلب وائل أهجوتها أم بُلّت حيث تناطح البحران
 قومٌ هم قتلوا ابنَ هندی عنوةً عمراً وهم قسَطُوا على النُّعمان¹

وقال أفنون² صريمّ التغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له : [من الطويل]

لعمرك ما عمرو بن هندی وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموقف³
 فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيف مُصليّاً فأمسك من ندمانه بالمخنق⁴
 وجلّله عمرو على الرأس ضربةً بذبي شطبٍ صافي الحديد روثق

[إخوته وعقبه]

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المنذر بن النعمان وأخاه . وإياه عنى الأخطل بقوله لجرير : [من الكامل]

أبني كليب إن عمي اللذا قتل الملك وفككا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد ، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس . ولعمرو بن كلثوم عقب باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر صاحب الرسائل .

[أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحوّل عن ابن الأعرابيّ قال : أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غزوه ذلك على حيّ من بني قيس بن ثعلبة ، فملاً يديه منهم وأصاب أسارى وسبائيا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعديّ ، ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل ، فسميع به أهل حَجْر⁵ ؛ فكان أول من أتاه من بني حنيفة بنو سُحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رآهم

1 قسطوا : جاروا .

2 أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تميم بن عمرو بن تغلب .

3 ليلي في ل : أمي .

4 أصلت السيف : جرّده من غمده . المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

5 حَجْر : عاصمة اليمامة .

عمرو بن كلثوم ارتجز فقال : [من الرجز]

مَنْ عَادَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا اجْتَبَرُ وَلَا سَقَى الْمَاءَ وَلَا أَرعى الشَّجَرَ

بَنُو لُجَيْمٍ وَجَعاسيسُ مُضَرِّ بِجَانِبِ الدَّوِّ يُدْهَدُونُ العَكَرَ¹

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره . وكان يزيد شديداً جسيماً ،

فشده في القيد وقال له : أنت الذي تقول : [من الوافر]

مَتَى تُعَقِّدُ قَرِينَتَنَا بِجَبَلٍ تَجُدُّ الحَبْلَ أَوْ تَقْصِرِ القَرِينَا²

أما إنني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعاً . فنادى عمرو بن كلثوم يا لربيعة ! أمثلة !

قال : فاجتمعت بنو لُجَيْمٍ فَهَوَّهَ ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قَصْرًا بِحَجْرٍ من

قصورهم ، وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجييه وسقاه الخمر . فلما أخذت

برأسه تغنى : [من الوافر]

أَجْمَعَ صُحْبَتِي السَّحَرَ ارتحالا ولم أشعُرْ بَيْنِي مِنْكَ هالاً³

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَالَةٍ فِي مَعَدِّ أَشَبَّهُ حَسَنَهَا إِلَّا الهِلَالَا

أَلَا أبلغُ بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ كَلِّمَا أَيْ جِلَالَا⁴

بأنَّ الماْجِدَ القَرَمَ ابنَ عمرو غداةً نطاعٍ قد صدق القتالا⁵

كَيْبَيْتُهُ مُلْمَمَةٌ رَداحٌ إذا يرمونها تُفْنِي النَّبالَا⁶

جزى الله الأغرَّ يزيدَ خيراً ولَقَّاهُ المَسْرَةَ والجَمالَا

بماخِذِهِ ابنَ كلثومِ بنِ عمرو يزيدَ الخَيْرِ نازِلَهُ نزالَا

بِجَمْعِ مَنْ بَنِي قُرَّانَ صَيْدِ يَجِيلُونَ الطَّعَانَ إذا أَجالَا⁷

يزيدٍ يقدِّمُ السفراءَ حتى يُروِّي صَدْرَها الأَسَلَ النَّهالَا

1 هو لُجَيْمُ بنِ صعبٍ ؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . الجعاسيس : اللثام الخلق والخلق . واحدها جعسوس .

يدهدون : يدرجون ويقلبون .

2 في الديوان ص 65 والمعلقات العشر ص 312 : متى نَعَقِدُ . . . نَجِدُ .

3 أي هالة .

4 جلال : جمع حلة وهي البيوت ومجتمع القوم .

5 نطاع : أرض .

6 مللمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة .

7 قُرَّان : حصن باليمامة .

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ بيني تغلب فلم يكرموه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأحوّل عن ابن الأعرابيّ قال : زعموا أنّ بني تغلبَ حاربوا المنذرَ بنَ ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه . فمرّ بهم عمرو بن أبي حجر الغسانيّ ، فتلّفاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عمرو ، ما منع قومك أن يتلقّوني؟! فقال له : يا عمرو يا خيرَ الفتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قطّ إلاّ علّا فيها أمرهم واشتدّ شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نومةٍ ليس فيها حلم ، أجتثّ فيها أصولهم ، وأنفي فلهم¹ إلى اليأس الجرد ، والنازح الثمّد² . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول : [من الوافر]

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا على عمدي سنأتي ما نريد
تعلم أن محمّلنا ثقيلٌ وأن زناد كبتنا شديد³
وأنا ليس حيّ من معدّ يوازننا إذا لبس الحديد

[مجاوّه للنعمان بن المنذر]

قال : وقال ابن الأعرابيّ : بلغ عمرو بن كلثوم أنّ النعمان بن المنذر يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه :

ألا أبلغ النعمان عنّي رسالةً فمدحك حوليّ وذمك قارح⁴
متى تلقني في تغلب ابنة وائلٍ وأشياعها ترقى إليك المسالِح⁵

وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيراً ، منه قوله يعيره بأمه سلّمي : [من البسيط]

حلّت سلّمي بخبتٍ بعد فرتاجٍ وقد تكون قديماً في بني ناج⁶
إذ لا تُرجي سلّمي أن يكون لها من بالخوزنق من قينٍ ونساج
ولا يكون على أبوابها حرسٌ كما تلّف قنطيّ بديباح
تمشي بعدلين من لومٍ ومنقصةٍ مشيّ المقيّد في اليئوت والحاج⁷

قال وقال في النعمان :

[من الطويل]

1 الفل : القوم المنهزمون . والجرد : من الأرض ما لا يبيت .

2 النازح : الذي نفذ ماؤه . والتمد : الماء القليل الذي لا مادّ له .

3 الكبة : الحملة في الحرب والدفعة في القتال .

4 الحوليّ : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شقّ نابه .

5 المسالِح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .

6 الخبت من الأرض : المطمئن . وفرتاج : موضع . وبنو ناج : بطن من عدوان .

7 الحاج : الشوك أو ضرب منه .

لحا الله أدنانا إلى اللوم زلفةً والأمنأ خالاً وأعجزنا أبا¹
وأجدرنا أن ينفخ الكبير خاله يصوغ القروط والشنوف بيثربا

[وفاته ونصيحته لابنه]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عليّ بن المغيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النمر بن قاسط قال : لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة ، جمع بنيه فقال : يا بنيّ ، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحدٌ من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما عبرت أحداً بشيء إلا عيرتُ بمثله ، إن كان حقاً فحقاً ، وإن كان باطلاً فباطلاً . ومن سبّ سبّاً ؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثنائكم ، وامنعوا من ضيم الغريب ؛ فربّ رجلٍ خيرٌ من ألف ، وردّ خيرٌ من خلف ، وإذا حدثتم فمعا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهدار² . وأشجعُ القوم العطوفُ بعد الكرّ ، كما أنّ أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رويّة له عند الغضب ، ولا من إذا عوتب لم يُعتب³ . ومن الناس من لا يرجي خيره ، ولا يخاف شرّه ؛ فبكوّه⁴ خيرٌ من ذره ، وعقوفه خيرٌ من برّه . ولا تتزوجوا في حيّكم فإنه يؤدي إلى قبيح البغض .

صوت

[من الكامل]

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيح زماننا بزمان⁵
صدع الغواني إذ رمين فواده صدع الزجاجة ما لذاك تداني
إن زرت أهلك لم أنول حاجة وإذا هجرتك شفني هجراني

الشعر لجريير يهجو الأخطل ويردّ عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه . والغناء ، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجم في كتابه الذي لقبه بالحدث ، لمعبّد ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه لحنين ، قال ويقال : إنه لمعبّد . وفيه ليزيد حوراء لحنّ ذكره عبد الملك بن موسى عنه ، وقال : لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حبش أنّ الثقيل الأوّل للغريض وأنّ خفيف الرمل بالبصر للدلال .

1 الزلفة : القرية والدرجة والمنزلة .

2 الأهدار : جمع هذر وهو سقط الكلام .

3 الإعتاب : إرضاء العاتب والاسم منه : العتبي .

4 أصل البكء : قلة اللبن أو انقطاعه .

5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[176] - ذكر الخبر عن السب في اتصال الهجاء

بين جرير والأخطل

[سب التهاجي بين جرير والأخطل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا حدثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة ، وأخبرنا الصوّليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، وقد جمعت رواياتهم . قال أبو عبيدة حدثني عامر بن مالك المسمعيّ قال : كان الذي هاجّ التهاجي بين جرير والأخطل أنّه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك ، وهو أكبر ولده وبه كان يُكنى : انحدِرْ إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما . فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه . فقال له : كيف وجدتهما ؟ قال : وجدتُ جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر . فقال الأخطلُ : الذي يغرف من بحرٍ أشعرهما ؛ وقال يفضّل جريراً على الفرزدق :

[من البسيط]

إني قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ لَمَّا سمعتُ ولَمَّا جاءني الخَبْرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نعامته وعضّه حيّةً من قومه ذَكَرُ

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُراتُ به» . قال أبو عبيدة : ثم إنَّ بشرَ بن مروان دخل الكوفة ، فقدم عليه الأخطلُ ، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زُرارة بألف درهم وكُسوة وبغلة وخمّر ، وقال له : لا تُعِنْ عليّ شاعرنا ، واهجُ هذا الكلب الذي يهجو بني دارم ؛ فإنك قد قضيتَ عليّ صاحبنا ، فقلْ أبياتاً . واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل :

[من الكامل]

أجريرُ إنكَ والذي تسمو له كأسيفَةٍ فَخَرَتْ بِجِدَجِ حِصَانِ¹
عَمِلَتْ لربِّها فلَمَّا عُوليتُ نَسَلَتْ تعارضها مع الرُّكبانِ²

1 الأسيفة : الأمة . والجِدَج : مركب من مراكب النساء يشبه الخفة . والحِصَان : العفيفة أي الحرة التي تقابل الأمة .

2 عملت في الديوان : «حملت» . وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت . ونسلت : أسرعت في المشي .

أَتَعُدُّ مَأْتِرَةً لِعَفِيكَ فَخَرُّهَا وَتَنَاوَّهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
تَاجُ الْمُلُوكِ وَفَخَرُهُمْ فِي دَارِمٍ

[من الكامل]

وهي طويلة يقول فيها :

فَاخْسَأْ إِلَيْكَ كَلْبُيبُ إِنْ مُجَاشِعًا وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخَوَانِ
سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ أَعْلَى تَلْعَةٍ فِي الْمَجْدِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الرُّكْبَانِ²
قَوْمٌ إِذَا خَطَرْتُ عَلَيْكَ قُرُومَهُمْ أَلْقَتَكَ بَيْنَ كَلَاكِلِ وَجْرَانِ³
وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ⁴

[من الكامل]

وقال جرير يرّد حكومة الأخطل :

لِمَنْ الدِّيَارُ بِيرْقَةَ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانَنَا بِزَمَانِ⁵

[من الكامل]

وهي طويلة يقول فيها :

يَا ذَا الْغَبَاوَةِ إِنْ بَشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةَ النَّشْوَانِ
فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شِيْبَانِ
قَتَلُوا كَلْبِيْبَكُمْ بِلِقْحَةِ جَارِهِمْ يَا خُرْزَرُ تَغْلِبْ لَسْتُمْ بِهِيْجَانِ⁶

[قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها]

[من الطويل]

ومما غني فيه من نقائض جرير والأخطل :

صوت

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا
فَقَلْتُ أَصْبَحُونِي لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا⁷
تَمَرٌ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا وَبَارِحًا وَتُرْفَعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُنزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعنى بالشاصيات هاهنا الرقاق ، لأنها إذا

1 صدر البيت في الديوان : في دارم تاج الملوك وصهرها . يربوع : جد لجرير .

2 أعلى تلعة في الديوان : مجمع تلعة .

3 الجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منخره .

4 شولان الميزان : ارتفاع إحدى كفتيه .

5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

6 اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر : جمع أخزر ؛ والخزر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام .

7 الأثقال : الأمتعة ، واحدها ثقل .

امتلاأت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصَا بِرَجْلِهِ إِذَا رَفَعَهَا ، وَشَصَا بِيَصْرِهِ إِذَا شَخَّصَ ؛ قَالَ
الراجز يصف الشاخصَ :

وَيَقْرِ خَمَاصٍ يَنْظُرُنَّ مِنْ خِصَاصٍ¹
بِأَعْيُنٍ شَوَاصِي كَفَلَقِ الرَّصَاصِ

والساخ والسنيع : ما جاء عن يمينك يريد شمالك . والبارح : ما جاء عن شمالك
يريد يمينك . والجابهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقعيدُ والخفيفُ : ما جاء من
ورائك . شبه دَوْرَ الكأسِ واختلافها بينهم بالسواخ والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء
لمالك ، فيه لحنان كلاهما له : أَحَدُهُمَا رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا فِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ عَلَى الْوِلَاءِ
مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ ، وَالْآخَرَ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى فِي الثَّلَاثِ ثُمَّ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي عَنْ عَمْرٍو .
وذكر عمرو أن الرملَ أيضاً لابن سُرَيْجٍ وَأَنَّهُ بِالْوَسْطَى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في
الأوّل والثاني عن الهشاميِّ وعمرو . وفيه لابن مُحَرَّرٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو
والهشاميِّ .

[من البسيط]

ومنها :

صوت

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرَفِهَا غَيْرُ
كَأَنَّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ مِنْ قَرَقَفٍ ضُمَّتْهَا حِمَصٌ أَوْ جَدَرُ²
جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْقَارِ مُتْرَعَةً كَلَفَاءُ يَنْحَتُّ مِنْ خُرْطُومِهَا الْمَدْرُ
يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَصَلَ الْغَانِيَاتِ إِذَا أَيْقَنَ أَنَّكَ مِمَّنْ قَدَ زَهَا الْكَبِيرُ
أَعْرَضَنَ لَمَّا حَنِى قَوْسِي مُوتَّرُهَا وَابْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ اللَّمَّةِ الشَّعْرُ

اسْتَبَدَّ بِهِمْ أَي عُلِيَ عَلَيْهِمْ . وَالْقَرَقَفُ : الَّتِي تَأْخُذُ شَارِبَهَا رِعْدَةً لَشِدَّتِهَا . وَالْكَفَاءُ :
الْخَائِبَةُ فِي لَوْنِهَا كَلَفٌ³ . وَقَوْلُهُ «زَهَا الْكَبِيرُ» يَعْنِي اسْتَخْفَهُ وَأَضْعَفَهُ ؛ يُقَالُ : زَهَا
وَأَزْدَاهَا . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْأَصْلُ فِي زَهَاؤِ رَفَعَهُ ؛ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ رَفَعَهُ فِي عُلُوِّ سِنِّهِ عَمَّا
يُرْدُنَ مِنْهُ . وَاللَّمَّةُ : الشَّعْرُ الْمُجْتَمِعُ .

1 خصاص : ضامرات البطون ، الواحد خَمَصَانٌ لِلذَّكَرِ ، وَخَمَصَانَةٌ لِلْمُؤَنَّثِ . الْخِصَاصُ : الْخُرُوقُ ، وَاحِدُهَا
خِصَاصَةٌ .

2 قرقف : في ل : قهوة .

3 الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبنى كليب ، ويقول فيها :

[من البسيط]

عند التفاخرِ إيرادٌ ولا صدرٌ ¹	أما كليبٌ بنُ يربوعٍ فليس لها
وهمٌ بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا	مُخَلَّفون ويقتضي الناسُ أمرهمُ
ينفكُ من دارِميٍّ فيهمُ أثرٌ ²	مُلَطَّمون بأعقارِ الحياضِ فما
إذا جرى فيهمُ المِزاءُ والسكَّرُ	بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شربهمُ
وكلُّ فاحشةٍ سبَّت بها مُضِرُّ	قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مُخزِيَّةٍ
والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ ما الخبيرُ	الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدهمُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدمه ومما غلب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه بيتين من شعره فقال :

[من البسيط]

والنَّازلونَ إذا واراهاهمُ الخمرُ ³	الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدهمُ
والسائلونَ بظهر الغيب ما الخبيرُ	والظاعنون على العمياء إن رَحَلُوا

وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدح عبد الملك :

[من البسيط]

أظفره الله فلْيَهْنِيءَ له الظَّفَرُ	إلى امرئ لا تُعَرِّينَا نوافله
خليفةُ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ	الخائضُ العَمْرُ والميمون طائرُه
بالحزْمِ والأصمَعانِ القلبُ والحذرُ ⁴	والهمُّ بعد نَجِيٍّ النفسُ يَبْعَثُه
في حافتيه وفي أوساطه العُشْرُ ⁵	وما الفُراتُ إذا جاشت غواربه
فوق الجأجيء من آذيه عُذْرُ ⁶	وزعزعته رياحُ الصَّيْفِ واضطربتُ

1 عند التفاخر في الديوان سند التفارط : التقديم في الماء .

2 الأعقار : جمع عُقْر وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

3 الخمر : وارك من شجر وغيره .

4 الأصمعان : القلب والحذر .

5 جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعالیه ، وفي الديوان : حوالبه . والعشر : الشجر .

6 زعزعته : حركته ، وفي الديوان : ذعذعته . الجأجيء : الصدور ، واحدها جَوْجُو . والآذي : الموج . والعُذْر :

جمع غدِير .

مُسْحَنَفِرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ
فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا
حُشْدٌ عَلَى الْخَيْرِ عَيَافُو الْخَنَا أَنْفٌ
لَا يَسْتَقِلُّ ذُوو الْأَضْغَانِ حَرَبَهُمْ
شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
مِنْهَا أَكْفَيْفٌ فِيهَا دُونَهُ زَوْرٌ¹
وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ
مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ²
إِذَا أَلَمْتَ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرٌ³
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا⁴

[مدح الرشيد بيتاً للأخطل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصباح عن أبيه : أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه : أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك :

شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

[مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال : قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِيفَافِي سَرِيرِهِ
إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهات والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل :

شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

قال : فغضب المهدي حتى استشاط وقال : كذب والله ابن النصرانية العاض بظن أمه وكذبت يا عاض بظن أمك ! والله لولا أن يقال : إني خفرت⁵ بك لعرفتك من أكثر شعراً !

1 مسحفر : سريع الجري . جبال في ل : بلاد . أكافيف الجبل : حيوده أو حروفه الناتئة في أعرضه . والزور : الميل .

2 النبع : نوع من الشجر . يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .

3 استقل الشيء : حمله .

4 شمس : جمع شمس ، وهو من الرجال العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .

5 ل : خرفت . وخفرت فلاناً وخفرت به إذا أجرته وأمنته .

خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عني ! فأخرجوه على تلك الحال ، وجعل يشتمه وهو يُجرُّ ويقول : يا ابن الفاعلة ! أراها في رؤوسكم وأنفسكم !

صوت

[من البسيط]

إِنِّي أَرِقْتُ وَلَمْ يَأْرُقْ مَعِيَ صَاحٍ لِمُسْتَكْفٍ بُعِدَ النَّوْمُ لَوَّاحٍ
دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدُبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

عروضه من البسيط . الشعر لأوس بن حجر ، وهكذا رواه الأصمعي ، أخبرنا بذلك اليزيدي عن الرياشي عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والحسين بن محرز لحن في البيت الثاني وبعده :

إِنْ أَشْرَبِ الْخَمْرَ أَوْ أُغْلَى بِهَا ثَمْنًا فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنْتِي صَاحٍ
وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله : مُسْتَكْفٍ : يعني مستديراً ؛ وكلُّ طُرَّةٍ كِفَّةٌ . أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شجاعاً¹ عرض له في طريقه : تبني شجاع من هذه الشجعان ، فمرّ خلفي كأنه سهم زالج ، فجدتُ عنه ، واستكف كأنه كُفَّةٌ حابلٍ ، فرميتُه فنظرت ثلاثة أثنايه² . وكذلك يقال كُفَّةُ الحابل وكِفَّةُ الميزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاح يلوح إذا ظهر . ومسفّ : قد أسفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قُرب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أسفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهيدُبُهُ : الذي تراه كالتعلق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِفَ به السحاب .

1 الشجاع : الحية الذكر ، أو الحية مطلقاً ، أو هو ضرب من الحيات .

2 أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتنتت ، واحدها ثني . ويقال أيضاً مثاني الحية ، جمع مثناة .

[177] - ذكر أوس بن حجر¹ وشيء من أخباره

[نسه]

وقد احتلّف في نسبه ، فقال الأصمعيّ ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه : هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيّل بن خلف بن نمير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكريّ عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها .

[منزله في الشعر]

وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرّنه بالحطيئة ونابغة بني جعدة . فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدّثنا يونس عن أبي عمرو قال : كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أوس بن حجر فحلّ الشعراء ؛ فلما نشأ النابغة طأطأ منه . وأمّا الكلبيّ فإنه زعم أن من هذه الطبقة لبيد بن ربيعة والشماخ بن ضرار . قال : وتميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس . قال : ومنهم من يقول بتقديم عديّ ؛ وأنشد لحارثة بن بدر الغدانيّ : [من الكامل]

والشعرُ كان مبيته ومطلُّه عند العباديّ الذي لا يُجهلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حماد : أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضلون على عديّ في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيديّ عن الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد ، وذلك غلطٌ ؛ ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويّها لتشابههما .

[تمثل فتاة أعرابية بشعره في السحاب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحمش قال أخبرنا أبو سعيد السكريّ قال حدّثنا عليّ بن الصباح قال حدّثني عبيد الله بن الحسين بن المسودّ بن وردان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال : خرج أعرابيّ مكفوف ومعه ابنة عمّ له لرعي غنمهما . فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . فقالت : أراها كأنها ربّ ربّ معزى هزلى . قال :

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 1/202-209 ، والخزانة 2 : 235-236 ومعاهد التصييص : 61-65 .

ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم قال لها بعد ساعة : إني أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . قالت : أراها كأنها يغالُّ دُهمٌ تجرُّ جلالها . قال : ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم مكث ساعة ثم قال : إني لأجد ريح النسيم قد دنا ، فانظري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أصحَرَ . فقال : ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم مكث ساعة فقال : إني لأجد ريح النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر :

دانٍ مُسِفٌ فوقَ الأرضِ هيدُبُه يكاد يدفعه مَنْ قام بالراح
كأنما بين أعلاه وأسفله رِيْطٌ مُنْشَرَةٌ أو ضوءٌ مصباح
فمَنْ بِمَحْفِلِه كَمَنْ بِنَجْوَتِه والمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرَواح

فقال : أنجبي لا أبا لك ! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي .

معنى قول الجارية « كأنها بطن حمار أصحَرَ » : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : « فَمَنْ بِمَحْفِلِه كَمَنْ بِنَجْوَتِه » : يعني مَنْ هو بحيث احتفل السيلُ ، واحتفالُ كلِّ شيءٍ مُعْظَمُه ، كمن في نجوته . وقد روي « بِمَحْفِشِه » ، وهما واحد ، ومعناها مجرى معظم السيل . يقول : فَمَنْ هو في هذا الموضع منه كَمَنْ بِنَجْوَتِه (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرَواح : الفضاء ؛ يقال قِرَواحٌ وقِرَياحٌ . ويقال في معنى المحفِش . حَفَّشَت الأودية إذا سالت ، وتحفَّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

[كان يسير ليلاً فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة بن كعدة ، فمدحه]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني علي بن أبي عامر السهمي المصري قال حدثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدثني أبو محمد الباهلي عن الأصمعي ، وذكر هذا الخبر أيضاً التوزي عن أبي عبيدة ، فجمعت روايتهما ، قالا : كان أوس بن حجر غزلاً مُغرماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأرض بني أسد بين شرج وناظرة¹ ، فبينما هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غداً جوارِي الحي يجتنبن الكمأة وغيرها من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينما هن كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه ملقى ، ففرعن فهربن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا حلّيمة بنت فضالة بن كعدة ، وكانت أصغرهن ؛ فأعطاها حجراً وقال لها : اذهبي إلى أهلك فقولي له : ابنُ هذا يُفِرِّتُك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنَيَّة ،

لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صرِع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرا ؛ وكانت حليلة تقوم عليه حتى استقل . فقال أوس بن حجر في ذلك :

[من المتقارب]

جُدِلْتُ على ليلَةٍ سَاهَرَه بصحراء شَرَحَ إلى ناظره¹
تُزَادُ لِيَالِيَّ في طُولِهَا فليست بَطَلَقِي ولا ساكره²
أَنوؤُا بِرَجَلِهَا ذَهْنَهَا وأَعَيْتُ بِهَا أُخْتَهَا الغابره³

وقال في حليلة :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما مَلَّتْ ثَوَاءً تُؤِيَّهَا حليلةٌ إِذْ أَلْقَى مَراسِيَّ مُقَعَدِ⁴
ولكن تَلَقَّتْ باليدينِ ضَمَانَتِي وحَلَّ بِشَرَحٍ مِ القَبائلِ عَوْدِي⁵
ولم تُلْهِهَا تلكَ التكاليفُ إِنها كما شَعَتَ من أَكرومَةٍ وَتَحْرُدِ⁶
سَأْجِزِيكَ أو يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوَّبٌ وَقَصْرُكَ أَن يُنْثَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي⁷

[رثى فضالة بن كلدة حين مات]

قالا : ثم مات فضالة بن كلدة ، وكان يكنى أبا ذليجة ، فقال فيه أوس بن حجر

[من البسيط]

يرثيه :

يا عَيْنُ لا بدَّ من سَكَبٍ وَتَهْمَالٍ على فَضالَةَ جَلَّ الرُّزْءُ والعالي
ويروى «عَيْنِي» . العالي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جداً . وفيها مما يغنى

[من البسيط]

فيه :

صوت

أُبا ذُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأرْمَلِيَّةٍ أُمٌّ مَنْ لَأَشَعَتْ ذِي طِمْرَيْنِ مِمْحَالِ⁸
أُبا ذُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي العَشيرةَ إِذْ أَمْسَوْا من الأَمْرِ في لَبْسٍ وَبَلْبَالِ

1 الجدل : الصرع ، وفي ل : خذلت .

2 ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حر فيها ولا برد ولا مطر ولا قر ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح .

3 الذهن : القوة . والغابرة : الباقية .

4 الثواء : الإقامة . والثوي هنا : الضيف . المقعد : الذي به داء يقعه ، وفي الديوان : مقعد .

5 الضمانة : الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك .

6 التحرّد : الحياء والخفر .

7 المثوّب : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل . قصرك : غايتك وكفايتك .

8 الطمر : الثوب الخلق . ومحال : مجذب . أي فقير .

لا زال مِسْكٌ ورِيحَانٌ له أَرْجٌ على صَدَاكَ بصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٍ¹
 غَنَى فِيهِ دَحْمَانٌ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبَشَ أَنَّ فِيهِ لَابِنَ عَائِشَةَ رَمَلًا
 بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبَشَ أَنَّ فِيهِ لَابِنَ عَائِشَةَ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ ، وَلِدَاوُدَ بْنَ الْعَبَّاسِ ثَانِي
 ثَقِيلٍ ، وَلَابِنَ جَامِعٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ .

ومن فاضل مرثيته إيّاه ونادرها قوله :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِيْنَ قَدْ وَقَعَا
 إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالْ سَنَجْدَةَ وَالْحَزْمَ وَالْقَوَى جُمَعَا
 الْمُخْلِيفَ الْمُتْلِفَ الْمُرْزَأَ لَمْ يُمْتَعْ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبِيعَا²
 أَوْدَى وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِشَاةُ مِنْ شَيْءٍ لَمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ الْبِدْعَا³
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ أَيْضًا يَمْدَحُهَا بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَيَرِثِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَهُ فِيهِ قِصَائِدٌ غَيْرُ هَذِهِ .

صوت

[من الطويل]

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أُسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَدِرُ
 فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا وَيَمْنَعُهُ مَنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ
 عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لَوْرَقَاءَ بْنِ زُهَيْرٍ . وَالغِنَاءُ لِكِرْدَمٍ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
 بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ عَمْرٍو بْنَ بَانَةَ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقَ أَنَّهُ يَنْسِبُهُ
 إِلَى مَعْبُدٍ مِنْ لَا يَعْلَمُ ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيِّاطٍ عَنْ يُونُسَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ كِرْدَمٍ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ
 الصَّنْعَةَ فِيهِ لَهُ .

1 الصدى هنا : جثة الميت في قبره .
 2 المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرمًا ، ويخلفه نجدة . المرزأ : الذي تناله الرزايا في ماله بسبب العطاء .
 والإمتاع : الإقامة . والطبع : الدنس .
 3 الإشاحة : الخذر .

[178] - خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

[نسبه]

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقوله لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، أباه زهير بن جذيمة . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شبة ، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم ورواية ابن الكلبي ، وأضفت بعض الروايات إلى بعض إلا ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عبيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عبد بن جلهمة بن حدّاق بن يربوع بن سعد بن تغلب بن سعد بن عوف بن جلال بن غنم بن أعصر ، قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمّن أدرك شأس بن زهير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبي ﷺ ، وكان عاصم جاهلياً . قال : وقال عبد الحميد حدثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سعد بن عوف بن جلال بن غنم . قال أبو عبيدة : وكان أعلم غني ، عن شيوخهم .

[مقتل شأس بن زهير أخيه]

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك ، قال أبو عبيدة : أراه النعمان ، وكان بينه وبين زهير صهر ، قال أبو عبيدة : ثم حدثني مرة أخرى قال : كان ابنة زهير عنده ، فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوّة مسكاً وكساً وقطفاً وطنافس ، فأناخ ناقته في يوم شمال وقرّ على ردهة¹ في جبل ورياح بن الأسك أحد بني رباح بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلال على الردهة ليس غير بيته بالجبل ؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فتر به صلّبه . قال أبو عبيدة وحدثني رجل يُخيل إليّ أنه أبو يحيى الغنوي قال : ورد شأس وقد حباه الملك بحبوّة فيها قطيفة حمراء ذات هذب وطيب ، فورد منعجاً² وعليه خباء ملقى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة ؛ فالقى ثيابه بفنائهم ثم قعد يُهريق عليه الماء ، والمرأة قريبة منه (يعني امرأة رياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته :

1 الردهة : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

2 منعج : موضع .

أَنْطَلِينِي قَوْسِي : فَمَدَّتْ إِلَيْهِ قَوْسَهُ وَسَهْمًا ، وَانْتَزَعَتْ الْمَرْأَةَ نَصَلَهُ لئلا يَقْتله ؛ فَأَهْوَى عَجَلَانَ إِلَيْهِ . فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي مُسْتَدَقِّ الصُّلْبِ بَيْنَ فِقَارَتَيْنِ فَفَضَلَهُمَا ، وَخَرَّ سَاقِطًا ؛ وَحَفَرَ لَهُ حَفْرًا فَهَدَمَهُ عَلَيْهِ ، وَنَحَرَ جَمَلَهُ وَأَكَلَهُ . قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : أَكَلِ رَكُوبَتَهُ وَأَوْلِجْ مَتَاعَهُ بَيْتَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : وَقَفِدَ شَأْسٌ وَقُصَّ أَثَرُهُ وَنُشِدَ ، وَرَكَبُوا إِلَى الْمَلِكِ فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : حَبِوتَهُ وَسَرَّحْتَهُ . فَقَالُوا : وَمَا مَتَعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكٌ وَكُسَاٌ وَنُطُوعٌ وَقُطْفٌ . فَأَقْبَلُوا يَقْضُونَ أَثَرَهُ فَلَمْ تَتَضَحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ . فَمَكَّثُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا أُدْرِي كَمْ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً رِيَّاحٌ بَاعَتْ بِعُكَاظٍ قَطِيفَةً حَمْرَاءَ أَوْ بَعْضَ مَا كَانَ مِنْ حَبَاءِ الْمَلِكِ ، فَعَرَفَتْ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيَّاحًا ثَأْرَهُمْ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَزَعَمَ الْآخِرُ قَالَ : نَشِدُ¹ زُهَيْرِ بْنِ جَدِيمَةَ النَّاسِ ، فَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ عَلَى مَنْعَجٍ وَسَطَ غَنِيٍّ ، ثُمَّ أَصَابَتْ النَّاسَ جَائِحَةٌ وَجُوعٌ ، فَنَحَرَ زُهَيْرٌ نَاقَةً ، فَأَعْطَى امْرَأَةً شَطِيفًا² فَقَالَ : اشْتَرِي لِي الْهُدْبَ وَالطَّيِّبَ . فَخَرَجَتْ بِذَلِكَ الشَّحْمِ وَالسَّتَمِ تَبِعَهُ حَتَّى دَفَعَتْ³ إِلَى امْرَأَةٍ رِيَّاحٌ ، فَقَالَتْ : إِنَّ مَعِيَ شَحْمًا أَبِيعَهُ فِي الْهُدْبِ وَالطَّيِّبِ ؛ فَاشْتَرَتْ الْمَرْأَةُ مِنْهَا . فَأَتَتْ الْمَرْأَةَ زُهَيْرًا بِذَلِكَ ، فَعَرَفَ الْهُدْبَ . فَأَتَى زُهَيْرٌ غَنِيًّا ، فَقَالُوا : نَعَمْ ! قَتَلَهُ رِيَّاحُ بْنُ الْأَسْكَ ، وَنَحْنُ بُرَاءٌ مِنْهُ . وَقَدْ لَحِقَ بِخَالِهِ مِنْ بَنِي الطَّمَّاحِ وَبَنِي أُسْدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، فَكَانَ يَكُونُ اللَّيْلَ عِنْدَهُ وَيُظْهِرُ فِي أَبَانٍ⁴ إِذَا أَحَسَّ الصَّبْحَ ، يَرْمِي الْأَرْوَى⁵ ؛ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدَهُ وَعَبَسُ تَرْيَغُهُ . فَرَكِبَ خَالَهُ جَمَلًا وَجَعَلَهُ عَلَى كِفَلٍ⁶ وَرَاءَهُ . فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَنَتْ ، فَقَالُوا : هَذِهِ خَيْلُ عَبَسٍ تَطْلُبُكَ . فَطَمَّرَ⁷ فِي قَاعِ شَجَرٍ فَحَفَرَ فِي أَصْلِ سَوْقِهِ . وَلَقِيتُ الْخَيْلَ خَالَهُ فَقَالُوا : هَلْ كَانَ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ لَا . فَقَالُوا : مَا هَذَا الْمَرْكَبُ وَرَاءَكَ ؟ لَتُخَيِّرَنَا أَوْ لَنَقْتَلَنَّكَ ! قَالَ : لَا كَذِبَ ، هُوَ رِيَّاحٌ فِي ذَلِكَ الْقَاعِ . فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ قَالَ الْحُصَيْنَانُ : يَا بَنِي عَبَسٍ دَعُونَا وَثَارْنَا ، فَخَنَسُوا⁸ عَنْهُمَا . فَأَخَذَ رِيَّاحٌ نَعْلَيْنِ مِنْ سَبْتٍ⁹ فَصَبَّرَهُمَا عَلَى صَدْرِهِ حِيَالَ كَبَدِهِ ، وَنَادَى : هَذَا غَزَالُكُمَا الَّذِي تَبْغِيَانِ . فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَحَدَهُمَا فَطَعَنَهُ ، فَأَزَالَتِ النَّعْلُ الرَّمْحَ إِلَى حَيْثُ شَاكَلْتَهُ ، وَرَمَاهُ رِيَّاحٌ مُؤَلِيًّا فَجَدَمَ

1 نشد : سأل .

2 شطيها : جانبي سنامها .

3 دفعت : انتهت .

4 أبان : جبل .

5 الأروى : أنثى الوعل .

6 الكفل : شيء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

7 طمر : استخفى .

8 خنسوا : تأخروا وتنحوا .

9 السبت : الجلد المدبوغ .

صَلْبَهُ . قال : ثم جاء الآخر قطعنه فلم يُغْنِ شيئاً ، ورمأهُ مُؤَلِيّاً فصرعه . فقالت عبس¹ : أين تذهبون إلى هذا ! والله ليقتلنّ منكم عدَدَ مراميهِ ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمَحَيْهِمَا وَسَلْبَيْهِمَا وخرج حتى سَنَدَ إلى أَبَان . فَأَتته عَجُوزٌ وهو يَسْتَدْمِي¹ على الحوض ليشرب منه وقالت : استأسِرْ تَحْيَ ؛ فقال : جنّيني² حتى أشرب . قال : فأبْتِ ولم تنته . فلما غلبته أخذ مِشْقَصاً³ وكَنَع⁴ به كُرْسُوعِي يَدَيْهَا .

[رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس]

قال فقال عبد الحميد : فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحاً ثارهُ قال يرثي شأساً :

بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ بكيتُ لشأسٍ حين خَبِرْتُ أَنَّهُ
وما كان لولا غِرَّةَ اللَّيْلِ يُغْلِبُ لقد كان مَاتَاهُ الرِّدَاةَ لِحَتْفِهِ
كذاك لَعَمْرِي الحَيْنُ للمرءِ يُجَلِّبُ قتيلُ غَنِيٍّ ليس شكلاً كشكله
وَحَقٌّ لِشَاسٍ عِبْرَةٌ حين تُسَكِّبُ سَابِكِي عليه إن بكيتُ بعَبْرَةٍ
على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ وحزنٌ عليه ما حَيَّيتُ وعولَةٌ
وكان لدى الهيجاءِ يُخْشَى وَيُرْهَبُ⁵ إذا سِيَمَ ضَيْمًا كان للضيم منكرًا
أجاب لِمَا يدعو له حين يُكْرَبُ وإن صَوْتَ الدَّاعِي إلى الخير مرّةً
فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ ففرَّج عنه ثم كان وَلِيَّه

وقال زهير بن جذيمة حين قُتِلَ شَاسُ : شَاسُ وما شَاسُ ! والبأسُ وما البأسُ ! لولا مقتلُ شَاسُ ، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه ، فكان لا يَقْدِرُ على غَنَوِيٍّ إلا قتلَه .

قال عبد الحميد : فغزتُ بنو عَبْسٍ غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوْدًا أو ديةً مع أخي شَاسِ الحُصَيْنِ بن زهير بن جذيمة والحُصَيْنِ بن أُسَيْدِ بن جَذِيْمَةَ ابن أخي زهير . فقليل ذلك لغني ؛ فقالت لرياح : انجُ ، لعلنا نُصَالِحَ على شيءٍ أو نُرضِيهم بديةٍ وفداء . فخرج رياح رَدِيْفًا لرجل من بني كلاب ، وزعم أبو حَيَّةِ التَّمِيْرِيُّ أَنَّهُ من بني جَعْدٍ ، وكان معهما صُحَيْفَةٌ فيها آراب⁶ لحمٍ ، لا يَرِيان إلا

1 يستدمي : يطأطأء رأسه بقطر منه الدم .

2 جنيني : ابعدني عني .

3 المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .

4 كنع : قطع .

5 سامه الأمر : كلّفه إياه .

6 آراب لحم : قطع لحم .

أنهما قد خالفا وجهة القوم ، فأوجفا أيديهما في الصُّحيفة فأخذ كل واحد منهما وَذْرَةً¹ ليأكلها ، مترادفين لا يقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرْدٌ² فصرصر ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالوا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُرْدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالوا : ما هذا ! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُرْدُ فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فإذا هما بالقوم أدنى ظلم (وأدنى ظلم أي أدنى شيء) وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تُعجزهم ثم ماضٍ إن تركوني . فأنحدر رياحٌ عن عجز الجمل فأخذ أدراجهُ³ وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضيفةً⁴ فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سرتيه والأخرى على صفيه ثم شدّ عليهما العِمامة ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدثهم وقال : هذه غنيّةٌ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وحلّوا سرّيه⁵ . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : من الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مكذبة ! ذلك رياح في الأوّل من السّمرات . فقال الحُصَيْنان لمن معهما : قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يشركهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فإذا هما ينقلان فرسيهما ، فما زالا يُريغاني ، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صلبه ، وطعنتي الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرة فأصاب الرِّبْلَةَ⁶ ، ومرّ الفرس يهوي به ، فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر مُنْحَنِي الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهِمَا . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرته بسهم وقد خرجتُ قدمه ففقطعتها ، فكأثما نُشِرتُ بمنشار . قال عبد الحميد : ونذّ فرساها فلججا بالقوم . قال رياح : فأخذت رجليهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملَةً فسندتُ فغرزتُ الرّيحين فيها ثم انحدرت . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرّيحان لم يقربوهما عليم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد ردهةً عليها بيت أنمار بن بغيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريان منها وجمالٌ لها راتع في

- 1 الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .
- 2 الصُرْد : طائر أبقع ضخّم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود .
- 3 الأدراج : الطرق .
- 4 الضيفة : جانب النهر والوادي .
- 5 السَّرِب : الطريق .
- 6 الرِبْلَة : باطن الفخذ .

الجبل ، وقد مات رياح عطشاً . فلما رآته يستدمي طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأسر . فقال لها : دعيني ويحك أشرب ، فأبت . فأخذ حديداً إما سيكناً وإما مشقصاً فجذم به رواهشها¹ فماتت ، وعب في الماء حتى نهل ثم توجه إلى قومه . فقال رياح فيها وفي الحصينين :

قالت لي استأسر لتكثفني حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو مني غداة وقفت للخيل
إذا الحصين لدى الحصين كما عدل الرجيزة جانب الميل

قال الأثرم : الرجيزة شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عبيدة : يعني حصين بن زهير بن جذيمة ، وحصين بن أسيد بن جذيمة وهو ابن عمه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد : والله لقد سمعت هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة . قال عبد الحميد : وما سمعت أن بني عبس أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أذروا ، ولا سمعت فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتكم . وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه ، ولا والله ما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة في حربنا ، غير أن الكُميت بن زيد الأسدي ، وكانت له أمان من غني ، ذكر من مقتل أخواله من غني في بني عبس ومن قتلوا من بني نمير بن عامر في كلمة له واحدة ؛ فلعله لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتهم وذكر قتل شبيب بن سالم النُميري ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أنا ابن غني والداي كلاهما لأمين فيهم في الفروع وفي الأصل
هم استودعوا هوى شبيب بن سالم وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شأس الملوكة ورعموا أباه زهيراً بالمدلّة والشكل
فما أدركت فيهم جذيمة وترها بما قود يوماً لديها ولا عقل

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هنيئة من الدهر لا أدري كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شأس . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هنيئة من الدهر وهنيئة وبرهة وحقبة بمعنى الدهر .

1 الرواهش : العصب الذي في ظاهر الذراع ، وقيل : هي عصب وعروق في باطن الذراع ، واحداها راهشة وراهش .

[179] - مقتل زهير بن جذيمة العبسي

[قتله خالد بن جعفر]

قتله خالد بن جعفر بن كلاب . قال أبو عبيدة قال أبو حية النميري : كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة إلى الثلاثين سنة .

[تعظيم هوازن له]

قال أبو عبيدة : وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلا رباً¹ . قال : وهوازن يومئذ لا خيرَ فيها ؛ ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذلُّ من يدٍ في رجم² ، وإنما هم رعاء الشاء في الجبال . قال : وكان زهير يعشرهم³ ، وكان إذا كان أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم ، وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفرا⁴ .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حية النميري قالوا : فأتته عجوز رهيش⁵ من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقال أبو حية : بل أته عجوز من هوازن ، بسمن في يحي ، واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها بقوس في يده عطل⁶ في صدرها ، فاستلقت لحلاوة⁷ القفا فبدت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحقدت⁸ عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن⁹ وأوحرها¹⁰ من الحسك¹¹ .

1 الرب هنا : الملك والسيد .

2 مثل يضرب في الضعف والهوان ، وقيل : يعني يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقى أن يصيب يده شيئاً . مجمع الأمثال للميداني 17/2 .

3 يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .

4 يبدو أنه اسم مكان .

5 عجوز رهيش : ضعيفة أو مهزولة .

6 قوس عطل : لا وتر عليها .

7 حللوة القفا : وسطه .

8 ل : وأصمدت .

9 الدمن : الأحقاد .

10 أوحرها : جعلها توحر أي تغضب وتحقد .

11 الحسك هنا : العداوة والحقد .

[حلف خالد بن جعفر أن يقتله]

قال : وقد أمرت¹ عامر بن صعصعة يومئذ ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يُقتل . قال : وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

أديروني إدارتكم فإني	وحذفة كالشجا تحت الوريد
مُربّة أسويها بجزء	والحفها رداي في الجليد
وأوصي الراعيين ليؤثراها	لها كبن الخلية والصعود ²
تراها في الغزاة وهن شعث	كقلب العاج في الرُسن الجديد ³
يبيت رباطها بالليل كفي	على عود الحشيش وغير عود
لعل الله يُمكنني عليها	جهاراً من زهير أو أسيد ⁴
فإما تشقوني فاقتلوني	فمن أثقف فليس إلى خلود
وقيس في المعارك غادرته	قناتي في فوارس كالأسود
ويرثوع بن غيظ يوم ساق	تركانهم كجارية ويدي
تركت بها نساء بني عصيم	أرامل ما تحن إلى وليد
يلذن بحارث جزعا عليه	يقلن لحارث لولا تسود ⁵
ومني بالظوئلم قارعات	تبيد المخزيات ولا تبيد
وحكت بركها ببني جحاش	وقد أجروا إليها من بعيد ⁶
تركت ابني جذيمة في مكر	ونصراً قد تركت لها شهودي

[وصف مقتله وما كان قبله من حوادث]

قال أبو عبيدة وحدثني أبو سرار الغنوي قال : كان زهير رجلاً عدوساً⁷ ، فانتقل من قومه

1 أمرت : كثرت .

2 الخلية : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلي هي للحلب . والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدر عليه .

3 القلب : السوار .

4 يمكنني في ل : يفردي .

5 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

6 البرك : الصدر .

7 عدوس : قوي على سير الليل .

بينه وبنو أخويه زنباع وأسيدي برَكبة يُرِيع الغيثَ في عَشْرَاواتٍ¹ له وشَوْلٌ² . قال : وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعَرُ بهم . قال عبد الحميد وأبو حَيَّة : بل بنو عامر بدمخ³ وزهيرٌ بالنفقات وبينهم ليلتان أو ثلاث . قال فقال أبو سرار : فأتى الحارثُ بني عامر ، والله ما تغيَّر طعمُ اللبن الذي زُوِّدَهُ الحارثُ بن عمرو بن الشريد السُّلَميِّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفقات ، وكانت تماضيرُ بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يَقْظَةَ بن عُصَيَّة بن خُفَافِ السُّلَميِّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أمُّ ولده . فمرَّ بها أخوها الحارثُ بن عمرو . فقال زهيرٌ لبنيه : إن هذا الحمار لطليلةٌ عليكم فأتوقوه . فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالك فتوقوه وتحرموه ! فخلَّوه . فقالت تماضيرُ لأخيها الحارث : إنه ليريني [اكبتناك⁴ وقرويك⁵ ، فلا يأخذن فيك] ما قال زهير ؛ فإنه رجلٌ بيذارٌ⁶ غيذارٌ⁷ شنوءٌ⁸ . قال : ثم حلبوا له وطباً وأخذوا منه يميناً ألا يخبر عنهم ولا يُنذِرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حَيَّة النُميريُّ أنه لما أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به إلى جيبه فيصبه بين سِرْبِاله وصدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حلب له الوطْبَ وقراه الحارثُ بن زهير ، وبه سُمي . قال : فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديم ، فأتى حاذةً⁹ أو شجرةً غيرها فألقى الوطْبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال : أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه . فقال أهل المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [عهدٌ] وهو يُخبركم خبراً . فاتَّوه فإذا هو الحارثُ بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو حُلُوٌّ لم يقرُّص بعد ، فقالوا : إنه ليُخبرنا أن طلبنا قريب . فركب معه ستة فوارس لينظروا ما الخبر ، وهم خالد بن جعفر بن كلابٍ على حذفة ، وحندج بن البكاء ، ومعاوية بن عبادة بن عُقَيْل فارس الهزار وهو الأخيل جدُّ ليلي الأخيلىة ، قال : والأخيلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذٍ غلامٌ

- 1 العشاء : الناقة التي مضى حملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشاء أيضاً .
- 2 والشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فحفَّت لبنيها .
- 3 دمخ : جبل .
- 4 الاكبتناك هنا : الغم .
- 5 القروب : السكوت .
- 6 البيذار : الكثير الكلام .
- 7 الغيذار : السوء الخلق .
- 8 الشنوءة : المبعض .
- 9 الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

له ذؤابتان ، وكان أصغرَ مَنْ رَكِبَ ، وثلاثة فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصوا أثر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني جذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنا نلرى حَرْجَةً¹ مِنْ عِضَاءِ² أو غابة رِمَاحٍ بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةً أُسَيْدُ بنِ جَذِيمَةَ أُسَيْدًا بمثل ذلك ؛ فَأَتَى أُسَيْدٌ أَخَاهُ زُهَيْرًا فَأَخْبَرَهُ مِمَّا أَخْبَرْتَهُ بِهِ الرَّاعِيَةَ وَقَالَ : إِنَّمَا رَأَتْ خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ وَرِمَاحَهَا . فقال زهير : « كلُّ أَرْبٍ³ نَفُورٌ » ، فذهبت مثلاً ؛ وكان أُسَيْدٌ كثير الشعر خناسيا ، وأين بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتها تركتك ، وإن وطئتها عَضَّتْكَ . وأمّا بنو كَعْبٍ فَإِنَّهُمْ يَصِيدُونَ اللَّأْمَى (يريد الثور الوحشي) . وأمّا بنو نُمَيْرٍ فَإِنَّهُمْ يَرَعُونَ إِبَالَهُمْ⁴ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ . وأمّا بنو هِلَالٍ فَيَبِيعُونَ الْعِطْرَ . قال : فتحمّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح . وتحمّل مَنْ كان معه غير ابنه وِرْقَاءَ والحارث . قال : وكان لزهير رَيْبَةَ⁵ من الحِجْنِ فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح ، وكانت له مِظَلَّةٌ دَوْحٌ يربطُ فيها أفراسه لا تريمُه حَدْرًا من الحوادث . قال : فلَمَّا أصبح صهلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها ؟ فقال رَيْبَتُهُ : أحسّت الخيل فصهلت إليهن . فلم تُؤدِّنْهُم بِهَمٍ إِلَّا وَالخَيْلُ دَوَائِسُ⁶ مُحَاضِرٌ⁷ بِالْقَوْمِ غَدِيَّةٌ . فقال زهير وظنّ أنّهم أهلُ اليمن : يا أُسَيْدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثهم منذُ الليلة . قال : وركب أُسَيْدٌ فمضى ناجياً . قال : ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً⁸ فتدثّر⁹ القعساء فرسه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بدُنٌ وهو يومئذٍ عَفُوقٌ مُتَهَمٌ ، واعرورى¹⁰ ورقاء والحارثُ ابناه فرسيهما ، ثم

1 الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير المتلف .

2 العضاء من الشجر كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .

3 الرّب : كثرة الشعر وطوله . والبعر الأرب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفرد إذا ضرب الريح شعرات حاجبيه . وهنا مثل قاله زهير بن جذيمة لأخيه أُسَيْدٍ ، وكان أَرْبٌ جَبَانًا ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أُسَيْدٍ ، فرأى أُسَيْدٌ خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه ، فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له زهير « كلُّ أَرْبٍ نَفُورٌ » وإنما قال هذا لأن أُسَيْدًا كان أشعر . مجمع الأمثال للميداني 7/3 .

4 ل : البهم .

5 رَيْبَةُ : طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .

6 أُنْتَهَمُ الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً .

7 المحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحضر أي العدو .

8 نبيلاً هنا : جسيماً .

9 تدثّر فرسه : وثب عليها فركبها ، أو ركبها من خلفها .

10 اعرورى فلان فرسه : ركبها عرياناً أي ليس له سرج .

خالفوا جهةً مالمهم ليُعمُوا على بني عامر مكان مالمهم فلا يأخذوه . فهتَفَ هاتفٌ من بني عامر :
يا لِيَحَامِر ، يريد يحامر وهو شعارٌ لأهل اليمن ، لأن يُعمِّي على الجَدَمِيِّين من القوم . فقال زهير :
هذه اليمن ، قد علمتُ أنها لأهل اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظرْ يا ورقاء ما ترى ؟ قال ورقاء :
أرى فارساً على شقراء يَجْهدها ويكُدُّها بالسوط قد ألحَّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير :
« شيئاً ما يريد السَّوْطُ إلى الشقراء »¹ فذهبتُ مثلاً ، وقال في المرَّة الثانية : « شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ
إلى الشقراء » وهي حَذْفُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن جعفر . قال : وكانت
الشقراء من خيل غنبي . قال : وتمردت القعساء بزهير ؛ وجعل خالد يقول : لا نجوتُ إن نجا
مُجدِّعٌ (يعني زهيراً) . فلما تمعَّطت² القعساء بزهير ولم تتعلَّق بها حَذْفُ ، قال خالد لمعاوية
الأخيل بن عبادة وكان على الهرار (حصان أعوج)³ : أدرك معاوي ، فأدرك معاوية زهيراً ،
وجعل ابنه ورقاء والحارث يُوطَّشان عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطعنْ يا معاوية في
نساها ، فطعن في إحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخزال وهي في ذلك تمعَّط . فقال
زهير : اطعنْ الأخرى ، يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل . فناداه خالد : يا معاوية أفدِّ
طعنتك (أي اطعنْ مكاناً واحداً) فشعشع الرُّمح في رجلها فانخذلت .

قال : ولحقه خالد على حَذْفُ فجعل يده وراء عنق زهير ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى
قلبه ، وخرَّ خالد فوقه فوقه ، ورفع المغفر عن رأس زهير وقال : يا لعامرٍ اقتلونا معاً ! فعرَفوا
أنهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا أنقطع ظهراه ! إنها لبنو عامر ! سائر اليوم . وقال غيره :
فقال بعضُ بني جذيمة : وا أنقطع ظهري ! . قال : ولحق حنْدُج بن البكاء وقد حسر خالد
المغفرة عن رأس زهير فقال : نحُّ رأسك يا أبا جزء ، لم يَجنْ يومك . قال : فنحى خالد رأسه
وضرب حنْدُج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد بالسيف وعليه درعان ،
وكان أسجراً⁴ العينين ، أزب أقمر⁵ ، مثل الفالج⁶ ، فلم يُغن شيئاً . قال : وأجهض⁷ ابنا زهير

1 مثل . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . أصله رجلاً ركب فرساً له شقراء ،
فجعل كلما ضربها زادته جرياً . يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها ، مجمع الأمثال
للميداني 164/2 .

2 التمعط : ضرب من العدو .

3 الأعوج من الخيل : ما اعوجت قوائمه ، ويستحب ذلك فيها .

4 سجرة العين : أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر .

5 القمر : لون إلى الخضرة ، أو هي بياض فيه كدرة .

6 الفالج هنا : الحمل الضخم ذو السنامين .

7 أجهض القوم : أي نحياهم عنه وغلباهم عليه .

القوم عن زهير فانتزعه مرثناً¹. فقال خالد حين استنقذ زهيراً ابناه: وا لهفتاه! قد كنت أظن أن هذا المخرج سيَسْعُكُمْ! ولام حُنْدُجاً. فقال حُنْدُج وكان لجلالته غصبة إذا تكلم: السيف حديد، والساعد شديد، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركابين وسمعتُ السيف قال قَبْ حين وقع برأسه. ورأيتُ على ظُبتِه مثلَ ثَمَرِ المُرَّارِ، وذقتُه فكان حُلُواً. فقال خالد: قتلته بأبي أنت! ونظرَ بنو زهير فإذا الضربة قد بلغتُ الدِّماغَ. ونهَى بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهاهم فمعه حتى نهك عطشاً. قال: وذلك أن المأموم² يخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطش، فجعل يهتِف: أُميتُ أنا عطشاً، وينادي: يا ورقاء، قال أبو حية: فجعل ينادي يا شأس، فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة.

[شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده]

فقال ورقاء بن زهير:

[من الطويل]

رأيتُ زهيراً تحت كلِّ خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أبادر³
إلى بطليْنِ ينهضانِ كلاهما يُريغانِ نصلَ السيفِ والسيفِ نادر⁴
فشلتُ يميني إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ وأحرزه مني الحديدُ المظاهرُ

قال أبو عبيدة: وسمعتُ أبا عمرو بن العلاء يُنشد هذا البيت فيها: [من الطويل]

وشلتُ يميني يوم أضربُ خالداً وشلَّ بناهاها وشلَّ الخناصرُ

قال أبو عبيدة: وأنشدني أبو سرار أيضاً فيها: [من الطويل]

فيا ليتني من قبل أيامِ خالدٍ ويومِ زهيرٍ لم تلدني تماضيرُ

تماضرت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصىة بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة. قال أبو عبيدة: أنشدني أبو سرار فيها: [من الطويل]

لعمري لقد بُشرتُ بي إذ ولدتني فماذا الذي ردَّتْ عليكِ البشائرُ

[شعر لخالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيراً]

وقال خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيراً ويصدق الحديث، قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر ملاعب الأسيئة: [من الكامل]

1 المرثت: الذي يحمل من المعركة وبه رمق.

2 المأموم: الذي أصيب في أم الرأس. وأم الرأس: الدماغ.

3 العجول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها الشكل لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً.

4 نادر: ساقط.

بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلُ ربِّهمُ زهيراً بعد ما جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حزنَ بلادِهِم وجِبالهم أرضاً فضاء سهلةً وعشارا
وجعلتُ مَهْرَ بناتهم ودمائهم عَقَلَ الملوِكِ هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة : ألا ترى أنه ذكر في شعره أن زهيراً كان ربهم وقد كان جدعهم ، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غيبي ، وأن غنيباً ليسوا من ذلك في ذكر ولا لهم فيه معنى .

قال : وقال ورقاء بن زهير :

أما كِلابٌ فإننا لا نسالِمُها حتى يُسالِمَ ذئبَ الثلثةِ الرَّاعي¹
بنو جدِزِمةِ حاموا حول سيِّدِهم إلّا أسيداً نجا إذ ثوبَ الدّاعي

[شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً]

قال : ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربة ورقاء خالداً ، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد

الملك فقال :

إن يكُ سيفٌ خاناً أو قدراً أبي لتأخير نفسٍ حتفها غيرُ شاهدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبا بيدَيِ ورقاء عن رأسِ خالدِ
كذاك سيفُ الهنْدِ تنبو طُباتُها وتقطعُ أحياناً مناطَ القلائدِ
ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنُقِهِ إلى علقِ تحتِ الشَّراسيفِ جامدِ²

قال : وكان ضيلعُ بني عبسٍ مع جرير ، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبي

عبيدة .

[رواية الأصمعي لمقتل زهير وابنه شأس]

وأما الأصمعي فإنه ذكر ، فيما رواه الأثرم عنه ، قال حدثني غير واحد من الأعراب أن سبب مقتل زهير العبيسي أن ابنه شأس بن زهير وفد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حياء³ قد حُبي به ، فمر بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيات من بني غنيب على ماء لبني عامر أو غيرهم ، الشك من الأصمعي . قال : فاغتسل ، فناده الغنوي : استتر ، فلم يحفل بما قال . فقال : استتر ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفل . فرماه الغنوي رياح بن الأسك بسهم . أو ضربه فقتله

1 الثلثة : الجماعة من الغنم وبضمّ التاء الجماعة من الناس .

2 العلق : الدم ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ . والشراسيف : أطراف الأضلاع ، واحدها شرسوف .

3 الحياء : العطاء .

والْحَيُّ خُلُوفٌ ، فَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُ شَأْسَ وَهُمْ فِي عِدَّةٍ ، فَرَكِبَ الْفَلَائَةَ وَاتَّبَعُوهُ فَرَهَقُوهُ¹ ، فَقَتَلَ حُصَيْنًا وَأَخَاهُ حُصَيْنًا ، ثُمَّ نَجَا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَلَجَأَ إِلَى مَنْزِلِ عَجُوزٍ مِنْ بَنِي إِسْنَانَ (وَبَنُو إِسْنَانَ حَيٌّ مِنْ بَنِي جُشَمٍ) . فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ : لَا تَبْرَحْ حَتَّى يَأْتِيَ بَنِيَّ فَيَأْسِرُوكَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأَخْبَرَنِي مُخْبِرَانِ اخْتَلَفَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّهُ أَخَذَ سِكِّينًا فَقَطَعَ عَصَبَتَيْ يَدَيْهَا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَخَذَ حَجْرًا فَشَدَخَ بِهِ رَأْسَهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنَ الْكَامِلِ]

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةَ أَوْ مِئِي غَدَاةً وَقَفْتُ لِلْحَيْلِ
إِذَا الْحُصَيْنُ لَدَى الْحُصَيْنِ كَمَا عَدَلَ الرَّجَازَةَ جَانِبَ الْمَيْلِ²
وَإِذَا أَنْهَرْتَهُمَا لِأَفْتِلَهَا جَاشَتْ لِيَغْلِبَ قَوْلُهَا قَوْلِي³

قال : فضرب الزمانُ ضرباً به⁴ ، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي . فقال خالد لزهير : أما آن لك أن تشتفي وتكف ؟ قال الأصمعي : يعني مما قتل بشأس ، قال : فأغلظ له زهيرٌ وحقره . قال الأصمعي : وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب أن ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش . فلما حقره زهير وسبه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدده ثم قال : اللهم أمكنْ يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه . فقال زهير : اللهم أمكنْ يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم نحل بيننا . فقالت قريش : هلكت والله يا زهير ! . فقال : إنكم والله الذين لا علمَ لكم .

قال الأصمعي : ثم نرجع إلى حديث العبسيين والعامريين ، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء . قال : فجاء أخو امرأة زهير ، وكانت امرأته فاطمة بنت الشريد السلميية ، وهي أم قيس بن زهير ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء ، فجاء أخوها إلى بني عامرٍ فقال : هل لكم في زهير بن جذيمة ينتجُ إبله ليس معه أحدٌ غير أخيه أسيد بن جذيمة وعبيد راعٍ لإبله ! وجئتكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لي . فذاقوه فإذا هو ليس بمحارز ، فعلموا أنه قريبٌ . فخرج حنْدُج بن البكاء وخالد بن جعفر ومعاوية بن عبادة بن عُقيل ، ليس على أحدهم درعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إياها عمرو بن يربوع الغنوي ، وكانت درعُ ابن الأجلح المرادي كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزمه . وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عرَى تُعلَقُ فضولُها بها إذا أراد أن يشمرها . قال : فطلعوا . فقال أسيد بن

1 رهقوه : غشوه ولحقوه .

2 إذ الحصينُ في ل : عدل الحصينُ .

3 نههه : زجره وكفّه .

4 أي إذا ذهب بعضه .

جَدِيمَة ، قال الأصمعيّ : وكان أسيّد شيخاً كبيراً ، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد : أتيت وربّ الكعبة . فقال زهير : « كلُّ أَرْبَ نَفُورٌ »¹ فذهبت مثلاً . فلم يشعر بهم زهير إلا في سواد الليل ، فركب فرسه ثم وجهها ، فلحقه قومٌ أحدهم حُنْدُجٌ أو العُقيليّ ، واختلفوا فيهما ، فطعن فخذَ الفرسِ طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يطعن الرّجل الصحيحة ، فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أقبلْ على السقيمة . قال : فطعنها فانخذلتَ الفرسُ فأدركوه . فلما أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتلوني ومُجدّعا ! . فجاء حُنْدُجٌ ، وكان أعجمَ اللسانِ ، فقال لخالد وهو فوق زهير : نَحْ رأسك يا أبا جَزْوِ ، فنحى رأسه ، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ ، ثم ركبوا وتركوه . قال فقال خالد : ويحك يا حُنْدُجُ ما صنعتَ ؟ فقال : ساعدي شديدٌ ، وسيفي حديد ، وضربته ضربةً فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثلُ ثمرة المُرار ، فطعمته فوجدته حُلُواً (يعني دماغه) . قال : إن كنتَ صدقتَ فقد قتلته . قال : فجاء قومٌ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةً أن يتلّ دماغه فيموت . فقال : يا آل غطفان أموت عطشاً ! فسقي فمات ، وذلك بعد أيام . ففي ذلك يقول ورّقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً ، فقال : [من الطويل]

رأيتُ زهيراً تحت كلِّ خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أبأدرُ
إلى بطلينٍ ينهضانِ كِلاهما يُريدانِ نصلَ السيفِ والسيفُ نادرُ

قال الأصمعيّ : فضرب الدهر من ضربانه إلى أن التقى خالدٌ بن جعفر والحارثُ بن

ظالم .

[180] - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

[مقتل خالد بن جعفر وسببه]

قتله الحارث بن ظالم المرِّي . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ بن مرة وهم في وادٍ يقال له حراض ، فقتل الرجال حتى أسرع ، والحارث يومئذ غلام ، وبقيت النساء . وزعموا أن ظالماً هلك في تلك الواقعة من جراحة أصابته يومئذ . وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم ، فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث ، فيشدن عصاب¹ الناقة ثم يحلبنها ، ويكبن رجالهن ويكبي الحارث معهن ، فنشأ على بغض خالد . وأردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة ؛ فاستحق العداوة في غطفان . فقال خالد بن جعفر في تلك الواقعة : [من الوافر]

تركتُ نساءَ يربُوعِ بنِ غَيْظِ	أراملَ يشتكين إلى وليدِ
يَقْلَنَ لحارثِ جَرَعاً عليه	لك الخيراتُ ما لك لا تسودُ
تركتُ نبيَ جَذِيمةِ في مَكْرٍ	ونصراً قد تركتُ لدى الشهودِ
ومني سوف تأتي قارعاتُ	تبيدُ المخزياتُ ولا تبيدُ
وقيس ابن المعاركِ غادرته	قناتي في فوارسِ كالأسودِ
وحلتُ بركها بني جِحاشِ	وقد مدُّوا إليها من بعيدِ
وحَيَّ بني سبيعِ يومِ ساقِ	تركانهم كجاريةِ وبيدِ ²

قال أبو عبيدة . فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره ، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان ، وخالد يومئذ رأس هوازن . فلما استحق عداوة عيس وذبيان أتى النعمان بن المنذر³ ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألقى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرساً فقال : أبيت اللعن ، نعيم صباحك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرس من خيل بني مرة ، فلن توتني بفرس يشقُّ غبارَه ، إن لم تنسبه أنتسب ، كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلما

1 عصاب الناقة : ما تشد به لتدر .

2 وبيد في ل : وبيد .

3 ورد في الكامل لابن الأثير 351/1 : أن الملك هو النعمان ابن امرئ القيس ملك الحيرة . وورد أيضاً أن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر .

أكرمتَ خالداً أهديته إليك . وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال : أبيتَ اللعن ! نَعِمَ صباحك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخفِقْ في غزوةٍ ولم يعتلكَ في سَفَرٍ ، وفضلهُ على هذين الفرسين كفضلِ بني عامر على غيرهم . قال : فغضبَ النُّعمانُ عند ذلك وقال : يا معشرَ قيس ، أرى خيلكم أشباهاً ! أين اللواتي كأنَّ أذناها شِقاقٌ¹ أعلام ، وكأنَّ مناخِرَها وجارٌ² الضَّبَاع ، وكأنَّ عيونها بَغايا النساء ، رِقاقُ المُستطعمِ³ ، تُعالِكُ اللُّجَمَ في أشداقها ، تدورُ على مذاودِها⁴ كأنما يَفْضَمَنُ⁵ حصَى . قال خالد : زعمَ الحارث ، أبيتَ اللعن ، أن تلك الخيلَ خيله وخيلُ آبائه . فغضبَ النُّعمانُ عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلما أمسوا اجتمعوا عند قينةٍ من أهل الحيرةِ يقال لها بنت عَفْرَيرٍ يشربون . فقال خالدٌ : تَعْنِي : [من الكامل]

دارٌ لهندي والربابِ وفرتني ولميسَ قبلَ حوادثِ الأيامِ

وهنَّ حالات الحارث بن ظالم . فغضبَ الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، وقال : ما تزال تُتبعُ أولى بأخرة ! . قال أبو عبيدة : ثم إنَّ النُّعمانَ بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً ؛ فطفق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث . فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر : أبيتَ اللعن ! انظرُ إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى ! ما ترك لنا تمراً إلا أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النوى ، وأمّا أنت فأكلته بنواه . فغضبَ خالد وكان لا يُنازع ، فقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلتُ حاضرَتك وتركتك يتيماً في حُجور النساء ! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أشهدهُ ، وأنا مُغنٍ اليومَ بمكاني . قال خالد : فهلاً تشكرُ لي إذ قتلتُ زهيرَ بن جَدِيمةَ وجعلتُك سيِّدَ غَطَفانٍ ! . قال : بلى أشكرُك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْرَيرٍ ، فشرِبَ عندها وقال لها تَعْنِي :

تَعَلَّمُ أبيتَ اللعنَ أنِّي فاتكُ من اليومِ أو مِن بعده باين جَعْفَرِ
أخالدُ قد نبهتني غيرَ نائمٍ فلا تَأْمَنَنَّ فتكحي يدَ الدهرِ واحذرِ
أعيرتني أن نلتَ منا فوارساً غداة حُرّاضٍ مثلَ جِنانِ عَبْرَةَ⁶

1 شقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه إذا شق .

2 الوجار : جحر الضبع وغيرها .

3 مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها .

4 المذاود : جمع مِدْوَد وهو معتلف الدابة .

5 الفضمم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .

6 عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

أصابهم الدهر الختور بختره¹ ومن لا يق الله الحوادث يعثر¹
 فعلك يوماً أن تنوء بضربة² بكف فتى من قومه غير جيدر²
 يُغصّ بها علياً هوازن والمنى لقاء أبي جزء بأبيض مبر³

قال : فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به . فقال عبد الله بن جعدة ، وهو ابن أخت خالد ، وكان رجلاً قيس رايًا ، لابنه : يا بُنيّ ائتِ أبا جزء فأخبره أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور ، فأخف مبيتك الليلة ؛ فإنه قد غلبه الشراب . فإن أبيت فاجعل بينك وبينه رجلاً ليحرسك . فوضعوا رجلاً بإزائه ، ونام ابن جعدة دون الرجل ، وخالدٌ من خلف الرجل . وعرف أنّ ابن عتبة وابن جعدة يحرسان خالدًا . فأقبل الحارثُ فاتتهى إلى ابن جعدة فتعداه ، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدًا فعجنه بكلّكليه حتى كسره وجعل يكدمه⁴ لا يعقل ، فخلّى عنه والرجل تحته ، ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . فقال لعروة⁵ : أخبر الناس أنّي قتلتُ خالدًا . وقال في ذلك :

[من الطويل]

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً وحيّ كلاب هل فتكتُ بخالدِ
 عشوتُ عليه وابنُ جعدة دونه وعروةٌ يكلا عمّه غير راقِدِ
 وقد نصبا رجلاً فباشرتُ جوزَه بكلّكلٍ مخشيّ العداوة حاردِ⁶
 فأضربه بالسيف يافوخ رأسه فصمّم حتى نال نوط القلائدِ⁷
 وأقلت عبد الله مني بذعره وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

[شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدًا]

فلما أبت عطفان أن تحيره غصبتُ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة

بهذه الأبيات :

[من الوافر]

- 1 الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .
- 2 غير جيدر : غير قصير .
- 3 أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبر : سيف قاطع .
- 4 الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها .
- 5 هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر .
- 6 الرّجل : لغة في الرّجل . وجوز كل شيء : وسطه . وحارد : غاضب .
- 7 اليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . وصمّم : مضى . ونوط : جمع نياط ، ونياط كل شيء معلقه .

جزاك الله خيراً مِنْ خَلِيلٍ
أزحتَ بها جوىً ودخيلَ حُزْنٍ
كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيءٍ
أبأتَ به زُهَيْرَ بِنِي بَغِيصٍ
كشفتَ له القِنَاعَ وكنتَ مِمَّنْ
شفي من ذي تُبُولته الخليلاً¹
تَمَخَّخَ أعْظَمِي زمناً طويلاً²
ولم تَحْفَلْ به سيفاً صَقِيلاً
وكنْتَ لِمِثْلِهَا ولها حَمُولاً³
يُجَلِّي العارَ والأمرَ الجَلِيلاً

[من الوافر]

فأجابه الحارث بن ظالم :
أتاني عن فَيِّسِ بِنِي زُهَيْرٍ
فلو كنتم كما قلتم لكنتم
ولكن قلتم جاورَ سِوانا
ولو كانوا هم قتلوا أحاكم
مقالة كاذبٍ ذكر التبول
لقاتل ثأركم جرراً أصيلاً
فقد جَلَلْتنا حَدَثاً جليلاً
لما طردوا الذي قتل القتيلاً

[غطفان تأبى جوار الحارث]

قال أبو عبيدة : فلما منعه غطفان لحق بحاجب بن زُرارة ، فأجاره ووعدَه أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في غلِّيا هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في أوَّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غنِيٍّ ببعض البوادي ، فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حَنْظَلَة تجتني الكمأة ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصْرته ومنعه . فانطلق بها الغنوي إلى رَحْلِهِ ؛ فانسلت في وسطٍ من الليل ، فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر ، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال : هي مُنذِرَةٌ عليك . فقال له الأحوص : ومتى عهدكُ بها ؟ قال : عهدي بها والمنيُّ يقطرُ من فرجها . قال : وأبيك إن عهدكُ بها لقريبٌ . وتبع المرأة عامراً بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : أخبريني أي قوم أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يقبلون بوجوه الطباء ، ويُدبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدثيني من في القوم ؟ قالت : رأيتهم يَعدُّون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه⁴ حتى يرفعوا له من حاجبيه . قال : ذلك الأحوص بن جعفر . قالت : ورأيت شاباً شديداً الخلق ،

1 التبولة : جمع تَبَل وهو هنا الثأر .

2 تمخخ العظم : أخرج مخه .

3 أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .

4 الماق : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدمها .

كَأَنَّ شَعْرَ سَاعِدِيهِ حَلَقَ الدَّرْعَ يَعْزِمُ¹ الْقَوْمَ بِلِسَانِهِ عَذَمَ الْفَرَسَ الْعَضُوضَ . قَالَ : ذَلِكَ عُبَيْدُ بْنُ بَشِيرٍ بْنِ خَالِدٍ . قَالَتْ : وَرَأَيْتُ كَهْلًا إِذَا أَقْبَلَ مَعَهُ فَتَيَانِ ، يُشْرِفُ الْقَوْمُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا نَطَقَ أَنْصَتُوا . قَالَ : ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْفَتَيَانِ ابْنَاهُ زُرْعَةُ وَيَزِيدُ . قَالَتْ : وَرَأَيْتُ شَابًا طَوِيلًا حَسَنًا² ، إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَنْصَتُوا لَهَا ثُمَّ يَوْتُونُ³ إِلَيْهِ كَمَا تَوَلَّى الشَّوْلُ⁴ إِلَى فَحْلِهَا . قَالَ : ذَلِكَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ أَبُو عبيدة : فِدَعَا حَاجِبُ الْحَارِثِ بَنَ ظَالِمٌ فَأَخْبِرَهُ بِرَأْيِهِ وَخَبِرَ الْقَوْمَ وَقَالَ : يَا ابْنَ ظَالِمٍ ، هُوَلَاءُ بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَتَوْكَ ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ الْحَارِثُ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، إِنْ شِئْتَ أَقَمْتُ فِقَاتِلْتُ الْقَوْمَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتُ . قَالَ حَاجِبٌ : تَنَحَّ عَنِّي غَيْرَ مَلُومٍ .

[شعر الحارث حين أمره حاجب بالتحني]

فغضب الحارث من ذلك وقال :

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ وَائِلٍ
فَأَصْبَحْتُ فِي حَيٍّ الْأَرَاقِمِ لَمْ يَقُلْ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي إِذْ عَقَلْتُ إِلَيْكُمْ
غَدَاةً أَتَاهُمْ تُبَعُّ فِي جُنُودِهِ
فَإِنْ تَكُ فِي عَلِيَا هَوَايَ شَوْكَةً
وَإِنْ يَمْنَعُ الْمَرْءُ الزَّرَارِيَّ جَارَهُ
وَمِنْ وَائِلٍ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ تَغْلِبِ
لِي الْقَوْمُ يَا حَارِ بْنَ ظَالِمٍ اذْهَبِ
بَنِي عُدُسٍ ظَنِّي بِأَصْحَابِ يَثْرِبِ
فَلَمْ يُسَلِّمُوا الْمَرِينَ مِنْ حَيٍّ يَحْضُبِ
تُخَافُ فَفِيكُمْ حَدٌّ نَابٍ وَمُخَلَبٍ⁵
فَأَعْجَبَ بِهَا مِنْ حَاجِبٍ ثُمَّ أَعْجَبِ

فغضب حاجب فقال :

[من الطويل]

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا حَارِ إِنِّي
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمَعْدِيَّ أَنَّنَا
وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارٌ ظُلَامَةً
وَأَنْ تَمِيمًا لَمْ تُحَارِبِ قَبِيلَةً
وَلَوْ حَارَبْنَا عَامِرٌ يَا ابْنَ ظَالِمٍ
لَأَمْنَعُ جَارًا مِنْ كَلَيْبِ بْنِ وَائِلٍ
عَلَى ذَاكَ كُنَّا فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
لَيْسَنَا لَهُ ثَوْبِي وَفَاءٌ وَنَائِلِ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَعْتُ بِالْكَوَاهِلِ
لِعَضَّتْ عَلَيْنَا عَامِرٌ بِالْأَنَامِلِ

1 العزم : العض .

2 ل : طوالاً حسناً .

3 يوتون من الأل : السرعة .

4 الشول : جمع شائلة وهي التي نخف لبنها وارتفع ضرعها .

5 في الأصل محلب ولكنها لا تستقيم .

ولاستيقنت غلباً هوازنَ أتنا سنوطئها في دارها بالقنابل¹
ولكنني لا أبعث الحربَ ظالماً ولو هجئتها لم أُلْفَ شحمةَ آكل

قال : فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زُرارةَ فلحق بعروض اليمامة . ودعا معبداً ولقيطاً
أبني زُرارةَ فقال : سيراً في الظُّنن ، فموعداً كما رَحْرَحان ؛ فإننا مقيمون في حامية الخيل حتى
تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن ندعهم
بمكانهم ونسبهم إلى الظُّنن . قال : فلقوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها ،
وأسير معبداً وجرح لقيطاً . فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعدب الأسرى ، فقطعه إرباً
إرباً حتى قتله .

[شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب]

وقال عامر بن مالك يرد على حاجب قوله :

[من الطويل]

ألكني إلى المراء الزراري حاجب
وفارسها في كل يوم كرهية
لعمري لقد دافعت عن حي مالك
على كل جرداء السراة طيرة
نصحت له إذ قلت إن كنت لاحقاً
ولو ألبأته عصابة تغليبة
ولو رمتهم أن تمنعوه رأيتم
لشاب وليد الحي قبل مشيبه
وقامت رجال منكم خنديفة
رئيس تميم في الخطوب الأوائل²
وخير تميم بين حاف وناعل
شأيب من حرب تلقح حائل³
وأجرد خوار العنان مناقل⁴
بقوم فلا تعدل بأبناء وائل
لسيرنا إليهم بالقنا والقنابل⁵
هناك أموراً غيها غير طائل
وعضت تميم كلها بالأنامل
ينادون جهراً ليتنا لم نقاتل

1 القنابل : الجماعات من الخيل والناس ، الواحدة قنبلة وقنبل .

2 ألكني إلى فلان : أي كن رسولي إليه . والاسم من ألك : الألوكة والألوكة والمألكة والمأللك بمعنى الرسالة .

3 الشأيب : جمع شؤبوب ، وشؤبوب كل شيء : حده ، أو الدفعة منه . تلقحت الناقة : إذا شالت بذنبها ترى أنها لاحق وهي ليست كذلك . وحائل : غير حامل .

4 الأجرد من الخيل : القصير الشعر . والسراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف . والمناقل من الخيل : الذي يتقي في عدوه الحجارة .

5 ألبأته هنا : عصمته . القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قنبلة وقنبل .

[قتل الحارث لابن النعمان]

قال : فخرج الحارث بن ظالم من قوره ذلك حتى أتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن النعمان ، فقال لها : إنه لن يُجِيرَنِي مِنَ النُّعْمَانِ إِلَّا تَحْرُمِي بَابَهُ ، فادفعيه إلي . وقد كان النعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهن ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

[اعتذار عمّ الحارث للنعمان]

فوئب النعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لأقتلنك أو لتأتيني بابتن أخيك . فاعتذر إليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال :

[من البسيط]

يا حاراً إنّي أحيأ من مُخبّأة
قد كان بيتي فيكم بالعلاء فقد
مهما أخفك على شيء تجيء به
ولم أخفك على ليث تُخاتله
وقد علمت بأنّي لن يُنجيني
فقد عدوت على النعمان ظالمه
فاعلم بأنك منه غير مُنفلت
وأنت أجراً من ذي لئدة ضاري
أحللت بيتي بين السيل والنار
فلم أخفك على أمثالها حار
عبل الذراعين للأقران هصار
مما فعلت سوى الإقرار بالعار
في قتل طفلٍ كمثّل البدر معطار
وقد عدوت على ضيرغامية شاري¹

[شعر للحارث في قتله ابن النعمان]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك :

[من الطويل]

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما
حسيت أبا قابوس أنك سابقني
أخصبي حمار بات يكدم نجمة
تمنيته جهراً على غير رية
فإن تك أذواداً أصبت ونسوة
مُحارب مولاة ، وثكلان نادم
ولما تدق فتكي وأنفك راغم²
أتوكل جاراتي وجارك سالم³
أحاديث طسم ، إنما أنت حالم
فهذا ابن سلمى أمره متفاقم⁴

1 شاري : وصف من شرى يشرى : إذا غضب وليج في الأمر .

2 في المفضليات 312 : ولما تصب ذلاً وأنفك راغم .

3 يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدها النجم وهو ضرب من النبات يقال له الثيل . وفي المفضليات : أتأكل جيراتي وجارك سالم .

4 في المفضليات 312 :

فإن تك أذواداً أصيبن ونسوة فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

والذود : القطع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر .

علوتُ بذِي الحَيَاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ وكان سِلاحِي تجتويه الجماجم¹
فتكتُ به فتكاً كفتكي بخالدي وهل يركب المكروه إلا الأكارم²
بدأتُ بهذي ثم أنثي بمثلها وثالثية تبيض منها المقادم³
شَفَيْتُ غَلِيلَ الصَدْرِ مِنْهُ بَضْرِيَّةً كذلك يَأبَى الْمُغْضَبُونَ الْقَمَاقِمَ⁴

[شعر للحارث يخاطب به النعمان]

فقال النعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سينان بن أبي حارثة المرِّي ، وهو يومئذ رأسُ غَطَفَانَ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ! والله ما ذِمَّةُ الحارث لنا بدمَّة ، ولا جاره لنا بجار ، ولو أمنته ما أمناه . فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سينانِ بنِ أبي حارثة ، فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا أُبلِغَ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسالَةً فكيف بخرابِ الخُطوبِ الأعاطمِ
وأنتَ طویلُ البَغْيِ أُبلِغُ مَعورٌ فزُوعٌ إذا ما خيفَ إحدَى العَظائمِ⁵
فما غَرَّهُ والمرءُ يُدرِكُ وترَهُ بأرُوعَ ماضيِ الهَمِّ من آلِ ظالمِ
أخي ثَقِيَّةَ ماضيِ الجَنانِ مُشَيِّعِ كَمِيشِ التَّوَالِي عِنْدَ صِدْقِ العِزائمِ⁶
فأقسِمَ لولا مَنْ تعرَّضَ دونه لَعُولِي بَهَنَدِي الحَديدِ صارمِ
فأقتلُ أقواماً لثاماً أذلةً يَعْصُونَ من عَيْظِ أُولِ الأباهمِ
تمنى سينانُ ضلَّةً أن يُخيفني ويأمنَ ، ما هذا بفعلِ المُسلمِ
تمنيتُ جهداً أن تَضِيَعَ ظلامتي كذبتَ وربُّ الراقصاتِ الرُواسِمِ⁷

1 ذو الحيات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .

2 ثم اختلاف في رواية هذا البيت والبيت الذي سبقه في المفضليات 312 ، إذ يتبادلان الشطر الأول في كلٍّ منهما :

علوت بذِي الحَيَاتِ مفرق رأسِهِ وهل يركب المكروه إلا الأكارم
فتكت به كما فتكت بخالدي وكان سلاحِي تجتويه الجماجم

وثمة اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما ترى .

3 صدر البيت في المفضليات : بدأت بهذي ثم أنثي بهذه .

4 القماقم : جمع قماقم ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

5 الأبلخ : المتكبر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

6 المشيِّع : الشجاع . كَمِيشِ التَّوَالِي : يريد أنه مشمر جاد . وتوالي كل شيء : أواخره .

7 رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل :

سير لين .

يمين امرىء لم يَرْضِعِ اللُّؤْمُ ثَدْيَهُ وَلَمْ تَتَكَنَّفْهُ عَرُوقُ الْأَلَائِمِ

[الحارث يرد إبلاً لامرأة استجارت به]

قال : فأمنه النعمان ، وأقام حيناً . ثم إنَّ مصدقاً للنعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث ؛ فأنت الحارث فعلقت ذلّوها بدلوه ومعها بُنيُّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إني أتيتك مُضافة¹ . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النعمَ فنادي بأعلى صوتك : [من الرجز]

دَعَوْتَ بِاللَّهِ وَلَمْ تُرَاعِي ذَلِكَ رَاعِيكَ فَنِعْمَ الرَّاعِي

وتلك ذودُ الحارثِ الكساعِ يمشي لها بصارمٍ قَطَاعٍ²

يَشْفِي بِهِ مَجَامِعَ الصُّدَاعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول : [من الرجز]

أنا أبو ليلى وسَيْفِي المَعْلُوبُ كَمْ قَدْ أَجْرْنَا مِنْ حَرِيْبٍ مَحْرُوبٍ³

وكم رَدَدْنَا مِنْ سَلِيْبٍ مَسْلُوبٍ وَطَعْنَةٍ طَعْنَتْهَا بِالْمَنْصُوبِ

ذاك جهيزُ الموتِ عند المَكْرُوبِ⁴

ثم قال لها : لا تَرِدَنَّ عَلَيْكَ نَاقَةٌ وَلَا بَعِيرٌ تَعْرِفِينِهِ إِلَّا أَخَذْتِيهِ ففعلت ؛ فأنت على لقوح لها يجلبها حبشي ، فقال : يا أبا ليلى ! هذه لي . فقال الحبشي : كذبت . فقال الحارث : أرسلها لا أمُّ لك ! فضرط الحبشي . فقال الحارث : «استُ الخالب⁵ أعلم» ، فسارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ : [من الطويل]

كما كان أوفى إذ يُنادي ابنُ ديهثِ وصرمته كالمغتمِ المنتهبِ⁶

فقام أبو ليلى إليه ابنُ ظالمِ وكان متى ما يسئلُ السيفَ يضربِ

وما كان جاراً غيرَ ذلّوٍ تعلقتُ بحبلينِ في مُستحصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ⁷

1 مضافة : ملجأة .

2 الكسع : الضرب على الدبر .

3 المعلوب : اسم سيف له .

4 والمكرب : المشدود بالكرب وهو جبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ويثقل .

5 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 104/2 «است البائن أعلم» ، يضرب لمن ولي أمرأ وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وأصل المثل أن الحارث بن ظالم وجد اثنين يجلبان ناقة له فأهوى إليهما بالسيف ، فضرط البائن ، فقال المعلي والله ما هي لك ، فقال الحارث : «است البائن أعلم» .

6 الصرمة هنا : القطعة من الإبل .

7 المستحصد : الذي أحكم فتله .

[خروج الحارث إلى صديق له من كندة]

قال أبو عبيدة حدثني أبو محمد عصام العجلي قال : فلما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كندة يحل شعبي ، قال : شعبي غير ممدود ، فلما ألع الأسود في طلب الحارث قال له الكندي : ما أرى لك نجاة إلا أن الحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل إليك . فسار معه يوماً وليلة ، فلما غربته قال : إنني أنقطع ببلاد اليمن فأغترب بها ، وقد برئت منك خفرتي . فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل ، فلجأ إلى بني عجل بن لجيم ، فنزل على زبان فأجاره وضرب عليه قبة . وفي ذلك يقول العجلي :

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم فظل يغني آمناً في خيائنا

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : أخرج هذا المشثوم من بين أظهرنا ، لا نعرفنا بشر ؛ فإننا لا طاقة لنا بالملحاء (والملحاء كتيبة الأسود) فأبت عجل أن تخفره¹ ، فقاتلوه فامتنعت بنو عجل . فقال الحارث بن ظالم في الكندي وفيهم :

يُكَلِّفُنِي الْكِنْدِيُّ سَيْرَ تَنْوِفَةٍ أَكْبِدُ فِيهَا كُلَّ ذِي صَبَّةٍ مَثْرِي
الصَّبَّةُ : قطعة من الغنم أو بقية منها .

وَأَقْبَلَ دُونِي جَمْعُ ذُهْلٍ كَانَنِي وَزَبَانُ جَارِي وَالْخَفِيرُ عَلَى بَكْرِ
لَعَمْرِي لَا أَحْشَى ظُلَامَةَ ظَالِمٍ وَسَعْدُ بْنُ عَجَلٍ مُجْمَعُونَ عَلَى نَصْرِي

[لحوقه بطيء]

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارث : إنني قد اشتهر أمرِي فيكم ومكاني ، وأنا راحل عنكم . فارتحل فلحق بطيء . فقال الحارث في ذلك :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ بِي الْيَوْمَ نَاقَتِي إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيْءٍ غَيْرِ خَاذِلٍ
فَأَصْبَحْتُ جَاراً لِلْمَجْرَةِ مِنْهُمْ عَلَى بَاذِخٍ يعلو على المتطاويل

1 الإخفار : الغدر ونقض العهد .

2 الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

[أخذ الأسود أموال جارات له فردّها هو إليهن]

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حية أن الأسود حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يُبلغ منه . فقال له عروة بن عتبة : إن له جاراتٍ من بلي بن عمرو ، ولا أراك تنالُ منه شيئاً أعيظُ له من أخذهنّ وأخذ أموالهنّ ، فبعث الأسود فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلغ ذلك الحارثُ ، فخرج من الحين فانساب في غمارِ الناس حتى عَرَفَ موضعَ جاراته ومرعى إبلهنّ ، فأتى الإبلَ فوجد حاليين يحلبان ناقةً لهنّ يقال لها اللفّاع ، وكانت لبونا كأغزير الإبل ، إذا حُلِبَتْ اجترّت ، ودمعتُ عينها ، وأصغتُ برأسها ، وتفاجت¹ تفاجج البائل ، وهجمتُ في المحلب هجماً حتى تُسنمه² ، وتجاوت أحاليها³ بالشخب هنا⁴ وهشما حتى تصفّ بين ثلاثة محالب . فصاح الحارثُ بهما ورجز فقال : [من الرجز]

إذا سمعتِ حنةَ اللفّاعِ فادعي أبا ليلى ولا تُراعي
ذلك راعيكِ فنعِمَ الراعي يُجيبكِ رَحَبَ الباعِ والدُّراعِ
منطقاً بصارمٍ قطعاً⁵

حلياً عنها ! فعرفاه فضرط البائنُ . فقال الحارثُ : «استُ الضارطُ أعلمُ»⁶ فذهبتُ مثلاً ، قال الأثرمُ : البائنُ الحالبُ الأيمنُ ، والمستعلي الحالبُ الأيسرُ ، ثم عمد إلى أموالِ جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ) .

[رواية أخرى في قتله ابن الملك]

قال أبو عبيدة : ولحق الحارثُ ببلاد قومه مختفياً . وكانت أخته سلمى بنتُ ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري . قال أبو عبيدة : وكان الأسودُ بن المنذرِ قد تبني سنانُ بن أبي حارثة المريّ ابنه شرحبيل ، فكانت سلمى بنتُ كثيرٍ بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان بن أبي حارثة المريّ تُرضعه وهي أم هريم ، وكان هريم غنياً يقدر على ما يُعطي سائليه . فجاء الحارثُ ، وقد كان اندس في بلاد غطفان ، فاستعار سرجَ سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزولٌ بالشريّة ، فأتى به سلمى ابنة ظالم فقال : يقول لك بعلمك : ابعتي بابن الملك مع الحارث

1 تفاجت : باعدت بين رجلها .

2 تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .

3 الأحاليل : جمع إحليل ، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع .

4 الهت : اختلاط الصوت في حرب أو صخب .

5 منطقاً : مشدوداً في وسطه .

6 مثل مرّ في صفحة 73 .

حتى أستاذين له وَيَتَخَفَّرَ به ، وهذا سرجه آية إليك . فزيتته ثم دفعته إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحية من الشرية فقتله ، ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أخيراً كما إذ سألتما محاربُ مولاه ، وثكلانُ نادِمُ
ثكلان نادم : يعني الأسود لأنه قُتِلَ ابنه سُرحبيل . محاربُ مولاه : يعني الحارث نفسه .
ومولاه : سينان .

أخْصِيَّيْ جِمَارِ باتَ يَكْدُمُ نَجْمَةً أئوَكَلُ جاراتي وجارك سالمُ
حَسِيتْ أبيتَ اللَّعْنِ أَنتَ فائتُ ولما تَذُقُ تُكَلًّا وَأَنْفُكَ راعِمُ
فإن تكُ أذواداً أصبتَ ونسوةً فهذا ابنُ سَلْمَى رأسُه مُتْفاقِمُ
علوتُ بذِي الحياتِ مَفْرَقَ رأسِهِ وكان سِلاحِي تجتويه الجماجِمُ
فكتُ به كما فكتُ بخالِدِ ولا يَرَكِبُ المَكْرُوهَ إلاَّ الأكارِمُ
بدأتُ بتلكِ واثنتُ بهذه وثالثَةٍ تبيضُ منها المَقادِمُ

قال : ففي ذلك يقول عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ في الإسلام وهو من بني يَرْبُوعِ بنِ غَيْظِ بنِ مُرَّةَ لَمَّا هاجى شَيْبَ بنَ البَرْصاءِ ، وأبوه يزيدُ ، وهو من بني نُشْبَةَ بنِ غَيْظِ بنِ مُرَّةَ ابنِ عَمِّ سِنانِ بنِ أَبِي حارثةَ ، فعيره بقتل الحارثِ بنِ ظالمِ سُرحبيلِ لأنَّه ربيبُ بني حارثةَ بنِ مُرَّةَ بنِ نُشْبَةَ بنِ غَيْظِ رَهْطِ شَيْبِ ، ففي ذلك يقول عَقِيلُ :

قتننا سُرحبيلًا ربيبَ أبيكم بناصيةَ المَعْلُوبِ ضاحيةَ غصبا¹
فلم تُنكرُوا أن يَغْمِزَ القومُ جارِمَ بإحدى الدَّواهي ثم لم تَطْلَعُوا نَقبا²
قال أبو عبيدة : وهرب الحارث ، فغزا الأسودُ بني ذُبْيَانَ إذ نقضوا العهدَ وبني أسدٍ بِشَطِّ أريكِ . قال أبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أريكانِ الأسودِ والأبيض ، ولا أدري بأيهما كانت الوقعةُ . قال أبو عبيدة وقال آخرون : إنَّ سَلْمَى امرأةَ سِنانِ التي أخذ الحارثُ سُرحبيلَ من عندها من بني أسدٍ . قال : فإنما غزا الأسودُ بني أسدٍ لدفعِ الأَسَدِيَّةِ سَلْمَى ابنه إلى الحارثِ ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق³ أموالهم . وفي ذلك يقول [الأعشى ميمون] : [من الخفيف]

وشيوخُ صرَعى بِشَطِّ أريكِ ونساءُ كاتهنَّ السَّعالي

1 المَعْلُوبُ : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهراً .

2 النقب : الطريق ، أو الطريق الضيق في الجبل .

3 في ل : واستخف .

من نواصي دُودانَ إذ نقضوا العهد
 ربَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلِكَ اليو
 هُوَلاً ثُمَّ هُوَلاً كُلاًّ اخذِي
 وأرى من عصاك أصبح مخذو
 سدَّ وذُبْيَانَ والهجانِ العوالي
 مَ وأسرى من مَعَشِرٍ أَقتالِ
 تَ نِعَالاً مَحذُوءَةً بِمِثَالِ
 لَأَ وكَعَبُ الذي يُطيعك عالي

[وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب]

قال : ووجد نعل شرحبيل عند أضاح . وهو من الشَّرِيَّةِ في بني محارب بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ عَيْلان . قال : فأحمي لهم الأسود الصِّفا التي بصحراء أضاح وقال لهم : إني أحميكم نِعَالاً ، فأمشاهم على الصِّفا المَحْمِي فتساقط لحم أقدامهم . فلما كان الإسلام قتل جَوْشَنُ الكِنْدِيُّ رجلاً من بني مُحارِبٍ فأقيد به جَوْشَنُ بالمدينة . وكان الكنديُّ من رهط عباس بن يزيد الكندي ، فهجا بني مُحارِبٍ فعيَّروهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال : [من الطويل]

على عَهْدِ كِسْرَى نَعَلْتِكُمْ ملوكنا
 صَفَاً من أضاحِ حامياً يَتَلَهَّبُ

قال أبو عبيدة : وصار ذلك مثلاً يتوعَّد به الشعراء من هَجَوْه ويحذرونهم مثل ذلك . ومن ذلك أن ابن عَتَّابِ الكلبي ورد على بني النوس من جَدِيلَةَ طِيء ، فسرقوا سهاماً له ؛ فقال يحذروهم : [من الطويل]

بني النوس رُدُّوا أسهُمي إنَّ أسهُمي
 كَنَعْلِ شُرْحَبِيلِ التي في مُحارِبِ

وقال في الجاهليَّة ابنُ أمِّ كَهْفِ الطائيُّ في مَدْحِهِ للملك بن جِمَارِ الشَّمْخِي ، فذكر نعل شُرْحَبِيلِ فقال : [من الوافر]

ومولك الذي قتل ابنَ سَلْمَى
 عَلَانِيَةً شُرْحَبِيلَ ابنِ نَعْلِ

لأنه لولا النعل لم يُعْرَف ، وإتما عُرِف بما صنع أبوه بيني مُحارِبِ من أجل نعله التي وُجِدَت في بني مُحارِبِ .

[أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة]

قال أبو عبيدة : وأخذ الأسود سِنانَ بنَ أبي حارثة ؛ فأتاه الحارثُ بن سَفِيانَ أحدُ بني الصارِدِ ، وهو الحارثُ بن سَفِيانَ بن مرَّة بن عوف بن الحارث بن سَفِيانَ أخو سَيَّارِ بن عمرو بن جابر الفَزاريُّ لأُمَّه ، فاعتذر إلى الأسود أن يكون سِنانُ بن أبي حارثة عليم أو أطلع ، ولقد كان أطرَدَ الحارثُ من بلاد غَطَفان ، وقال : عليَّ دِيَّةُ ابنِك ألفُ بَعِيرٍ دِيَّةُ الملوك ؛ فحملها إياه وخلَّى عن سِنانِ ؛ فأدى إلى الأسود منها ثمانمائةً بَعيرٍ ثم مات . فقال سَيَّارُ بن عمرو

أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهنه سَيَّارٌ قَوْسَه ، فأدى البقيّة . فلما مدح قُرَادُ بن حَنَشِ الصارِديُّ بني فزارة جَعَلَ الحَمالةَ كُلِّها لَسَيَّارِ بن عمرو فقال :

[من الطويل]

ونحنَ رَهْنَا القَوْسَ نُمِتَ فُودِيتَ بألفٍ على ظَهْرِ الفَزاريِّ أَقرعاً¹
بعشرٍ مئِينٍ للملوكِ سَعى بها ليُوفِي سَيَّارُ بن عمرو فأسرعاً
رَمِينا صَفاهُ بالمئِينِ فأصبحتُ ثناباه للساعينِ في المَجْدِ مَهيعاً²

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعْنَبِ ، فردّ عليه قُرَادُ فقال :

[من البسيط]

ما كان ثَعْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ولا الفَزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانٍ³
لكن تَضَمَّنَها أَلْفاً فأخرجها على تكاليفها حارُّ بن سُفيانٍ⁴

وقال عُوَيْفُ القَوافي بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدرٍ في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبريِّ حين هاجاه أحد بني وبرٍ بن كِلابٍ :

[من الرجز]

فهل وجدتم حاملاً كحاملي إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كامل
بديّةِ ابنِ الملكِ الحَلاجلِ فافتكّها من قبلِ عامٍ قابل
سَيَّارُ المُوفي بها ذو السائلِ

[لحوق الحارث ببني دارم]

قال أبو عبيدة : فلما قتل الحارث شُرْحبيلَ لحق ببني دارمٍ فلجأ إلى بني ضَمْرَةَ . قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَدُ بن زُرارة فأجاره ، فجرّ جُوارهُ يوم رَحْرَحانَ ، وجرّ يوم رحرحان يوم جَبَلَةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنذِرِ بخُفرتِه⁵ فلما بلغه نزولُه ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسَلِّمُوهُ فَأَبَوْا . فقال يَمُنُّ على بني قَطَنِ بن نَهْشَلِ بن دارمٍ بما كان من النعمان بن المُنذِرِ في أمر بني رَشِيَّةِ وهي رُمَيْلَةُ حين طلبهم من لَقِيظِ بن زُرارة حتى استنقذهم . ورشيّةُ أُمَّةٌ كانت لزرارة بن عُدُسِ بن زيدِ المُجاشِعيِّ ، فوطئها رجلٌ من بني نَهْشَلِ فأولدها ؛ وكان زُرارةُ يأتي بني نَهْشَلِ يطلبُ العِلْمَةَ التي وُلدت ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلَةَ والرِّبابَ بن رُمَيْلَةَ وغيرهما ،

1 بألف أقرع أي تام .

2 الثنابا : جمع ثنية وهي طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح .

3 ذو عاج : واد في بلاد قيس . الجُوفان : أير الحمار .

4 يريد حارث بن سفيان .

5 الخفرة : الذمة .

وكانوا يُسمعونه ما يكره ، فيرجع إلى ولده فيقول : أَسْمَعُنِي بِنُو عَمِّي خَيْرًا وَقَالُوا : سَنَبَعْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ عَاجِلًا ، حَتَّى مَاتَ زُرَّارَةُ . فَقَامَ لَقَيْطٌ ابْنُهُ بِأَمْرِهِمْ ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَسْمَعُوهُ مَا كَرِهَ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ ، فَذَهَبَ النَّهْشَلِيُّ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ! لَا تَصِلُنِي وَتَصِلُ قَوْمِي بِأَفْضَلِ مَنْ طَلَبْتِكَ إِلَى لَقَيْطِ الْغُلَمَةِ لِيَكْفَ عَنِّي . فَدَعَاهُ فَشَرِبَ مَعَهُ ، ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُمْ مِنْهُ فَوَهَبَهُمْ لَهُ . فَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُنْدَرِ فِي ذَلِكَ :

كَأَيُّنَّا لَنَا مِنْ نِعْمَةٍ فِي رِقَابِكُمْ بَنِي قَطَنٍ فَضْلًا عَلَيْكُمْ وَأَنْعُمًا
وَكَمْ مِنْنَا كَانَتْ لَنَا فِي بُيُوتِكُمْ وَقَتْلِ كَرِيمٍ لَمْ تَعُدُّوهُ مَغْرَمًا
فَأَيْكُمْ لَا تَمْنَعُونَ ابْنَ ظَالِمٍ وَلَمْ يَمْسُ بِالْأَيْدِي الْوَشِيحِ الْمُقَوْمًا¹
فَأَجَابَهُ ضَمْرَةَ بْنُ ضَمْرَةَ فَقَالَ :

سَمَنْعَ جَارًا عَائِدًا فِي بُيُوتِكُمْ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا مُسَلِّمًا
إِذَا مَا دَعَوْنَا دَارِمًا حَالَ دُونَهُ عَوَائِسُ يُعْلِكُنَ الشُّكِيمَ الْمُعْجَمًا²
وَلَوْ كُنْتَ حَرْبًا مَا وَرَدْتَ طُوَيْلِعًا وَلَا حَوْفَهُ إِلَّا خَمِيْسًا عَرْمَرَمًا³
تَرَكْتَ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ وَفَعَلَهُمْ وَأَشْبَهْتَ تَيْسًا بِالْحِجَازِ مُزْنَمًا⁴
وَلَنْ أذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَيْنَا وَأَنْعُمًا⁵

قال : وبلغ ذلك بني عامر ، فخرج الأحوصُ غازيًا لبني دارمِ طالباً بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطووا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتقوا برحرحان ، فهزمت بنو دارم ، وأسير معبدُ بن زُرارة ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد . [أسر بني قيس وبني هزان للحارث]

ثم أسر بنو هزان الحارث بن ظالم . وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ، ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام ، فمر به نفر من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عزة وهو نائم ،

1 الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصله .

2 الشكيمة من اللجم : الحديدية المعترضة في الفم . والمعجم : العضوض .

3 حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدو المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمم : الكثير .

4 المزمن من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز ، والمزمن أيضاً : الذي تقطع أذنه وترك له زنمة .

5 رواية الشطر الثاني من البيت في اللسان (مادة زئم) : فإن له عندي يدياً وأنعمًا .

فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه ، فاتتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم من هو فلم يفعل . فاشتره القيسيون من الهزائين بزقٍ خميرٍ وشاة ، ويقال : اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق¹ بكرية وعشرين من الشاء ، ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : من أنت ؟ وما حالك ؟ فلم يخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال : وهو قريبٌ من اليمامة . قال : فبينما هم على تلك الحال وهم يُرغونه ضرباً مرّةً وتهتدداً أخرى وليناً مرّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى ملّوه ، فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً ، فتوجّه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه ، فلقي غلمةً يلعبون ، فنظر إلى غلامٍ منهم أخلقهم للخير عنده فقال : من أنت ؟ قال : أنا بُجَيْرُ بنِ أُبَجَرَ العَجَلِيّ ، وله ذؤابةٌ يومئذٍ وأمّه امرأةٌ قتادة بن مسلمة الحنفيّ . فأثاه وأخذ بحقويه والتمزه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إن عَجلاً أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأخبره وأجاره وقال : ائت عمك قتادة بن مسلمة الحنفيّ فأخبره ؛ فأتى قتادة فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة : وأمّا فراس² فرعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شدّاً حتى أتى اليمامة ، وأتبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة وفيه قتادة بن مسلمة . فلما رآه يهوي نحوهم قال : إن هذا لخائفٌ ، وبصرٌ بالقوم خلفه فصاح به : الحصن الحصن ! فأقبل حتى ولج الحصن . وجاءت بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم ، فأما إذ تحرّم بي فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه ، وإنما أتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومك وجيرتُك . قال : أما أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا مني : إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني ، وإن شئتم أعطيتُه سلاحاً كاملاً وحملته على فرسٍ ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دونكموه . فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : إن أفلتتم فردّ إليّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الوادي ، ثم أتبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلاد بني قشيرٍ ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يومٍ . فلما صار إلى بلاد بني قشيرٍ يسوا منه فرجعوا عنه . وعرفه بنو قشيرٍ فانظروا عليه وأكرموه . وردّ إلى قتادة بن مسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل ، لا أدري أعطاه إياها بنو قشيرٍ من أموالهم ليكافئها بها قتادة أم كانت له ، لم يُفسر أبو عبيدة أمرها ولا سألتُه عنها .

1 أغلاق الرهن : إيجابه للرهن إذا لم يفك .

2 فراس هنا : أبو المختار فراس بن خندق القيسي .

فقال الحارثُ بن ظالم في ابني حُلَاكَةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّينَ وفيما كان من أمره . قال أبو عبيدة : ويقال أسره راعيان من بني هِزَانَ يقال لهما ابنا حُلَاكَةَ : [من البسيط]

أَبْلُغْ لَدَيْكَ بَنِي قَيْسٍ مُغْلَغَلَةً أَنِّي أَقْسَمُ فِي هِزَانَ أَرْبَاعَا
ابنَا حُلَاكَةَ بَاعَانِي بِلَا ثَمَنِ وَبَاعَ ذُو آلِ هِزَانَ بِمَا بَاعَا
يَأْبَانِي حُلَاكَةَ لَمَّا تَأْخُذَا ثَمَنِي حَتَّى أَقْسَمَ أَفْرَاسًا وَأَدْرَاعَا
قَتَادَةُ الْخَيْرُ نَالْتَنِي حَدِيثُهُ وَكَانَ قَدَمًا إِلَى الْخَيْرَاتِ طَلَاعًا¹

وقال في ذلك أيضاً : [من الكامل]

هَمَّتْ عُكَابَةٌ أَنْ تَصِيْمَ لِحِيْمَا فَأَبَتْ لُجَيْمَ مَا تَقُولُ عُكَابَةٌ²
فَأَسْقِي بُجَيْرًا مِنْ رَحِيْقِ مُدَامَةٍ وَأَسْقِي الْخَفِيْرَ وَطَهْرِيْ أَثْوَابَهُ
جَاءَتْ حَنِيفَةٌ قَبْلَ جَيْئَةٍ يَشْكُرُ كَلًّا وَجَدْنَا أَوْفِيَاءَ ذُوَابَهُ

[مروره برجل من بني أسد]

وزعم أبو عبيدة أن الحارثَ لما هُزِمَتْ بنو تميم يوم رَحْرَحَانَ مرَّ برجلٍ من بني أُسْدِ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ فقال : يا حَارِ إِنَّكَ مَشْعُومٌ وَقَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ ، فَانظُرْ إِذَا كُنْتَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا مِنْ بُرْقَةِ رَحْرَحَانَ فَإِنَّ لِي بِهِ جَمَلًا أَحْمَرَ فَلَا تَعْرِضْ لَهُ . وَإِنَّمَا يَعْرِضُ لَهُ وَيَكْرَهُ أَنْ يَصْرَحَ فَيُبْلَغَ الْأَسْوَدَ فَيَأْخُذَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْحَارِثُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَذَ الْجَمَلَ فَتَجَا عَلَيْهِ ، وَإِذَا هُوَ لَا يُسَايِرُ مِنْ أَمَامِهِ وَلَا يُسَبِّقُ مِنْ وَرَائِهِ . فَبْلَغَ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ ، فَأَخَذَ الْأَسْوَدُ الْأَسْدِيَّ وَنَاسًا مِنْ قَوْمِهِ . وَبْلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ فَقَالَ كَأَنَّهُ يَهْجُوهُمْ لَثَلًا يَتَّهَمُهُمُ الْأَسْوَدُ : [من الوافر]

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعْمِ الْمُنْدَى بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي³
لِحِيِّ الْأَنْكَدِينَ وَحِيِّ عَبْسٍ وَحِيِّ نَعَامَةٍ وَبَنِي غُدَانَ

[لحوقه بمكة واتماؤه إلى قريش]

قال : فلما بلغ قوله الأسودَ خَلَّى عَنْهُمْ . وَلِحِقِ الْحَارِثُ بِمَكَّةَ وَانْتَمَى إِلَى قَرِيْشٍ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ : [من الوافر]

1 الحذية : العطية .

2 لُجَيْمٌ : اسم القبيلة .

3 الْمُنْدَى فِي ل : الْمَبْدَى ، وَتَنْدِيَةُ الْإِبِلِ : أَنْ يُوْرِدَهَا الرَّجُلُ الْمَاءَ حَتَّى تَشْرَبَ قَلِيْلًا ثُمَّ يَجِيءُ بِهَا حَتَّى تَرعى سَاعَةَ ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَى الْمَاءِ . وَأَبْدَيْتُ الْإِبِلَ : إِذَا أُبْرِزْتَهَا إِلَى مَوْضِعِ الْكَلَاءِ .

وما قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ
ولا بفِزَارَةَ الشُّعْرِ الرَّقَابَا¹
وقَوْمِي إِنْ سَأَلْتِ بَنُو لُؤَيٍّ
بِمَكَّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضَّرَابَا

قال : فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحِيّ على ناقة ؛ فذلك قوله ؛ [من الوافر]

وهَشَّ رَواحةُ الجُمَحِيّ رَحْلِي
بناجِيَةِ ولم يَطْلُبْ ثَوابا
كَأَنَّ الرَّحْلَ والأَنْساعَ مِنْها
ومِثْرَتِي كُسِينِ أَقْبَ جابا²

[لحق الحارث بالشام بملك من الغساسنة]

يروى «حَشَّ» و«هَشَّ» وهما لغتان . وحَشَّ سَوَى . قال : فلحق الحارث بالشام بملك من ملوك غَسَّان ، يقال [هو] النُّعْمان ، ويقال بل هو يزيد بن عَمْرٍو الغَسَّانِي ، فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحَمَّاةٌ في عُنُقها مُدْيَةٌ وزِنادٌ وصِرَّةٌ مِلح ، وإنما يختبر³ بذلك رعيته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان ، فَوَحَمَتْ إحدى امرأتيه ، قال أبو عبيدة : وأصابت الناس سنةً شديدةً ، فطلبت الشَّحْمَ إليه . قال : ويحك ! وأنتى لي بالشحم والودك ؛ فألحّت عليه ؛ فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلبّ في سَبَلتها⁴ (أي طعن)⁵ . فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عَكَّتْها . قال : وفَقِدَتِ الناقة فَوُجِدَتْ نَجِيرًا لم يُؤخَذَ منها إلا السَّنام ، فأعلموا ذلك الملك ، وخفي عليهم مَنْ فعله . فأرسل إلى الخُمسِ التَّغَلبيّ ، وكان كاهنًا ، فقال : مَنْ نحر الناقة ؟ فذكر أن الحارث نحرها . فتذمّم⁶ الملك وكذّب عنه . فقال : إن أردت أن تعلمَ ذلك فدسّ امرأةً تطلب إلى امرأته شحمًا ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحمًا ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلما فُقِدَتِ المرأة قال الخُمسُ : غالها ما غال الناقة⁷ ، فإن كره الملك أن يفتشه عن ذلك فليأمر بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِثَ بيته ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارثُ فقتله ؛ فأخِذَ الحارثُ فحُجِسَ . فاستسقى ماء

1 الشعر : جمع أشعر .

2 الأَساع : جمع نسع وهو سير مضمور تشدّ به الرحال . والميثرة : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقْب : الضامر : والجاب والجأب : القوي الغليظ .

3 ل : يبور .

4 سبلة البعير : ثغرة نحره .

5 يقال لب البعير إذا ضربه في لبتة أي طعنه في منحره .

6 تذمّم : استكف .

7 أي غال المرأة من غال الناقة ، وهي تضرب في تحري بيان الحقيقة ومعرفه خفاياها ، ورد في تمثال الأمثال للعبدي الشيبني 481/23 نقلًا عن الأغاني .

فأتاه رجلٌ بماء فقال : أتشربُ ؟ فأنشأ الحارث يقول :

لقد قال لي عند المجاهدِ صاحبي وقد حيلَ دون العيشِ هل أنت شاربٌ¹
 وِدِدْتُ بأطرافِ البنانِ لَوِ اتَّني بذِي أروَني تَرمي ورائي الثَّعالِبُ
 الثعالب : من مُرَّةٍ وهم رُماةٌ . أروَني : مكانٌ . وقال مُرَّةٌ أخرى : الثعالب بنو ثعلبة .
 يقول : كانوا يرمون عني ويقومون بأمرِي . قال : فأمر الملك بقتله . فقال : إنك قد أجزتني فلا
 تَغِدِرْني . فقال : لا ضيرٌ ؛ إن غَدَرْتُ بِكَ مُرَّةٌ فقد غدرت بي مراراً² . فأمر مالك بن الخِمْسِ
 التغلبيُّ أن يقتله بأبيه . فقال : يا ابنُ شرِّ الأظماء أنت تقتلني ! فقتله . وقال ابن الكلبِيِّ : لما قام
 ابن الخِمْسِ إلى الحارث ليقْتله قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْسِ . قال : أنت ابنُ شرِّ الأظماء .
 قال : وأنت ابنُ شرِّ الأسماء ؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضريِّ ، وهم حَيٌّ من جرهم ، يرثي
 الحارث بن ظالمٍ :

يا حارِ حِنِيًّا حُرًّا قُطامِيًّا³
 ما كنت تَرَعِيًّا في البيتِ ضِجْجِيًّا⁴
 أدعى لُبائِخِيًّا مُملاً عِيًّا⁵

وأخذ ابن الخِمْسِ سيفَ الحارثِ بن ظالمِ المعلوبِ ، فأتى به سُوْقَ عُكاظِ في الحَرَمِ ،
 فجعل يَعْرضُه على البيعِ ويقول : هذا سيفُ الحارثِ بن ظالمِ . فاستراه⁶ إياه قيسُ بن
 زهيرِ بن جَدِيمةَ فأراه إياه ، فعلاه به حتى قتله في الحَرَمِ . فقال قيسُ بن زهيرِ⁷ يرثي
 الحارثَ بن ظالمِ :

ما قَصَرْتُ من حاضِنِ سِتْرِ بَيْتِها أُبرُّ وأوفى منك حارِ بنَ ظالمِ⁸
 أعزُّ وأحمى عند جارٍ وذِمَّةِ وأضربَ في كابِ من النَّقْعِ قاتِمِ

1 المجاهد : الشدائد .

2 مثل .

3 حنياً : لعله منسوب إلى الحنِّ وهو حي أو ضرب من الجن . والقطامي : الصقر .

4 الترعي والترعية : الذي يجيد رعية الإبل . والضجعي : الذي يلزم البيت لا يكاد يرح منزله ولا ينهض
 لمكرمة .

5 لبأخي : ضخم كثير اللحم .

6 استراه إياه : طلب إليه أن يريه إياه .

7 ل : قيس بن زحل .

8 قصر الستر : أرحاه .

هذه رواية أبي عبيدة والبصريين . وأما الكوفيون فإنهم يذكرون أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله . أخبرني بذلك علي بن سليمان الأحمش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن الفضل قال : لما هرب الحارث إلى مكة أسف النعمان بن المنذر على قوته إياه ، فلطف له وراسله وأعطاه الأمان ، وأشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضرب واليمن أنه لا يطلبه بذحل ولا يسوءه في حال ، وأرسل به مع جماعة ليسكن الحارث إليهم ، وأمرهم أن يتكلموا له بالوفاء ويضمنوا له عنه أنه لا يهيجه ، ففعلوا ذلك . وسكن إليه الحارث ، فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل ، فقال للحاجب : استأذن لي ، والناس يومئذ -سند النعمان متوافرون ، فاستأذن له ، فقال النعمان : ائذن له وخذ سيفه . فقال له : ضع سيفك وادخل . فقال الحارث : ولم أضعه ؟ قال : ضعه ، فلا بأس عليك . فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان . فلما دخل قال : انعم صباحاً أبيت اللعن . قال : لا أنعم الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النعمان : كتابي والله ما أنكره ، أنا كتبتك لك ، وقد غدرت وفتكت مراراً ، فلا ضير أن غدرت بك مرة . ثم نادى : من يقتل هذا ؟ فقام ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث فتك بأبيه ، فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس [مثل] ما ذكر أبو عبيدة .

[181] - خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذكّر هاهنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر ، ولأنّ فيما تناقضاه من الأشعار أغانيّ صالحٍ ذكّرها في هذا الموضع .

[غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً]

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز ، ولما بلغه قتلُ الحارث بن ظالمٍ خالدٍ بن جعفرٍ ، وكان خالدٌ مضافياً له ، غضبٌ لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لقي الحارثُ خالداً وهو يقظانٌ لما نظر إليه ، ولكنه قتلته نائماً ، ولو أتاني لعرف قدره ؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيائه ، فتغنّى له :

[من الخفيف]

عَلَّانِي وَعَلَّا صَاحِبِيَا	وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا ¹
إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِفُنَ بِالذُّ	فَ لِفَيْتَانِنَا وَعَيْشًا رَحِيًّا
يَتَبَارَيْنَ فِي النَّعِيمِ وَيَصِيبُ	نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَاً ذَكِيًّا
إِنَّمَا هُمُ هُنَّ أَنْ يَتَحَلَّى	نَ سُمُوطًا وَسُنْبُلًا فَارِسِيًّا
مِن سُمُوطِ الْمَرْجَانِ فَصَلَّ بِالشَّدِّ	رِ فَأَحْسِنَ بِحَلِيهِنَّ حَلِيًّا
وَفَتَى يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسَّيِّ	فِ إِذَا كَانَتِ السُّيُوفُ عَصِيًّا
إِنَّمَا لَا نَسْرُ فِي غَيْرِ نَجْدِ	إِنَّ فِينَا بِهَا فَتَى خَزْرَجِيًّا
يُدْفَعُ الضَّمِيمَ وَالظَّلَامَةَ عَنْهَا	فَتَجَافِي عَنْهُ لَنَا يَا مَنِيًّا
أُبْلِغُ الْحَارِثَ بَنَ ظَالِمِ الرَّعِ	دِيدَ وَالنَّاذِرَ النَّذُورَ عَلِيًّا
أَتَمَّا يَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا يَقِ	تُلُ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا
وَمَعِي شِكَّتِي مَعَابِلُ كَالْجَمِّ	رِ وَأَعَدَدْتُ صَارِمًا مَشْرِفِيًّا ²
لَوْ هَبَّتْ الْبِلَادُ أَنْسَيْتُكَ الْقَتْدَ	لَ كَمَا يُنْسِيءُ النَّسِيءَ النَّسِيًّا

[مسير الحارث إلى عمرو واتخاذ عمرو عنه]

قال : فلما بلغ الحارثُ شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديار بني الخزرج ،

1 المرُوق : المصفي .

2 الشكة : السلاح . والمعابل جمع مبعلة وهي نصل طويل عريض .

ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيها الملك أغثني فإنني جارٌّ مكثورٌ¹ وخذُ سلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برز له عطف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو ليلى ! فاعتركا ملياً من الليل . وخشي عمرو أن يقتله الحارثُ فقال له : يا حارٍ ، إني شيخٌ كبيرٌ وإنني تعتريني سنةٌ ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهات ؛ ومن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمرو الرُمحَ من يده وقال : يا حارٍ ألم أُخبرك أن النعاسَ قد يغلبيني ؛ قد سقط رمحي فاكفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظرني إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدعني آخذُ رُمحي . قال : خذهُ . قال : أحشى أن تُعجلني عنه أو تفتك بي إذا أردتُ أخذه . قال : وذمةٌ ظالمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذه . قال : وذمةُ الإطنابة لا آخذهُ ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له :

[من الخفيف]

اعرفا لي بلذة قينتي	قبل أن يُبكرَ المنونَ علياً
قبل أن يُنكرَ العواذلُ إنني	كنتُ قدماً لأمرهنَّ عصياً
ما أبالي أراشداً فاصبحاني	حسيتني عواذلي أم غويًا
بعداً ألا أصيرَ لله إثماً	في حياتي ولا أخونَ صفيًا
من سلافٍ كأتها دمُ ظبي	في زجاجٍ تخالُه رازقيًا
بلغتنا مقالةُ المرءِ عمرو	فأنفنا وكان ذاكَ بدياً
قد هممنا بقتله إذ برزنا	ولقيناهُ ذا سلاحٍ كميًا
غيرَ ما نائمٍ تعلقَ بالحدِّ	مِ مُعداً بكفه مشرفياً
فمننا عليه بعدُ علوٌ	بوفاءٍ وكنتُ قدماً وفيًا
ورجعنا بالصَّفحِ عنه وكان الـ	مَنُ منا عليه بعدُ تليًا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعر عمرو والحارث]

منها في شعر عمرو بن الإطنابة :

[من الخفيف]

صوت

عَللاني وَعَللا صاحِبِيَا واسقِياني مِنَ المَرُوقِ رِيَا

إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِفْنَ بِاللَّدِّ فَ لِفِتْيَانِنَا وَعَيْشًا رَحِيًّا
 غَنَّتْهُ عَزَّةُ الْمَيْلَاءِ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ خَفِيفٍ رَمَلٍ بِالْوَسْطِيِّ . قَالَ حَمَّادٌ أَخْبَرَنِي أَبِي
 قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ مَعْبُدًا قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى جَمِيلَةٍ وَعِنْدَهَا عَزَّةُ الْمَيْلَاءِ تَغْنِيهَا لِحْنَهَا فِي شِعْرِ
 عَمْرُو بْنِ الْإِطَابَةِ الْخَزْرَجِيِّ :

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا

عَلَى مِعْرِفَةٍ¹ لَهَا وَقَدْ أَسْنَتْ ، فَمَا سَمِعْتُ قَطُّ مِثْلَهَا وَذَهَبَتْ بَعْقَلِي وَفَتَنْتَنِي ، فَقُلْتُ : هَذَا
 وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُسِنَّةٌ ! فَكَيْفَ بِهَا لَوْ أَدْرَكْتُهَا وَهِيَ شَابَةٌ ؟ وَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْهَا .
 وَمِنْهَا فِي شِعْرِ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ :

[من الخفيف]

صوت

مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا أَرْشِيدًا حَسَيْتَنِي أَمْ غَوِيًّا
 مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا دَمٌ ظَبِّي فِي زُجَاجٍ تَخَالُهُ رَازِقِيَا²
 غَنَّاهُ فُلَيْحُ بْنُ أَبِي الْعَوْرَاءِ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ . وَغَنَّاهُ ابْنُ مَحْرِزٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ
 أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ حَبَشٍ .
 وَمِنْهَا :

[من الخفيف]

صوت

بَلَّغْتَنَا مَقَالََةَ الْمَرْءِ عَمْرُو فَأَنْفُنَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا
 قَدْ هَمَمْنَا بِقَتْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا وَلَقِينَاهُ ذَا سَلَاحٍ كَمِيًّا
 غَنَّاهُ مَالِكٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ حَبَشٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ فِي مُجَرَّدِهِ أَنَّ الْغَنَاءَ فِي
 هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُونَسِ الْكَاتِبِ ، وَلَمْ يَنْسُبِ الطَّرِيقَةَ وَلَا جَنْسَهَا .

1 المعرفة : آلة العزف .

2 الرازقي : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب .

182 - [خبر يوم رحرحان]

ونذكر هاهنا خبر رَحْرَحَانَ ويومَ قتله إذ كان مقتل الحارث وخبره خبرهما

[يوم رحرحان الثاني والسبب فيه]

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن العباس اليزيدي في كتاب النقائض قالوا قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال: كان من خبر رَحْرَحَانَ¹ الثاني أن الحارث بن ظالم المرِّي لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب غَدْرًا عند النعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زُرارة بن عُدُس فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكره أن يكون لقومه زَعَمٌ عليه و - الزعم المنة - فلم يزل في بني تميم عند زُرارة حتى لحق بقريش. وكان يقال: إن مرة بن عوف من لُؤي بن غالب، وهو قول الحارث بن ظالم ينتمي إلى قریش:

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ وَبَيَّتُ الشَّمَائِلَ والقِيَابَا
فما قَوْمِي بَثْعَلْبَةَ بنِ سَعْدٍ ولا بفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرُّقَابَا

وأثامهم لذلك النَّسَب، فكان عند عبد الله بن جُدعان. فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زُرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأة من بني تميم وجدوها تحتطب، وكان [في] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شَرِيح بن الأحوص، وأصابوا غلماناً يجتنون الكمأة. وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غنبي، فأرادت بنو عامر أخذها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أحيذة خالي. وكانت أم جعفر (يعني أبا الأحوص) خبيبة بنت رباح [الغنوي] وهي إحدى المنجيات. ويقال: أتى شَرِيح بن الأحوص بتلك المرأة [إليه]، فسألها عن بني تميم، فأخبرتهم أنهم لَحِقُوا [بقومهم] حين بلغهم مجيئكم. فدفعها الأحوص إلى الغنوي فقال: اغفجها² الليلة واحذر أن تنفلت. فوطئها الغنوي ثم نام، فذهبت على وجهها. فلما أصبح دَعَوَا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال: هذا حري رطباً من زُها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أخي زُرارة بن عُدُس. فأتت قومها، فسألها عمها زُرارة عما رأت، فلم تستطع أن تنطق. فقال بعضهم: اسقوها ماء حاراً فإن قلبها قد برد

1 يوم رحرحان الأول كان بين دارم وعامر بن صعصعة.

2 العفج: الجماع.

من الفَرَقِ ، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنت . فقالت : يا عَمَّ ! أخذني القوم أُمسٍ وهم فيما أرى يُريدونكم ، فاحذَرِ أنتِ وقومك . فقال : لا بأس عليك يا بنت أخي ، فلا تَدْعِرِي قومك ولا تَرُوِعِيهم ، وأخبريني ما هيئَةُ [القوم وما] نَعْتهم . قالت : أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الطُّبَاءِ ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساءِ . قال زرارة : أولئك بنو عامر ، فَمَنْ رأيتَ فيهم ؟ قالت : رأيتُ رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه ، صغير العينين ، عن أمره يصُدُّرون . قال : ذلك الأحوص بن جعفر . قالت : ورأيتُ رجلاً قليل المنطق ، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبلُ لفحلها ، وهو من أحسن الناس وجهاً ، ومعه ابنان له لا يُدْبِرُ أبداً إلا وهما يتبعانه ، ولا يُقبل إلا وهما بين يديه . قال : ذلك مالك بن جعفر ، وابناه عامرٌ وطُفيلٌ . قالت : ورأيتُ رجلاً أبيضَ هَلْقَامَةً جَسِيماً ، والهلْقَامَةُ الأفوه . قال : ذلك ربيعةُ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . [قالت : ورأيتُ رجلاً أسوداً أحنَسَ قصيراً ، إذا تكلم عَدَمٌ¹ القوم عَدَمَ المنخوس . قال : ذلك ربيعة بن قُرْط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرن الحاجبين ، كثيرَ شعرِ السَّبَلَةِ ، يسيلُ لعابه على لِحِيته إذا تكلم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البكاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، ضيقُ الجَبْهةِ طويلاً ، يقود فرساً له ، معه جَفِيرٌ لا يُجاوِزُ يده . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنان له حَسَنًا الوجوه أصهبان ، إذا أقبلَا نظر القوم إليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظرُوا إليهما] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدٍ بن نُفَيْلٍ بن عمرو بن كلاب ، وابناه يزيدٌ وزُرْعَةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رجُلَيْنِ أَحْمَرَيْنِ جَسِيمَيْنِ ذَوِي غَدَائِرٍ لا يَفْتَرِقَانِ فِي مَمَشَى ولا مجلس ، فإذا أدبرا اتبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلَا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلسا . قال : ذاك خُوَيْلِدٌ وخالد ابنا نُفَيْلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جَسِيماً كأنَّ رأسه مَجْرٌ غَضُورَةٌ ، والغضُورَةُ : حشيشٌ دُفَاقٌ حَشِينٌ قائم يكون بمكَّةَ . تريد أن شعره قائم حَشِينٌ كأنه حشيشٌ قد جَزَّ . قال : ذلك عَوْفُ بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنَّ شعرَ فخذَيْه حَلَقُ الدُّرُوعِ . قال : ذلك شَرِيحُ بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَةَ . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ ، صَحَاباً لا يَدْعُ طائفةً من القوم إلا أصحبها] . قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَةَ بن كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[أسر معبد بن زرارة ومقتله]

فسارت بنو عامر نحوهم ، والتقوا برحرحان ، وأسير يومئذٍ معبدٌ بن زرارة ، أسره

عامرُ بن مالكٍ ، واشترك في أسره طفيلُ بن مالكٍ ورجلٌ من غنيٍّ يقال له أبو عميلة وهو عصمة بن وهبٍ وكان أبا طفيلٍ بن مالكٍ من الرضاة . وكان معبدٌ بن زرارة [رجلاً كثير المال . فوفد لقيطُ بن زرارة] على عامر بن مالكٍ في الشهر الحرام وهو رجبٌ ، وكانت مضراً تدعوهُ الأصمُّ ؛ لأنهم كانوا لا يتنادون فيه يا لفلانٍ ويا لفلانٍ ، ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالشعارات¹ ، وهو أيضاً مُنصلُ الأُلِّ . والأُلُّ : الأسيئةُ ، كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنصلوا² الأسيئةَ من الرِّمَاحِ حتى يخرج الشهر . وسأل لقيطُ عامراً أن يُطلق أخاه . فقال : أمّا حصتي فقد وهبتها لك ، ولكن أرضِ أخي وحليفي اللذين اشتركا فيه . فجعل لقيطُ لكل واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضياً وأتياً عامراً فأخبراه . فقال عامرٌ للقيطِ : دونك أخاك ، فأطلق عنه . فلما أُطلق فكَّر لقيطُ في نفسه فقال : أعطيتهم مائتي بعيرٍ ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك ؛ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إن أبي زرارة نهاني أن أزيد على مائةٍ ديةً مضراً ، فإن أتم رضيتم أعطيتكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجة لنا في ذلك ؛ فانصرف لقيطُ . فقال له معبدٌ : مالي يُخرِجني من أيديهم . فأبى ذلك عليه فقال : إذا يقتسم العربُ بني زرارة . فقال معبدٌ لعامر بن مالكٍ : يا عامر ! أنشدك الله لما خلَّيت سبيلي ، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كلَّ مالي ، ولم تكن أمُّه أمُّ لقيطٍ . فقال له عامر : أبعدك الله ؛ إن لم يُشْفِقْ عليك أخوك فأنا أحقُّ الأُشْفِقِ عليك . فعمدوا إلى معبدٍ فشدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يزل به حتى مات . فذلك قولُ شُريحِ بن الأحوص :

لَقَيْطُ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ وَلَكِنْ جِلْمَكَ لَا يَهْتَدِي
وَلَمَّا أَمِنْتَ وَسَاغَ الشُّرَا بٌ وَاحْتَلَّ بَيْتُكَ فِي تَهْمَدِ³
رَفَعْتَ بِرَجْلَيْكَ فَوْقَ الْفِرَا شِ تَهْدِي الْقَصَائِدَ فِي مَعْبَدِ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَالِ وَتَبَخَّلَ بِالْمَالِ أَنْ تَفْتَدِي

[شمر لعوف بن عطية بعير لقيطاً]

وقال في ذلك عوف بن عطية بن الخرع التيمي يعبر لقيط بن زرارة : [من الكامل]

هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عَشْرًا تَنَاحُ فِي سَرَارَةِ وَادِ⁴

1 أشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي ينادون به في الحرب .

2 أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

3 تهمد : جبل أحمر فارد بديار غني .

4 العُشْرُ : من العضاة ، وهو من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه

وهي أفضل موضع فيه .

لا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغَرَاثُ نَبَاتَهُ ما إن يقوم عِمَادُهُ بِعِمَادٍ¹
هَلَا كَرَّرْتَ عَلَى أُخَيْكَ مَعْبِدٍ والعامريُّ يَقُودُهُ بِصِفَادٍ
وَذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرِبَةً والخيلُ تَعْدُو بِالصَّفَاحِ بَدَادٍ

بَدَادٍ : متفرقة . والصَّفَاحُ : موضع . والمُحَلَّقُ : موسومة بِحَلْقٍ على وجوهها . يقول ذَكَرْتَ لِبَنِيهَا ، يعني إبِلَهُ .

لو كُنْتَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُ فَدَيْتَهُ بِهِجَانٍ أَدْمٍ طَارِفٍ وَتِلَادٍ
لَكِنْ تَرَكْتَهُ فِي عَمِيقِ قَعْرِهَا جَزَرًا لِخَامِعَةٍ وَطِيرٍ عَوَادٍ²
لو كُنْتَ مُسْتَحِيًّا لِعِرْضِكَ مَرَّةً قَاتَلْتَ أَوْ لَفَدَيْتَ بِالْأَذْوَادِ³

وفيهما يقول نابغة بني جعدة :

هَلَا سَأَلْتَ بِيَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتَ هَوَازِنَ أَنَّ الْعِزَّ قَدْ زَالَا

[مما قاله الشعراء في وقعة رححان]

وفيهما يقول مقدم أخو [بني] عُدُس بن زيد في الإسلام ، وقتلت بنو طُهَيْةَ ابناً لِلْقَعْقَاعِ بنِ مَعْبِدٍ ، فتَوَادَوْا⁴ فَأَخَذَتْ بَنُو طُهَيْةٍ مِنْهُمْ الْفَضْلَ :

[من الطويل]

وَأَنْتُمْ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ زَعَمْتُمْ وَمَاتَ أَبُوكُمْ يَا بَنِي مَعْبِدٍ هَزُلَا
وَقَالَ الْمُخَبِّلُ السَّعْدِيُّ يَذْكَرُ مَعْبِدًا :

[من الطويل]

فَإِنْ تَكُ نَالْتَنَا كَلَيْبَ بِقِرَّةٍ فَيَوْمُكَ فِيهِمْ بِالْمَصِيفَةِ أَبْرَدُ
هَمْ قَتَلُوا يَوْمَ الْمَصِيفَةِ مَالِكًا وَشَاطَ بِأَيْدِيهِمْ لَقِيْطًا وَمَعْبِدُ⁵

وفيهما يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريظ بن لبيد في الإسلام :

[من الطويل]

نَحْنُ أَسْرْنَا مَعْبِدًا يَوْمَ مَعْبِدٍ فَمَا افْتَكَّ حَتَّى مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْأَسْرِ
وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالصَّفَا بَعْدَ مَعْبِدٍ أَخَاهُ بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

* * *

1 الغراث : الجياح .

2 الخامعة : الضبع ، لأنها تخمخع إذا مشت .

3 مستحياً : مستبقياً . الذود : القطيع من الإبل من الإناث .

4 توادوا : دفع كل من الفريقين ديات قتل الآخر .

5 شاط : هلك .

[183] - وهذا يوم شعب جبلة

[السبب في يوم جبلة]

قال أبو عبيدة : وأما يوم جبلة ، وكان من عظام أيام العرب ؛ وكان عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عيس بن بغيض حين خرجوا هارين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلذذين¹ . فقال الربيع بن زياد العبسي : أما والله لأرمين العرب بحجرها ، أقتلوا بني عامر ؛ فخرج حتى نزل مضيقة من وادي بني عامر ثم قال : امكثوا . فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحارث بن خليف حتى نزلوا على ربيعة بن شكلم بن كعب بن الحريش ، وكان العقدة من بني عامر إلى [بني] كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة] . فقال ربيعة بن شكلم : يا بني عيس ، شأنكم جليل ، وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم ، وأنا أعلم والله أن هذه الحرب أعز حرب حاربتها العرب قط . ولا والله ما بُد من بني كلاب ، فأهلوني حتى أستطلع طلع قومي . فخرج في قوم من بني كعب حتى جاءوا بني كلاب ، فلقاهم عوف بن الأحوص فقال : يا قوم ، أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقتلوهم² واغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبداً . ووالله إن تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء . فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم . فقال لربيعة بن شكلم : أظلمتكم ظلك وأطعمتهم طعامك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجزت القوم . . فأنزلوا القوم وسطهم بحبوة دارهم .

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي أن عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب ؛ فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهى إلى الأحوص [جالسا قدام بيته] . فقال قيس للربيع : إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ . فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام العائذ بك ؛ قتلتهم أبي فما أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌّ مما أجبر منه نفسي ، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفر فقال : يا معشر بني جعفر ،

1 التلذذ : التلفت يمينا وشمالاً تحيراً .

2 ل : فاقطعوهم .

أطيعوني اليومَ واعصوني أبداً ، وإن كنتُ واللهِ فيكم معصياً . إنهم والله لو لقوا بني ذبيان لؤلؤكم أطرافَ الأسنّة إذا نكّهوا في أفواههم بكلامٍ . فأبدءوا بهم فأقتلوهم وأجعلوهم مثلَ البرغوثِ دماغه [في] دمه . فأبوا عليه وحالفوهم . فقال : والله لا أدخل في هذا الحليف ؛ قال : وسمعتُ بهم حيث قرّر قرارُهم بنو ذبيان ، فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حصنُ بن حذيفة بن بدرٍ ومعه الحليقان أسدٌ وذبيان يطلبون بدم حذيفة ، وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون ، والجونُ هو معاوية ؛ سمي بذلك لشدة سواده ، ابن آكلِ المُرار الكنديّ في جمع من كندة ، وأقبلت بنو حنظلة بن مالكٍ والرّبابُ عليهم [لقيطُ بن زرارة] يطلبون بدم معبدِ بن زُرارة ويثريُّ بن عُدُس ، وأقبل معهم حسان¹ بن عمرو بن الجون في جمعٍ عظيم من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع² كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة . وكان في الرّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النعمان بن قهوس التّيمي ، وكان معه لواء من سار إلى جبلة ، وكان من فرسان العرب . وله تقول دختوس بنت لقيط بن زرارة يومئذٍ :

[شعر لدختوس بنت لقيط تعير ابن قهوس]

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسِ الشُّجَا عُ بَكَفَهُ رُمَحٌ مِثْلُ
يَعْدُو بِهِ خَاطِي البَضِيحِ عِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أَزْلُ³
إِنَّكَ مِنْ تَيْمٍ فَدَعُ غَطَفَانَ إِنْ سَارُوا وَحَلُّوا

مِثْلُ : مستقيم ، يُتْلُ به كلُّ شيء . الخاطي : الشيء المكنّز . والسَّمْعُ : ولدُ الضبيح [من الذئب] . والعِسْبَارُ : ولدُ الذئب من الكلبة .

لَا مِنْكَ عُدْهُمُ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا
فَخَرَّ البَغِيَّ بِحِذَجِ رِيٍّ تَهَا إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا⁵
لَا حِذَجَهَا رَكِيَتْ وَلَا لِرِغَالٍ فِيهِ مُسْتَظَلُّوا⁶

1 ل : كيسان .

2 الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .

3 البضيع : اللحم . أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .

4 يتل : يصرع .

5 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني : 17/3 « كالفاخرة بحدج ربتها » ، يضرب لمن يفتخر بما ليس له منه شيء ، يحكي أبو عبيدة أنه أجريت الخيل للرهان يوماً ، فجاء فرس فسبق ، فجعل رجل من النظارة يكبر ويشب

من الفرح ، فقيل له : كان الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن الحمام لي .

6 رغال : الأمة .

ولقد رأيتُ أباكَ وَسَدَ طَ القَوْمِ يَرِيقُ¹ أو يَجُلُ¹
مُتَقَلِّدًا رِيقَ الفِرا رِ كَأَنَّهُ في الجِديِّ غُلُ

يَجُلُ : يُلْقَطُ البَعْرَ . والفِرا : أولادُ الغنم ، واحداً فِراة . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجِبُ بن زرارَةَ ولَقِيظُ بن زرارَةَ وعمرو بن عمرو وَعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب ، وتبعهم غُثاءٌ من غُثاءِ الناسِ يريدون الغنيمَةَ ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثرَ كَثْرَةً ، فلم تَشُكَّ العربُ في هلاكِ بني عامر . [فجاءوا] حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيدِ مَناةَ ، فقالوا لهم : سِيرُوا معنا إلى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعْدِ : ما كنا لنسيرَ معكم ونحن نزعِمُ أنَّ عامرَ بن صعصعة بنُ سَعْدِ [بن زيدِ مَناةَ] . فقالوا : أمّا إذ أُيِّتِمُ أن تَسيروا معنا فاكْتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنَعَمُ . [نشاور بني عامر في أمرهم]

فلَمّا سَمِعَتْ بنو عامرَ بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزوَ غيرَ أنه يُدبِّرُ أمرَ الناسِ ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقِيبةِ ، فأخبروه الخبرَ . فقال لهم الأحوص : قد كَبُرَتْ ، فما أَسْتَطِيعُ أن أجيءَ بالحزمِ وقد ذهبَ الرأيُ مِنِّي ، ولكِنِّي إذا سَمِعْتُ عَرَفْتُ ، فأجَمِعُوا آراءَكم ثم يَتُوا ليلتكم هذه ثم اغْدُوا عَلَيَّ فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ آراءَكم ، ففعلوا . فلَمّا أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوَضِعَتْ له عِباةٌ بفِئائه فجلسَ عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعصاويةٍ ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيس بن زهير العبسيُّ : باتَ في كِناتِي الليلةَ مائةَ رأيٍ . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازمٌ صليبٌ مُصِيبٌ ، هاتِ فانثُرْ كِناتَكَ . فجعل يعرِضُ كلَّ رأيٍ رآه حتى أنفد . فقال له الأحوص : ما أرى باتَ في كِناتِكَ الليلةَ رأيٌ واحدٌ ! . وعرضَ الناسُ آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمعُ شيئاً وقد صيرتم إليَّ ، احمِلُوا² أثقالكم وضُفءكم ففعلوا ، ثم قال : احمِلُوا ظُعنكم فحملوها ، ثم قال : اركبوا فركبوا ، وجعلوه في مِحْفَةٍ ، وقال : انطلقوا حتى تُعَلُّوا في اليمين ، فإن أدرَككم أحدٌ كرَّرتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم . فسار الناسُ حتى أتوا واديَ بَحارٍ³ ضحوةً ، فإذا الناسُ يرجعُ بعضهم على بعضٍ . فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرو بن عبدِ اللهِ بن جَعْدَةَ في فِتيانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرُونَ بَمَنَ أجاز بهم

1 يريق من الريق : يشد البهيمة بالريقة وهي عروة في جبل تشد بها البهيمة .

2 ل : اجمعوا .

3 ل : وادي نجار . ورد موضع «ذو بحار» في معجم البلدان أنه ماء لغني أو وادٍ في بلاد اليمن ، وورد اللفظ في أشعار أخرى بياء مثله .

ويقطعون بالنساء حواياهن¹. فقال الأحوص : قدموني ، فقدّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟ قال عمرو : أردت أن تفضحننا وتخرجنا هارين من بلادنا ونحن أعزُّ العرب ، وأكثرهم عدداً وجلداً وأحدّهم شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجعُ إلى شعبِ جبلة فنحرزُ النساء والضّعفة والذرايِّ والأموالَ في رأسه ونكونُ في وسطه ففيه ثملٌ (أي خِصْبٌ وماء) . فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم ، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنْتَ في حرزٍ وكانوا في غير حرزٍ ، وكنْتَ على قتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن . قال الأحوص للناس : ارجعوا فرجعوا . ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة :

[من الطويل]

ونحن حبسنا الحيَّ عيساً وعامراً لحسانَ وابنِ الحرزِ إذ قيلَ أقبلَا
وقد صعدتُ واديَ بحارِ نساؤهم كإصعادِ نسرٍ لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطفَ الضروسِ فصادفوا من الهضبةِ الحمراء عِزّاً ومَعْقِلاً²

[دخولهم شعب جبلة]

الضروس : الناقة العوض ، فدخلوا شعب جبلة . وجبلة : هضبة حمراء بين الشريفة . والشرف . والشرف : ماء لبني نمير . والشرف : ماء لبني كلاب . وجبلة : جبلٌ عظيم له شعبٌ عظيمٌ واسع ، لا يؤتى الجبلُ إلا من قبل الشعب ، والشعب متقارب [المدخل] وداخله متسع ، وبه اليوم عريضة من بجيلة . فدخلتُ بنو عامر شعباً منه يقال له مُسَلِّحٌ ، فحصنوا النساء والذرايِّ والأموالَ في رأس الجبل ، وحلّوا الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعبَ بالقداح فأقرعَ بين القبائل في شظاياها³ ، فخرجت بنو تميم ومعهم بارق (حيٌّ من الأزدي حلفاء يومئذ لبني نمير . وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء . وسُمِّي مزيقياء لأنه كان يمزق عليه كلَّ يومٍ حُلَّةً) فولجوا الخليفة (والخليفة : الطريق بين الشعبين شبه الزقاق) لأن سَهْمَهُم تخلف . وفيه يقول معقر بن أوس بن جمار البارقي :

[من الوافر]

1 الحوايا : جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .

2 الضروس : الناقة الحديدية التاج . سميت بذلك لأنه يعثرها عند نتاجها عضاض أياً ما حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها .

3 الشظايا : القطع من رؤوس الجبال ، الواحدة شظية .

ونحن الأيمنون بنو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنا أُمَامَهُمُ الْخَلِيفُ
قال : وكان مُعَمَّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنة له تقود به جملة . [فجعل يقول لها :] من أسهلَ من الناس ؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهبطي ، لا يزال هذا الشعبُ مَيِّعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كبشة بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَالِ بنِ عُبَيْة بنِ جعفرِ بنِ كِلابِ يومئذٍ حاملاً بعامر بنِ الطَّفِيلِ ، فقالت : ويلكم يا بني عامرِ ارفعوني ! فوالله إنَّ في بطني لِعَزِ بنِ عامرِ . فصَفَّقُوا القسيَّ على عَوَاتِقِهِمْ ثم حملوها حتى أثووها بالقنَّةِ (يقال قنَّةٌ وقنَّانٌ) . فزعموا أنَّها ولدت عامراً يوم فرغَ الناسُ من القتال .
[من شهد الواقعة من القبائل]

فشهدت بنو عامر كلها جيلةً إلا هلالَ بنِ عامرٍ وعامرَ بنِ ربيعة بنِ عامرٍ ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عبسٍ بنِ رفاعَةَ بنِ الحارثِ بنِ بُهْثَةَ بنِ سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحزمٌ وعليهم مرداسُ بنِ أبي عامرٍ ، وهو أبو العباسِ بنِ مرداسٍ . وكانت بنو عبسٍ بنِ رفاعَةَ حلفاء بني عمرو بنِ كِلابِ . وزعم بعضُ بني عامرٍ أنَّ مرداساً كان مع أخواله [غنيٌّ] ، و [كانت] أمُّه فاطمة بنتُ جَلْهَمَةَ الغنويَّةِ . وشهدتها غنيٌّ وباهلةٌ وناسٌ من بني سَعْدِ بنِ بكرٍ وقبائلُ بجيلةٍ كلها إلا قسراً لحربٍ كانت بين قسِرٍ وقومها .
[تفرق بجيلة في بطون بني عامر]

فارتحلت بجيلةً ففرقت في بطون بني عامرٍ ، فكانت عادية بنِ عامرٍ بنِ قُدادٍ من بجيلةٍ في بني عامرٍ بنِ ربيعة ، وكانت سُحْمَةُ من بجيلةٍ في بني جعفرِ بنِ كِلابِ ، ويقال : عمرو بنِ كِلابِ ، وكانت عُرَيْنَةُ من بجيلةٍ في عمرو بنِ كِلابِ ، وكانت بنو قيسِ كَبَّةَ (لقرسٍ يقال لها كَبَّةٌ) من بجيلةٍ في بني عامرٍ بنِ ربيعة ، وكانت فتيان في بني عامرٍ بنِ ربيعة ، وبنو قُطَيْعَةَ من بجيلةٍ في بني أبي بكرٍ بنِ كِلابِ ، ونصيبُ بنِ عبد الله من بجيلةٍ [في بني نُمَيْرٍ] ، وكانت ثعلبةٌ والخطامُ من بجيلةٍ [في بني عامرٍ بنِ ربيعة ، وبنو عمرو بنِ معاوية بنِ زيدٍ من بجيلةٍ في بني أبي بكرٍ بنِ كِلابِ معهم يومئذٍ نُفَيْرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جمعُهم ثلاثين ألفاً . وعمي على بني عامرِ الخيرُ ، فجعلوا لا يدرون ما قُربُ القومِ من بُعْدِهِمْ .
[ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد]

وأقبلت تميمٌ وأسدٌ ودُبَيانٌ ولقَّهم نحو جيلةٍ ، فلَقُوا كَرَبَ بنِ صفوان بنِ شِجْنَةَ بنِ عَطَّارِدِ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سعدِ بنِ زيدٍ مَناةً ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامرٍ ؟ قال لا . قالوا : فأعطينا عهداً وموثقاً ألا تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلوا سبيله . فمضى

مُسْرِعاً على فرس له عُري ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرة حيث يرونه ؛ فأرسلوا إليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأتوا منزلي فإن الخبر فيه . فلما جاءوا منزله إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشوكٌ قد كسر رؤوسه وفرق جهته ، وإذا حنظلة موضوعة . وإذا وطبٌ معلقٌ فيه لبنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيقُ ألا يتكلَّم ، وهو يُخبركم أن القومَ مثلُ التُّرابِ كثرةٌ ، وأن شوكتهم كليلَةٌ [وهم متفرقون] ، وجاءتكم بنو حنظلة . أنظروا ما في الوطب ، فاصطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ (قَرَصَ) . فقال : القومُ منكم على قَدَرِ حِلابِ اللَّبنِ إلى أن يحزُرَ . فقال رجلٌ من بني يربوعٍ . ويقال قالته دختنوس بنتُ لقيطٍ بن زُرارة :

كربُ بن صَمَوَانَ بن شِجْنَةَ لم يدعُ من دارمِ أحداً ولا من نَهْشَلِ
أجعلتَ يربوعاً كقورةِ دائرٍ ولتخلفن بالله أن لم تفعل

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جيلة بحين : [من الوافر]

ألا أبلغُ لديكَ جُموعَ سعدي فبيئوا لن نهيجكم نياماً¹
نصحتُم بالمغيبِ ولم تُعينوا علينا إنكم كنتم كراماً
ولو كنتم مع ابن الجون كنتم كمن أودى وأصبح قد ألماً

[صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم]

فلما استيقنت² بنو عامر بإقباهم صعدوا الشعبَ ، وأمر الأحوصُ بالإبل التي ظمئت قبل ذلك فقال : اعقلوها كلَّ بعيرٍ بعقلين [في] يديه جميعاً . وأصبح لقيطٌ والناسُ نزلوا به ، وكانت مشورتهم إلى لقيطٍ ؛ فاستقبلهم جملٌ عودٌ³ أجربٌ أخذُ أعصل⁴ كاشرٌ عن أنيابه ؛ فقال الحزاةُ من بني أسدٍ ، والحازي العائف⁵ ، اعقروه . فقال لقيطٌ ؟ : والله لا يُعقرُ حتى يكونَ فحلَ إيلي غداً . وكان البعير من عَصافير المنذر التي أخذها قرةُ بن هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قُشير . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب . ثم استقبلهم معاويةُ بن عبادة بن عُقيلٍ وكان أعسرَ فقال :

[من مجزوء الرجز]

1 سعد في ل : تيم .

2 ل : استثبت .

3 العود : المسن من الإبل ، والأخذ هنا : خفيف شعر الذنب ، أو قصير الذنب .

4 الأعصل : الملتوي الذنب .

5 العائف الذي يزر الطير وفي ل : القائف ، وهو من يحسن معرفة الأثر ويتبعه .

أنا الغلامُ الأعسرُ الخيرُ في الشرِّ
والشرُّ في أكثر¹

فتشاءمت بنو أسدٍ وقالوا : ارجعوا عنهم وأطيعونا . فرجعت بنو أسدٍ فلم تشهد جبلةً مع لقيطٍ إلا نفيراً يسيراً ، منهم شأس بن أبي بلي² أبو عمرو بن شأس الشاعر ، ومعقل بن عامر بن موءلة المالكي . وقال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم . فقال شأس : لا تدخلوا على بني عامر ؛ فإنني أعلم الناس بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني ، فما رأيتُ قوماً قط أفلتَ بمنزلٍ من بني عامر ؛ والله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشجاع ؛ فإنه لا يقرّ في جحره قلماً . وسيخرجون إليكم . والله لئن بتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحديرون عليكم . فقال لقيط . والله لندخلنّ عليهم .

[صعود بني نعيم الجبل ودفع بني عامر لهم]

فأتوهم وقد أخذوا جذرهم . وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تبعثة الناس . فأقبل لقيطٌ وأصحابه مديّين فأسندوا³ إلى الجبل حتى ذرت الشمس . فصعد لقيطٌ في الناس وأخذ بحاقتي الشجن⁴ . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك . فقال : دعوهم . حتى إذا نصفوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : خلّوا عقل الإبل ثم احذروها واتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجلٍ منكم بعيّره حجرين أو ثلاثة ، ففعلوا ثم صاحوا بها ، فلم يفجأ الناس إلا الإبل تريد الماء والمرعى ، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل ؛ وأقبلت الإبل تحطم كل شيء مرّت به ، وجعل البعير يدهدي بيديه⁵ كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيطٌ وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بني أسد :

[من الرجز]

زعمت أن العير لا تقايلُ بلى إذا تقفّع الرحائل⁶
واختلف الهندي والذوايلُ وقالت الأبطال من ينازلُ
بلى وفيها حسبٌ ونائلُ

1 الشرُّ في ل : والضّر .

2 ل : أبي ليلي .

3 أسندوا إلى الجبل : اعتمدوا عليه .

4 الشجن : أعلى الوادي .

5 ل : بصدرة .

6 تقفّع الشيء : اضطرب وتحرك . والرحائل : جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض

الشديد .

[شعر لبعض بني عامر في الواقعة]

فانحطَّ الناسُ مُنْهزمينَ منَ الجبلِ حتى السَّهْلُ . فلَمَّا بلغَ الناسَ السَّهْلَ لم يكنْ لأحدٍ منهم
هِمَّةٌ إلاَّ أنْ يذهبَ على وجهه ، فجعلتْ بنو عامرٍ يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوفِ في آثارهم ،
فانهزموا شرَّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول : [من الرجز]

لم أرَ يوماً مثلَ يومِ جيلتهُ يومَ أتنا أسدً وحَنَظَلَهُ
وغَطَفَانُ والملوكُ أَزْفَلَهُ نَضْرِبُهُم بِقُضْبٍ مُنْتَخَلَهُ¹
لم تَعُدْ أنْ أفرشَ عنها الصَّفَلَهُ حتى حَدَوْنَاهم حُدَاءَ الزُّومَلَهُ²

وجعل معقل بن عامر يرتجز ويقول : [من الرجز]

نحنُ حُمَاةُ الشَّعْبِ يومَ جيله بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَهُ³
وهيكلٍ نَهْدٍ معاً وهيكلَهُ⁴

المِعْبَلَةُ : السهمُ إذا كان نصلُهُ عريضاً فهو مِعْبَلَةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

[صد بني تميم لبني عامر]

وخرجتْ بنو تميمٍ من الخَليْفِ على الخَليْلِ فكَرَّكَرُوا النَّاسَ (يعني رَدَّوهم) وانقطع
شُرَيْحُ بن الأحوصِ في فرسانٍ حتى أخذَ الجُرْفَ فقاتلَ النَّاسَ قتالاً شديداً هناك ، وجعل
لقيطُ يومئذٍ وهو على بَرْدَوْنٍ له مُجَجَّفٌ⁵ بدياجٍ أعطاه إياه كِسْرَى ، وكان أولَ عربيٍّ
جَجَّفَ ، يقول : [من الرجز]

عَرَفْتِكُمْ والدمعُ مِ العَيْنِ يَكِيفُ لفارسٍ أتلفتموه ما خُليْفُ
إنَّ النِّشِيلَ والشَّوَاءَ والرُّغْفُ والقَيْنَةَ الحسنةَ والكأسَ الأنْفُ⁶

1 الأزفلة : الجماعة . منتخلة : مختارة .

2 أفرش عنه : أفلح . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف إذا جلاه . يريد أنها حديقة الجلاء . الزوملة : الإبل .

3 حماة الشعب في ل : سماء الخيل .

4 هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .

5 مجفف : عليه تجفاف وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقبه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

6 النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يجلب . والشواء : ما شوي من اللحم أو غيره . والكأس الأنف : التي لم يشرب منها من قبل .

وصَفْوَةَ الْقِدْرِ وَتَعَجِيلَ اللَّقْفِ لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطْفٌ¹
 وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلا قال [له] : أنت والله قتلتنا وشتّمنا . فجعل
 يقول :

يا قَوْمٍ قَدْ أَحْرَقْتُمُونِي بِاللَّوْمِ وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامِراً قَبْلَ الْيَوْمِ
 فاليَوْمِ إِذْ قَاتَلْتُهُمْ فَلَا لَوْمَ تَقَدَّمُوا وَقَدَّمُونِي لِلْقَوْمِ
 شَتَّانَ هَذَا وَالْعِنَاقُ وَالنَّوْمُ وَالْمَضْجَعُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
 وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنت لا تُعصى أموري في القوم
 وجعل لقيطٌ يقول : من كَرَّ فله خمسون ناقةً ، وجعل يقول :

أَكَلِكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ تَرَوْهُ الدَّهْرَ إِلَّا مُقْبِلاً²
 يَحْمِلُ زَعْفًا وَرَيْسًا حَجْفَلاً وَسَائِلاً فِي أَهْلِهِ مَا فَعِلاً³
 وجعل يقول أيضاً :

أَشْقَرُ إِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ تُنْحَرُ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ هِيَاجٍ تُعْقَرُ⁴
 ثم عاد يقول :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّعْفَ

فأجابه شريح بن الأحوص :

إِنْ كُنْتَ ذَا صِدْقٍ فَأَقْجِمُهُ الْجُرْفُ وَقَرِّبِ الْأَشْقَرَ حَتَّى تَعْرِفَ
 وَجُوهَنَا إِنَّا بَنُو الْبَيْضِ الْعُطْفِ

[سقوط لقيط في الموقعة]

وبينه وبينه جُرفٌ مُنْكَرٌ ، فضرب لقيطٌ فرسه وأقحمه عليه الجُرفُ ؛ فطعنهُ شريح

1 اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام . قطف : جمع قطفوف وهو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب ، وفي ل : جنف .

2 ارحب وهلا : مما تزجر به الخيل .

3 الزعف والزعفة : الدرع المحكمة أو اللينة .

4 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 19/3 : « كالأشقر إن تقدم نحر » ، وإن تأخر عُقر ، والعرب تشاءم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جيلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تقدم تُنحر ، وإن تأخر تُعقر ، وذلك أن العرب تقول : شقر الخيل سراعها ، يطلب من فرسه أن يثبت ويلزم الوقار .

[فسَقَطَ] . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أنّ الذي طعنه جَزْرُهُ بن خالد بن جعفرٍ ، وبنو عَقِيلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ الْمُتَفِقِ العُقَيْلِيِّ قتلَهُ يومئذٍ وأنشأ يقول : [من الكامل]

ظَلَّتْ تَلوُمٌ لِمَا بِهَا عِرْسِي جَهْلًا وَأَنْتِ حَلِيمَةٌ أَمْسِ
إِنْ تَقْتُلُوا بَكْرِي وَصَاحِبَهُ فَلَقَدْ شَفَيْتُ بِسَيْفِهِ نَفْسِي
فَقَتَلْتُهُ فِي الشُّعْبِ أَوَّلَ فَارِسٍ فِي الشَّرْقِ قَبْلَ تَرْحُلِ الشَّمْسِ

فزعموا أنّ عَوْفًا هذا قتل يومئذٍ سِتَّةَ نَفَرٍ ، وَقُتِلَ ابْنُ لَهُ وَابْنُ أَخٍ لَهُ . وأمّا العلماء فلا يَشْكُونُ أنّ شُرَيْحًا قتلَهُ ، وارتثَّ وبه طَعَنَاتٌ ، والارتثاثُ أن يُحْمَلَ وهو مجروح ، فإن حُجِلَ مَيِّتًا فليس بمرثٍّ ، فبقي يومًا ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته : [من الرجز]

يَا لَيْتَ شَعْرِي عَنكَ دَخْتَنُوسُ إِذَا أَتَاكَ الْخَيْرُ الْمَرْسُوسُ¹
أَتَحْلِقُ الْقُرُونَ أَمْ تَمِيسُ لَا بَلْ تَمِيسُ إِنَّهَا عَرُوسُ

[شعر لدختنوس في أبيها]

دَخْتَنُوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ . وجعلت بنو عَبَسٍ² يضربونه وهو مَيِّتٌ ، فقالت دَخْتَنُوسُ : [من الطويل]

أَلَا يَا لَهَا الْوَيْلَاتُ وَوَيْلَاتُ مَنْ بَكَى لَضْرَبِ بَنِي عَبَسٍ لَقِيطًا وَقَدْ قَضَى
لَقَدْ ضَرَبُوا وَجْهًا عَلَيْهِ مَهَابَةً وَمَا تَحْفِلُ الصُّمُّ الْجِنَادُلُ مَنْ رَدَى
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ غَدَاةَ لَقَيْتُمْ لَقِيطًا صَبْرْتُمْ لِلْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا
غَدَرْتُمْ وَلَكِنْ كُنْتُمْ مِثْلَ خُضْبٍ أَصَابَ لَهَا الْقَنَاصُ مِنْ جَانِبِ الشَّرَى³
فَمَا نَأْرُهُ فَيْكُمْ وَلَكِنْ نَأْرَهُ شَرِيحٌ وَأَرْدَتَهُ الْأَسِنَّةُ أَوْ هَوَى
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ مِنْ عَامِرٍ يَكُنْ عَلَيْهِمْ حَرِيقًا لَا يُرَامُ إِذَا سَمَا⁴
لِيَجْزِيَهُمْ بِالْقَتْلِ قَتْلًا مُضَعَّفًا وَمَا فِي دِمَاءِ الْحُمْسِ يَا مَالُ مِنْ بَوَا⁵

1 المرسوس : اسم مفعول من قوهم : رس له الخبر إذا ذكره له .

2 ل : بنو عامر .

3 الخضب : النعام . والظلم الخاضب : الذي احمرت ساقاه من أكل الربيع . أصاب : سقط ونزل ضد أضعف . والشرى : موضع .

4 من عامر يكن في ل : من فارس تكن .

5 البواء : السواء والتكافؤ .

رلو قتلنا غالباً كان قتلها
لقد صبرت للموت كعباً وحافظت
وقالت دختنوس أيضاً :
علينا من العار المجذع للعلا
كِلابٌ وما أتم هناك لمن رأى
[من الطويل]

لعمرى لمن لاقى من الشرِّ دارمٌ
فما جبنوا بالشعبِ إذ صبرت لهم
عصوا بسيوف الهنْدِ واعتكرت لهم
براكاءُ : مباركةُ القتال وهو الجدُّ في القتال . يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير
غرابه . وقالت دختنوس :
عناء لقد آبت حميداً ضرباًها¹
ربيعةٌ يدعى كعبها وكلابها
براكاءُ موتٍ لا يطير غرابها²
[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ حِنْدٍ
وَبَخِيرِهَا نَسَباً إِذَا
فَرَّتْ بَنُو أُسْدٍ حُرُوءٌ
لَمْ يَحْفَلُوا نَسَباً وَلَمْ
دَفَّ كَهْلُهَا وَشَبَابُهَا
عُدَّتْ إِلَى أَنْسَابِهَا
ذَ الطَّيْرِ عَنْ أَرْبَابِهَا³
يَلُؤُوا لِنَفْسٍ عَقَابِهَا

[من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم]

وقُتِلَ يَوْمَئِذٍ قَرِيظُ بْنُ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُدُسٍ قَتَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ
الْأَبْرَصِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَقُتِلَ الْفَلْتَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ [بْنِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلٍ ،
وَقُتِلَ أَبُو إِيَّاسِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ الْعَجْلَانِ] بِنِ حَشْوَرَةَ بْنِ عَجَبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ
ذُبْيَانَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَقْدِمُ قَطِينُ إِنَّهُمْ بَنُو عَيْسُ
الْحَلَّةُ : لم يكونوا يتشددون في دينهم . قال : واستلحم⁴ [عمر بن] حسحاس بن
وَهْبِ بْنِ أَعْيَاءِ بْنِ طَرِيفِ الْأَسَدِيِّ ، فَاسْتَنْقَذَهُ [مَعْقِلُ بْنُ] عَامِرِ بْنِ مَوْءَلَةَ فِدَاوَاهُ
وَكَسَاهُ . فَقَالَ مَعْقِلُ فِي ذَلِكَ :

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ بَأَسْفَلِ ذِي الْجِدَاةِ يَدِ الْكَرِيمِ⁵

1 صدر البيت في ل : لعمرى لقد لاقى من الشق .

2 عصا بالسيف : إذا أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه بها .

3 الحرود : التنحي .

4 استلحم الرجل : روهق في القتال واحتوشه العدو .

5 يديت : اتخذت عنده يداً ، وذو الجذاة : موضع .

قَصْرَتْ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا شَهِدَتْ وَغَابَ مِنْ لَهُ مِنْ حَمِيمٍ
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدِيِّينَ مِنَ النُّجُومِ
 أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْزَةِ جَمُومٍ¹
 يقول : إن الجرح الذي بك شوى لم يُصب منك مقتلاً .

ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الْفَتِيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِيمِ

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير ، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالك على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر ، إنهم يموتون ، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة ! فحمل عليه شريح بن الأحوص ؛ فاعترض دون ابن الجون رجلاً من كندة يقال له حوشب ، فضربه شريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه ، فخرج يعدو ينصف السيف وكان مما رعب الناس مكانه . وشدّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقيته بنو عبس ، فأخذة قيس بن زهير فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فأحيوه أو اتوني بملك مثله . فتخوفت بنو عبس شره وكان مهيباً ، فقالوا : أمهلنا . فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه ، وكانا مشتهيين أحمرين أشقرين ضخمة أنوفهما ، وكان في سلمى حياء ، [فأتوه] فقال : سأكلّم لكم طفيلاً حتى يأخذ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك ، وإيم الله ليأتين شجياً² . فانطلقوا إليه ، فقال طفيل : قد أتوني بك ، ما أعرفني بما جئتم له ؛ أتيتموني تريدون مني ابن الجون تُقيدون به من عوف ، خذوه ، فأعطاهم إياه ؛ فأتوا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه ؛ فسمي الجزاز . فذلك قول نافع بن الخنجر بن الحكم بن عقيل بن طفيل بن مالك في الإسلام : [من الوافر]

قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَبْسٍ وَكَانَتْ مَنِيَّةٌ مَعْبِدٍ فِينَا هُرَالَا

قال : وشهدها لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ، ويقال : كان ابن بضعة عشرة سنة ، وعامر بن مالك يقول له : اليوم ييمت من أهلك إن قتل أعمامك . وقُتل يومئذ زهير بن عمرو بن معاوية ، ووجد مقتولاً بين ظهرائي صفوف بني عامر حيث لم يبلغ

1 العجيزة : الشديدة الخلق القوية . والجموم من الخيل : الذي إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار .

2 ل : سجيحاً .

الفتال ؛ وهو معاوية الضباب بن كلاب . فقال أخوه حصينٌ للذي قتله : [من الرجز]

يا ضبُعاً عثواء لا تستأسي
تلتقم الهبر من السقب الرذي¹
أقسم بالله وما حجّت بلي
[وما على العزى تُعزّه غني²
وقد حلفت عند منحراهددي]
أعطيكُم غير صدور المشرفي
هو الشجاع والخطيب اللودعي
فليس مثلي عن زهيرٍ بغني
والفارس الحازم والشهم الأبي
والحامل الثقل إذا ينزل بي

وذكروا أنّ طفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال : ويلكم ! وأين نعم هؤلاء ؟ فأغار على نعم عمرو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غطفان ثم من بني الثراء ، فاستاق ألف بعير . فلقية عبدة بن مالك فاستجداه . فأعطاه مائة بعير ، وقال : كأنني بك قد لقيت ظبيان بن مرة بن خالد فقال لك : أعطاك من ألفه مائة ! فجمت مغضباً . فلقية عبدة ظبيان ؛ فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أمانة من ألفي ؟ فغضب عبدة . قال : وذكر أنّ عبدة تسرع يومئذٍ إلى القتال ، فنهاه أخواه عامر وطفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلاً ، فعصاهما وتقدم ، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السنان من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان . فأتى طفيلاً فقال له : دونك السنان فانزعه ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً ، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً ، فأتى سلمى بن مالك فانتزعه منه ؛ وألقى جريحاً مع النساء حتى فرغ القوم من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل³ . وخرج حاجب بن زرارة منهزماً ، وتبعه الزهدمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عويمر بن رواحة العبيسان ، فجعلوا يطردان حاجباً ويقولان له : استأسر وقد قدراً عليه ، فيقول : من أنتما ؟ فيقولان : الزهدمان ، فيقول : لا استأسر اليوم لموليكين . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقبة بن سلمة بن قشير ، فقال لحاجب : استأسر . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرقبة . فقال : أفعل ، فلعمري ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً . فألقى إليه رمحه ؛ واعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه . فصاح حاجب : يا غوثاه . [وندر السيف] ، وجعل زهدم يريغ⁴ قائم السيف . فنزل مالك فاقطع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : أخذ مالك أسيرنا من أيدينا .

- 1 الضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون إلى السواد مع كثرة شعر . لا تستأسي في ل : لاستها فسي . الهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذي : المهزول الهالك ، والردي : الهالك .
- 2 بلي : قبيلة من العرب . تعزه غني في ل : الهدى ، وهو ما يهدى لمكة من النعم . وغني قبيلة من غطفان .
- 3 أغرل : أفلق لم تقطع غرلته .
- 4 يريغ : يطلب .

قال : ومن أسيركما ؟ قالوا : حاجبُ بن زُرارة . فخرج قيس يتمثل قولَ حنظلة بن الشرقيّ القينيّ
أبي الطّمحان رافعاً صوته يقول :

أجدُّ بني الشَّرقيّ أُولعَ أنِّي متى أَسْتَجِرْ جاراً وإن عَزَّ يَغْدُرْ
إذا قلتُ أوفى أدركته دُرُوكهُ فيا مُوزِعَ الجيرانِ بالغيِّ أَقْصِرْ

حتى وقف على بني عامر فقال : إن صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : من صاحبنا ؟ قال :
مالك ذو الرُقيبة أخذ حاجباً من الزهّديّين . فجاءهم مالك فقال : لم أخذه منهما ، ولكنه
استأسر لي وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُقيبة ،
فقالوا : من أسرك يا حاجب ؟ فقال : أمّا من ردّني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى مني
عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذي استأسرت له فمالك ؛ فحكّموني في نفسي . قال له
القوم : قد جعلنا إليك الحكم في نفسك . فقال : أمّا مالك فله ألفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائة .
فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مُغاضبةً [بعد ذلك] ؛ فقال قيسُ : [من الوافر]

جَزاني الزهدمانِ جزاءَ سوءٍ وكنْتُ المرءَ يُجزي بالكرامةٍ
وقد دافعتُ قد علمتُ معدُّ بني قُرطٍ وعمهم قُدامةٍ
رَكبتُ بهم طريقَ الحقِّ حتّى أثبتهمُ بها مائةً ظلامه

وقال جرير في ذلك :

ويومَ الشَّعبِ قد تركوا لقيطاً كأنَّ عليه حلّةَ أرْجوانٍ
وكبّل حاجبٌ بشمامٍ حولاً فحكّم ذا الرُقيبة وهو عاني¹

وأما عمرو بن [عمرو بن] عدسٍ فأفلت يومئذٍ . فزعمتُ بنو سُلَيْمٍ أن الخيل عُرضتُ على
مرداس بن أبي عامر يوم جبلة ، وكان أبصرَ الناس بالخيل ، فعرضتُ عليه فرسٌ لغلّامٍ من بني
كلاب ، فقال : والله لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا ردائي بها وخمسةٌ وعشرون
ناقةً . فلما انهزم الناس يوم جبلة خرج الكلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال
الكلابيّ : فراكضته نهاراً على السّواء ، والله ما علمتُ أنه سبقني بمقدارٍ أعرفه ، ثم زاد مكانه
ونقصتُ . فقلت : فمير والله مرداسٌ ، وهوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسّوط فانكشفت ،
فإذا هي خنثى ، لا ذكرٌ ولا أنثى ، فأخبرتهم أنّي سبقتُ . فقالوا : فمير السلمي . فقلت لا . ثم
أخبرتهم الخبر . فقال مرداس : [من الطويل]

تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كَالْهَرَاوَةِ ضَامِرٌ
لَعَمْرٍو بن عمرو بعد ما مُسَّ بِالْيَدِ
فلولا مَدَى الخَنْثَى وَيُعَدُّ جِرَائِهَا
لَقَاظَ ضَعِيفَ النَّهْضِ حَقَّ مُقَيَّدِ
تَذَكَّرَ رُبْطاً بِالْعِرَاقِ وَرَاحَةً
وقد خَفَقَ الأَسْيَافُ فَوْقَ المُقَلَّدِ¹

وزعم علماء بني عامر أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ، فلحق قيسُ بن المنتفق بن عامر [بن طفيل] بن عُقَيْلِ عمرو بن عمرو فأَسْرَهُ . فأقبل الحارثُ بن الأبرص بن ربيعة بن عُقَيْلِ في سَرَاعان الخيل ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي ، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك ؟ تَجَزُّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك ، ولك العهدُ لأَقِينَنَّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول : اَقْتُلْ اَقْتُلْ . فلحق عمرو بقومه . فلما كان الشهر الحرام خرج قيسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبعه الحارثُ بن الأبرص حتى قَدِمَا على عمرو بن عمرو ؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القُبَّة . وقد كان الحارثُ قَتَلَ أباهَا زَيْداً يوم جَبَلَةَ . فجاءت بالقُبَّة فرأت الحارثُ أهياهما وأجملهما ، فظننته قيساً فضربت القُبَّة على رأسه وهي تقول : هذا والله رجلٌ لم يُطَّلَعِ الدَّهْرُ عليه بما أطلَّع به عليّ . فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا ابنة أخي ، على من ضربت القُبَّة ؟ فنعتت له نَعَتَ الحارثِ . فقال : ضربتها والله على رجلٍ قَتَلَ أباك وأمر بقتل عمك . فجزعتُ مما قال لها عمها . فقال الحارثُ بن الأبرص :

[من الوافر]

أما تَدْرِينِ يا ابنةَ آلِ زَيْدِ
فكم من فارسٍ لم تُرْزِيهِ
رأيتُ مكانه فصددتُ عنه
لقد أمرته فَعَصَى إمَارِي
أمرتُ به لتخْمُشَ حَتَّاهُ
أَمِينُ بما أَجَنَّ اليومَ صَدْرِي²
فَتَى الفَتِيانِ في عَيْصٍ وقَصْرِ
فأعيا أمره وشدتُ أُرْزِي
بأُمِّ عَزِيمَةٍ في جَنْبِ عمرو³
فضيَّعَ أمره قيسٌ وأمْرِي⁴

الحِنَّةُ : الزوجة . يقال حَنَّتْهُ ، وطلَّتْهُ . ثم إن عمراً قال : يا حار ، ما الذي جاء بك ؟ فوالله ما لك عندي نعمة ، ولقد كنتَ سَيِّءَ الرَّايِ فِيَّ ، قتلْتَ أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل

1 الرُّبْطُ : جماعات الخيل ، والواحد رِبِيط . خفوق السيف : اضطرابه . والمقلَّد : موضع القلادة من العنق .

2 أَمِينُ : مصغر آمنة تصغير ترخيم .

3 عزيمة في ل : غوية .

4 الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد .

كففتُ [عنك] ، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يد ، ثم تدمم منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلما جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً ، فخرج قيسٌ بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلما أتى قيسٌ بني أبيه بني المتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج . فقال : مهلاً ! لا تقاتلوا إخوانكم ؛ فإنه يُوشِك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حَسُودٌ . فلما رأى الحارثُ أن قيساً قد كَفَّ عنه ردَّ إليه ما أخذ منه .

وأما عُنَيْبَةُ بن الحارث بن شِهَابٍ فإنه أُسِرَ يوماً فقيّد في القِدِّ ، وكان يبول على قَدِّه حتى عَفِن . فلما دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِدَاءٍ .

وَعَنِمَ مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة ، فانتزَعها منه بنو أبي بكر بن كِلَابٍ ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعْقِ ، وكان له خليلاً ، فانتَهَى إليه مرداس وهو يقول :

لعمرك ما ترجو مَعَدَّ ربيعها	رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ
يزيد بن عمرو خير من شدّ ناقةً	بأقتادها إذا الرياحُ تُصَرِّصُ ¹
تداعت بنو بكر عليّ كأنما	تداعت عليّ بالأحزّة برب ²
تداعوا عليّ أن رأوني بخلوّة	وأنتم بأحدان الفوارس أبصر ³

ويروى «بوحدان» . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه . فطرقه البكريون فسقوه الخمر حتى سكر ، ثم سأله الإبل فأعطاهم إيّاها . فلما أصبح ندم ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : أصاح أنت أم سكران ؟ !

فانصرف فاطّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول :

أجُنَّ بليلى قلبه أم تذكّرا	منازل منها حول قُرَى ومَحْضَرًا ⁴
تخِرُّ الهدالُ فوق خِيَمَاتِ أَهْلِهَا	ويُرسون حسّاً بالعِقالِ مُوطَّراً ⁵

الحِسُّ : الفرس الخفيفة . والمُوطَّرُ : المعطوف .

1 الأقتاد : جمع قَيْد وهو خشب الرجل ؛ أو كل أداة الرجل .

2 الأحزّة : جمع حزير ، وهو ما غلظ من الأرض واققاد ، وفي ل : بالأحزّة : جمع خريز ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد .

3 أحدان : جمع واحد كراكب وركبان .

4 قُرَى ومحضر : موضعان .

5 الهدال هنا ضرب من الشجر .

سآبِي وَأَسْتَغْنِي كَمَا قَدِ أَمَرْتَنِي وَأَصْرِفُ عَنْكَ الْعُسْرَ لَسْتُ بِأَقْرَأَ
وَأَنْ سُلَيْمًا وَالْحِجَازُ مَكَانُهَا مَتَى آتَهُمْ أَجْدُ لَبَيْتِي مَهْجَرًا
المهجرُ: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهجر من هذا إذا كان أجود [منه] وأصلح.

يُفَرِّجُ عَنِّي حَدُّهُمْ وَعَدِيدُهُمْ وَأُسْرِجُ لِيَدِي خَارِجِيًّا مُصَدِّرًا¹
قَصَرْتُ عَلَيْهِ الْحَالِيَيْنِ فَجَوَّدُهُ إِذَا مَا عَدَا بَلَّ الْحِرَامَ وَأَمْطَرًا²
الحاليين: الراعيين. يقول احتبستهما.

فَخُذْ إِسْلًا إِنْ الْعِتَابَ كَمَا تَرَى عَلَى خَدَمٍ ثُمَّ ارْمِ لِلنَّصْرِ جَعْفَرًا³
فَإِنَّ بِأَكْنَافِ الْبِحَارِ إِلَى الْمَلَا وَذِي النَّخْلِ مَصْحَى إِنْ صَحَوْتَ وَمَسْكُرًا⁴
وَأَرَعَى مِنَ الْأُظْلَافِ أَثْلًا وَحَمَضَةً وَتَرَعَى مِنَ الْأَطْوَاءِ أَثْلًا وَغَرَعَرًا⁵

وانصرف يومئذ سنان بن أبي حارثة المرّي في بني ذبيان على حاميته، فلحق بهم معاوية بن الصّموت بن الكامل الكلابي، وكان يسمى الأسد المجذع، ومعه حرملة العُكَلبي ونفر من الناس، فلحق بسنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاري في سبعين فارساً من بني ذبيان. فقال سنان: يا مالك كُرِّ واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي أزوجكها. ففكر مالك فقتل معاوية، ثم اتبعه حرملة العُكَلبي وهو يقول: [من الرجز]

لَأَيِّ يَوْمٍ يَخْبَأُ الْمَرْءُ السَّعَةَ مُودِّعٌ وَلَا تَرَى فِيهِ الدَّعَةَ⁷

فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجل من بني كلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجلان من قيس كُبة من بجيلة، فكرّ عليهما فقتلتهما، ومضى مالك وأصحابه. فقال مالك في ذلك:

- 1 الحد هنا: الشوكة والقوة. المصدر من الخيل: السابق.
- 2 الجود هنا: العرق.
- 3 الخدم: السرعة في السير.
- 4 البحار: جمع بحرة وهي الفجوة من الأرض تتسع، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة، أو هي الأرض العظيمة مع سعة. والملا: الأرض الواسعة أو الفلاة. صحوت في ل: سمعت.
- 5 الأظلاف: جمع ظلف وهو ما غلظ من الأرض وصلب. الحمض من النبات: كل نبت مالخ أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له.
- 6 ل: الكاهن.
- 7 المودّع: المترف المنعم.

ولقد صدّدتُ عن الغنيمة حرماً¹ وأقبلته صدراً الأغرّ وصارماً²
 وأقبلته صدراً الأغرّ وصارماً² وأقبلته صدراً الأغرّ وصارماً²
 وابن الصموت تركتُ حين لقيته³ وابن الصموت تركتُ حين لقيته³
 وابنا ربيعة في الغبارِ كلاهما⁴ وابنا ربيعة في الغبارِ كلاهما⁴
 حتى تنفس بعد نكظٍ مُجحراً⁵ حتى تنفس بعد نكظٍ مُجحراً⁵

النكظ الجهد . قال :

يعدو يَبْزِي سَابِحٌ ذُو مَيْعَةٍ يَعْدُو وَيَبْزِي سَابِحٌ ذُو مَيْعَةٍ
 فخطب إليه مالكٌ حَوْلَةَ فَأَبَى أَنْ يَرْوِجَهُ . فخطب إليه مالكٌ حَوْلَةَ فَأَبَى أَنْ يَرْوِجَهُ .

وأما بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر وجد سينان بن أبي حارثة وابنيه
 هرماً ويزيد على غديرٍ قد كاد العطش أن يهلّكهم ، فجزّ نواصيهم وأعتقهم . ثم إن عروة أتى
 سناناً بعد ذلك يَسْتَثْبِيهِ ثَوَاباً يَرْضَاهُ [فلم يثبه شيئاً] . فقال عروة في ذلك : [من الوافر]

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي سِنَانًا أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي سِنَانًا
 أَفِي الْخَضْرَاءِ تَقْسِمُ هَجْمَتِكُمْ أَفِي الْخَضْرَاءِ تَقْسِمُ هَجْمَتِكُمْ
 فَلَوْ كَانَ الْجَعْفَرُ طَاعُونِي فَلَوْ كَانَ الْجَعْفَرُ طَاعُونِي
 أَتَجْزِي الْقَيْنَ نِعْمَتَهَا عَلَيْكُمْ أَتَجْزِي الْقَيْنَ نِعْمَتَهَا عَلَيْكُمْ

وأما بنو عامر فيزعمون أن سيناناً انصرف ذات يوم هو وناسٌ من طييء وغيرهم قبل
 الوقعة ، فبلغه أن بني عامر يقولون : منّا عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

وَاللّٰهُ مَا مَنُّوا وَلَكِنْ شِكَّتِي مَنَّتْ وَحَادِرَةُ الْمَنَاكِبِ صِلْدِمٌ⁶
 بِخَيْرِ شَوْلٍ يَوْمَ يُدْعَى عَامِرٌ لَا عَاجِزٌ وَرَعٌّ وَلَا مُسْتَسْلِمٌ⁷

1 اللدّد : مصدر لددت فلاناً ألدّه إذا خصمته وجادلته .

2 أقبلت الشيء الشيء : جعلته قبالة .

3 المحجر : المضطر الملجأ .

4 السابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . وميعة كل شيء : أوله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع .
 ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفاً لنهد
 فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل .

5 الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل .

6 الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها .

7 الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

وأما بارقٌ فتدعى أسرَ سِنانٍ يومئذٍ على الثَّواب ، ثم أتوه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقرٌ بن
أوس بن حِمارِ البارقيُّ : [من الطويل]

متى تكُ في ذُببانٍ منك صنيعةٌ فلا تحمدنَّها الدهرَ بعد سِنانِ
يَظَلُّ يُمَنِّينَا بحسنِ ثوابِهِ لكم مائةٌ يحدو بها فرسانِ
مخاضٌ أُودِّيها وجلٌّ لقائح وأكرمُ مثوى منكم من اتانِي
فجئناه للنعْمى فكان ثوابِهِ رَغوثٌ ووطبًا حازِرٍ مَدْقانِ¹
وظلَّ ثلاثاً يسألُ الحيَّ ما يرى يُؤامرهم فينا له أَمَلانِ²
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدَّ شاكراً فلا تتقن بالشكرِ في غَطْفانِ

[تاريخ يوم جيلة]

قال : وكان جيلةٌ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي ﷺ بتسع عشرة سنة .
وولد النبي ﷺ عام الفيل ، ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستين
سنة ، وقدم عليه عامرُ بن الطفيل في السنة التي قبض فيها ﷺ ، قال : وهو ابن ثمانين سنة .

[ما قبل في هذا اليوم من الشعر]

وقال المعقرُّ بن أوس بن حِمارِ البارقيِّ حليفُ بني نَميرِ بن عامرِ : [من الطويل]

أمن آلِ شعثاءِ الحُمولِ البواكرُ مع الليلِ أم زالتِ قُبيلُ الأباغرُ
وحلَّت سُلَيْمى في هضابٍ وأيكةٍ فليس عليها يومٌ ذلك قادرُ
وألقتُ عصاها واستقرتْ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ³
وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ عليها إذا أمست من الله ناظرُ
معاويةُ بنُ العجونِ ذُببانِ حوله وحسانُ في جَمعِ الرِّبابِ مكائرُ⁴
فمروا بأطنابِ البيوتِ فردَّهم رجالٌ بأطرافِ الرِّماحِ مساعِرُ⁴
وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه جرَّادٌ هوى في هبوةٍ متطائرُ⁵

1 الرغوث : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .

2 يؤامرهم : يُشاورهم .

3 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني : 99/22 «قد ألقى عصاه» .

4 مساعر : جمع مسعر . ومسعر الحرب الذي يورثها فتحمى به الحرب .

5 الهبوة : الغبار النائر .

نباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمة
ولم نقرهم شيئاً ولكن قصدهم
لنا مُسمعات بالدُفوف وسامرٌ
صُبوحٌ لدينا مَطَلَعِ الشَّمْسِ حازرٌ¹
كأركان سلمى شبرها متواترٌ²
وأعينهم تحت الحبيك جواحرٌ³
الحبيكُ في البيضِ إحكام عملها وطرائقها .

من الضارين الكبشَ يمشون مقدماً
وظن سرأة القوم ألا يقتلوا
إذا غصَّ بالريق القليل الحناجرُ⁴
إذا دُعيت بالسفح عبسٌ وعامرٌ⁵
ضربنا حبيك البيض في غمر لجة
ولم ينج إلا من يكون طمره
فلم يبق في الناجين منهم مفاجرٌ
يوائل أو نهْدٌ ملحٌ مُثابرٌ⁶
كما انقضت أفتى ذو جناحين ماهرٌ⁷
أراد رئاس السيف والسيف نادرٌ⁸
ها بطلان يعثران كلاهما
ولا فضل إلا أن يكون جراءة
وذبيان تسمو والرؤوس حواسرُ
وقد علقت ما بينهن الأظافرُ
يفرّج عنا كلُّ ثغرٍ نخافه
مسحٌ كسرحان القصيمة ضامرٌ⁹
القصيمة من الرمل : ما أُنبت الغضى والرّمث .

وكلُّ طُمُوحٍ في العنانِ كأنها
إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسيرٌ¹⁰

- 1 قصدهم في ل : قصرهم . لدينا في ل : لنا من .
- 2 سلمى : جبل في بلاد طيء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع .
- 3 جواحر : غائرات .
- 4 كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .
- 5 بالسفح في ل : بالصفح .
- 6 الطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر إلى ملجأ لينجو .
- النهد : القويم الضخم .
- 7 القنا : تنوء في وسط قصبة الأنف وإشراف .
- 8 رئاس السيف : مقبضه . ونادر : ساقط .
- 9 المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صباً . والسرحان : الذئب .
- 10 الفتخاء الكاسر : العقاب .

لها ناهض في المهد قد مهّدت له كما مهّدت للبعْل حَسَناء عاقراً¹
وبهذا البيت سُمِّي مُعَقِّراً واسمه سُفْيَان بن أوس . وإنما خَصَّ العاقِرَ لأنّها أقلُّ ذلّاً² على
الزوج من الوُلُودِ فهي تصنع له وتُدَارِيه .

تخاف نساءً يبتدرن حليلاًها
وقال عامر بن الطَّفَيْل بعد ذلك بدهرٍ :
[من الوافر]

ويومَ الجَمْعِ لاقِينا لَقِيْطاً
كَسَوْنَا رَأْسَهُ عَضْباً حُسَاماً
أُسْرُنَا حَاجِباً فَتَوَى بِقَدِّ
وَلَمْ نَتْرِكْ لِنَسْوَتِهِ سَوَاماً⁴
وَجَمْعُ الْجَوْنِ إِذْ ذَلُّوا إِلَيْنَا
صَبَحْنَا جَمْعَهُمْ جَيْشاً لُهُاماً⁵

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك :

وَهُمْ حُمَاةُ الشَّعْبِ يَوْمَ تَوَاكَلْتُمْ
أَسَدٌ وَذُبْيَانُ الصَّفَا وَتَمِيمٌ
فَارْتَتْ كَلْمَاهُمْ عَشِيَّةَ هَزَبِهِمْ
حَيٌّ بِمُنْعَرَجِ الْمَسِيلِ مُقِيمٌ⁶
تمّ اليوم والحمد لله والمنّ .

* * *

صوت

[من الطويل]

أيجمل ما يُوتى إلى فتياتكم
وأنتم رجالاً فيكم عددُ النملِ
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم
نساءً ججالٍ لم نُقِرَّ بهذا الفعلِ

الشعر لعقيرة بنت عِفَارٍ ، وقيل بنت عَبَاد ، الجَدَيْسِيَّة التي يقال لها الشَّمُوس . والغناء
لِعَرِيبٍ خفيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلُ مَطْلُوقٍ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ . وفيه لحنٌ من الثَّقِيلِ الأَوَّلِ قَدِيمٍ .

1 الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقلّ للنهوض .

2 ل : دالة .

3 التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .

4 القيد : سير يقدر من جلد غير ملبوغ . والسوام : الإبل الراحية .

5 وجمع الجون في ل : وجمع الحزم . اللهم : الكثير .

6 الارتثاء : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أُنخِثته الجراح .

[184 - مقتل عمليق وسببه]

[عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله]

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قيل علي بن سليمان الأخفش عن السُّكْرِيِّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل أن عمليقاً مَلِكَ طَسْمِ بن لاوَذَ بن إِرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام ، وجديسِ بن لاوَذَ بن إِرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام ، وكانت منازلهم في موضع اليمامة .

[احتكام امرأة من جديس وزوجها إليه]

كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشْمِ والسيرة بغير الحق ، وأن امرأة من جديسِ كان يقال لها هزيلة ، وكان لها زوج يقال له قرقس ، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : « يا أيها الملك إني حملته تسعا ، ووضعت دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ، حتى إذا تَمَّتْ أوصالهُ ، ودنا فصالهُ ، أراد أن يأخذهُ مِنِّي كَرْهاً ، ويتركني من بعده وَرْهاً¹ . فقال لزوجها : ما حُجَّتْكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أَيُّها الملك أنِّي قد أُعْطِيتُها المَهْرَ كاملاً ، ولم أصِيبْ منها طائلاً ، إلاً وليداً خاملاً ، فافعلْ ما كنتَ فاعلاً . فأمر بالغلام أن يُنَزَعَ منهما جميعاً ويُجعلَ في غِلْمانه ، وقال لهزيلة : « أبغيه ولداً ، ولا تتكحلي أحداً ، واجزیه صَفْداً² . فقالت هزيلة : « أمّا النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأمّا السُّفاح فإنما يكون بالقهر ، وما لي فيهما من أمر . فلما سمع ذلك عمليقُ أمر بأن تباغ هي وزوجها ، فيُعْطَى زوجها حُمْسَ ثمنها . وتُعْطَى هزيلةُ عَشْرَ ثمن زوجها . فأنشأت تقول :

أتينا أحمًا طسم ليحكم بيننا	فأنفذ حكماً في هزيلة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً	ولا كنت فيما تُبرم الحكم عالماً
نديمت ولم أندم وأنى بعثرتي	وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

[أمر ألا تزوج بكر من جديس حتى يفتريها]

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى يفتريها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً ودُلاً . فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت

1 الورهاء : الخرقاء . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب .

2 الصفد : العطاء .

الشَّمُوسُ وهي عَفِيرَةٌ بنت عَبَّادِ أختِ الأَسْوَدِ الذي وقعَ إلى جبلِ طَيِّءٍ فقتلته طييءُ
وسكنوا الجبلَ من بعده . فلَمَّا أرادوا حَمَلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عَمَلِيْقٍ . لينالها
قبله ، ومعها القِيَانِ يَتَغَنَّينَ :

ابديِّ بِعَمَلِيْقٍ وَقُومِي فَارَكِيي
وإِدْرِي الصُّبْحَ لِأَمْرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلْقَيْنَ الذي لم تَطْلُبِي
وما لِيكِرٍ عنده من مَهْرَبِ

[تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه]

فلَمَّا أن دخلتْ عليه افترعها وخالى سبيلها . فخرجتْ إلى قومها في دِمَائِهَا شاقَّةَ درْعِهَا
من قُبَلٍ ومن دُبُرٍ والدُمُ يسيل¹ وهي في أقبحِ منظرٍ ، وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلَّ من جَدِيسِ
يرضى بهذا يا لَقُومِي حُرٌّ
لأخذةِ الموتِ كذا لنفسه
أهكذا يُفَعَلُ بالعُرُوسِ
أهدى وقد أعطى وسيقَ المَهْرُ
خيرٌ مِن أن يُفَعَلَ ذا بعُرُسِهِ

[من الطويل]

وقالت تحرّض قومها فيما أتى إليها :

أُجْمَلُ ما يُؤْتى إلى فَتَيَاتِكُمْ
وتُصْبِحُ تمشي في الدَّماءِ عَفِيرَةٌ
ولو أَنَا كُنَّا رِجالاً وكنتم
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم
وإلا فحلُّوا بطنها وتحملوا
فللين خيراً من مقامٍ على أذى
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
ودونكم طيبَ العروسِ فإنما
فبُعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً

[اشتمار جديس للغدر به ويقومه]

فلَمَّا سمعَ الأَسْوَدُ أخوها ذلك وكان سيِّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشرِ جَدِيسِ ! إن هؤلاء
القومَ ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلْكِ صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزنا

1 ل : يتبين .

2 الغسَلُ : ما يغتسل به .

وإدهاننا¹ ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصْفُ² . فأطيعوني فيما أمرُكم به ، فإنه عزُّ الدَّهرِ ، وذهابُ ذلِّ العمرِ ، واقبلوا رأيي . قال : وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك ، ولكنَّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فإنِّي أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً . فإذا جاءوا يرفلون في الحُللِ ثُرنا إلى سيوفنا وهم غازون فأهدناهم³ بها . قالوا : نفعل . فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلي والحلل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدَّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السُّفلة فلم يدعوا منهم أحداً . فقال الأسود في ذلك : [من البسيط]

ذوقِي ببيغِك يا طَسْمٌ مجلَّةٌ فقد أتيتِ لَعْمَري أعجبَ العجبِ
 إنا أينا فلم تنفك نقتلهم والبغيُّ هيج منا سورة الغضبِ
 ولن يعود علينا بغيهم أبداً ولن يكونوا كذي أنفٍ ولا ذنبِ
 وإن رعيتم لنا قُربى مؤكدةً كنا الأقاربَ في الأرحام والنسبِ

[غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيء له]

ثم إن بقيّة طسم لجحوا إلى حسان بن تبع ، فغزا جديساً فقتلها وأحرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق ، فأقام بجبلي طيء قبل نزول طيء إياهما . وكانت طيء تسكن الجُرف من أرض اليمن . وهو اليوم محلّة مُراد وهمدان ، وكان سيدهم يومئذ أسامة بن لؤي بن العوث بن طيء ، وكان الوادي مسبعةً ، وهم قليلٌ عددهم ، وقد كان ينتابهم بغير في أزمان الخريف ولم يُدر أين يذهب ولم يروّه إلى قابلٍ ، وكانت الأزْدُ قد خرجت من اليمن أيام العرم ، فاستوحشت طيء لذلك وقالت : قد ظعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلما هموا بالظعن قالوا لأسامة : إن هذا البعير يأتينا من بلد ريفٍ وخِصْبٍ ، وإنا نرى في بعره النوى . فلو أننا نتعهده عند انصرافه فشخصنا معه لكننا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فأجمعوا أمرهم على ذلك . فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين . فقال أسامة بن لؤي : [من الرجز]

1 الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة .

2 النصف : إعطاء الحق .

3 أهدناهم : أماتناهم .

اجْعَلْ طَرِيباً كَحَبِيبٍ يُنْسَى لِكُلِّ قَوْمٍ مُضْبِحٍ وَمُمْسَى

قال : وطَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به . فهجمت طيء على النخل في الشُّعاب وعلى مواشٍ كثيرة ، وإذا هم برجلٍ في شَعْبٍ من تلك الشُّعاب وهو الأسود بن عَبَّاد ، فهالهم ما رأوا من عِظَمِ خَلْقِهِ وتَخَوَّفُوهُ ، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستبروها هل يرون بها أحداً غيره فلم يَرَوْا . فقال أسامة بن لؤيِّ لابن له يقال له الغوث : أي بُنيَّ ! إن قومك قد عرَفوا فضلكَ عليهم في الجَلْدِ والبأس والرَّمي ، فإن كَفَيْتَنَا هذا الرجل سُدَّتْ قومكَ آخِرَ الدَّهرِ ، وكنتَ الذي أنزلتْنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلَّمه وساءله . فعجِبَ الأسود من صِغَرِ خَلْقِ الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن ، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه ، وأنهم رهبوا ما رأوا من عِظَمِ خَلْقِهِ وصِغَرِهِم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغوثُ بسهمٍ فقتله ، وأقامت طيء بالجبلين بعده ، فهم هنالك إلى اليوم .

185 - [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]

صوت

[من الطويل]

إذا قَبِلَ الإنسانُ آخَرَ يشتهي ثنياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وزرا
الشعر لرجل من عُذرة . والغناء لعريب ثقيلٌ أولٌ بالوسطى .

[حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري]

نسخت هذا الخير من كتاب محمد بن موسى بن حماد قال ذكر الرياشي قال قال حماد الراوية . أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة ، فتذاكروا من العذريين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديق من عُذرة يقال له الجعد بن مهجع ، وكان أحد بني سلامان ، وكان يلقي مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة ، وكان يُوافي الموسم في كل سنة ؛ فإذا راث¹ عن وقته ترجمت² عنه الأخبار ، وتوكت³ له الأسفار⁴ حتى يقدم . فغممني ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حجاج عُذرة ، فأتيت القوم أنشد صاحبي ، وإذا غلامٌ قد تنفس الصعداء ثم قال : أعن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإياه أردت . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو المسهر لا مؤيساً فيهملاً ولا مرجواً فيعمل ، أصبح والله كما قال القائل :

لَعَمْرُكَ ما حُبِّي لأسماء تاركِي أعيشُ ولا أقضي بِهِ فأموت

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهور كما في الضلال ، وجرك كما أذبال الخسار ، فكأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار . قلت : من أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أما والله يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنك وأحاك كالبرد والجاد لا ترقعه ولا يرقعك ، ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

1 راث : أبطأ .

2 ترجمته : تظننت ، من الرجم .

3 وتوكت : توقعت وانتظرت .

4 الأسفار : جماعة المسافرين .

أرائحة حُجَّاجٍ عُدْرَةَ وَجْهَةٍ ولَمَّا يَرُوحُ فِي الْقَوْمِ جَعْدُ بْنُ مِهْجَعٍ
خَلِيلَانِ نَشَكُو مَا نَلَّاقِي مِنَ الْهَوَى متى مَا يَقُلُّ أَسْمَعُ وَإِن قَلْتُ يَسْمَعُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَهُ فلي زَفَرَاتُ هِجْنَ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ خِلَاً فَإِنِّي سَأَلْتِي كَمَا لَاقَيْتَ فِي كُلِّ مَصْرَعٍ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عرفات . فبينما أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونه
وساءت هيئته ، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقتني وبكى حتى اشتدَّ
بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرُحُ الْعُدْلُ ، وطُولُ الْمَطْلُ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

لئن كانت عُدْيَةُ ذَاتِ لَبٍّ لقد علمتُ بأنَّ الحَبَّ دَاءٌ
أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى تَغْيِيرِ جَسْمِي وَأَنِّي لَا يَفَارِقُنِي الْبُكَاءُ
وَلَوْ أَنِّي تَكَلَّفْتُ الَّذِي بِي لَقَفَّ الْكَلْمُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ¹
فإنَّ معاشري ورجال قومي حُتُوفُهُمُ الصَّبَابَةُ وَاللِّقَاءُ
إِذَا الْعُدْرِيُّ مَاتَ خَلِيٌّ ذَرَعٌ فذاك العبدُ يبكيه الرِّشَاءُ

فقلت : يا أبا المسهر إنها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها . فلو
دعوت الله كنت قميناً أن تظفر بجانتك وأن تنصر على عدوك . قال فتركني وأقبل على الدعاء .
فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا سمعته يتكلم بشيء ، فأصغيت إليه ، فإذا هو
يقول : [من الرجز]

يَا رَبَّ كُلِّ غَدْوَةٍ وَرَوْحَةٍ من مُحْرِمٍ يَشْكُو الضُّحَى وَلَوْحَةٍ
أَنْتَ حَسِيبُ الْخَلْقِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ

[الجعد بن مهجع يذكر لعمر سب عشقه ومسعى عمر في زواجه من عشقها]

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفَةَ ،
فأقبل عليّ وقال : إني رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاء ، وذو المال لا يُصدِّره ولا يُرويه
الثماد² . وقطر الغيث أرض كَلْبٍ ، فانتجعتُ أخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس
وسقوني جُمَّة³ الماء ، وكنتُ فيهم في خير أحوال . ثم إني عزمْتُ على موافقة إيلي بماء لهم
يقال له الحوذان ، فركبتُ فرسي وسمّطت⁴ خلفي شراباً كان أهدها إليّ بعضهم ثم مضيت ،

1 قف : يس .

2 الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا ماء له .

3 جُمَّة الماء : معظمه .

4 سمط هنا : علق .

حتى إذا كنت بين الحيِّ ومَرَعَى النَّعَمِ رُفِعَتْ¹ لي دوحه عظيمةٌ ، فنزلتُ عن فرسي وشدته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظلِّها . فبينما أنا كذلك إذ سَطَعَ غبارٌ من ناحية الحيِّ ورُفِعَتْ لي شخوصٌ ثلاثةٌ ، ثم تبيَّنتُ فإذا فارس يطردُ مَسْحَلًا² وأتانا³ ، فأتاملته فإذا عليه درعٌ أصفرٌ وعمامةٌ خبزٌ سوداءٌ ، وإذا فُروعُ شعره تضربُ خَصْرِيه ، فقلتُ : غلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْسٍ أَعْجَلْتَهُ لَذَّةَ الصَّيْدِ فَتَرَكَ ثَوْبَهُ وَليْسَ ثوبُ امرأته . فما جاز عليَّ إلاَّ يسيراً حتى طَعَنَ المَسْحَلَ وَثَنِي طَعْنَةً لِلأَتانِ فَصَرَعهما ، وأقبلَ راجعاً نحوي وهو يقول : [من الرجز]

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ⁴

فقلتُ : إِنَّكَ قَدْ تَعَبْتَ وَأَتَعَبْتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجله فنزل فشَدَّ فَرَسَهُ بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي دُؤَيْبٍ :

وإنَّ حديثاً منك لو تَبَدُّلِيْنَهُ جَنَى النَّحْلِ فِي ألبانِ عُوذٍ مَطَافِلٍ⁵
فَقَمْتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسرَ العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنَّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلتُ : سبحانَكَ اللَّهُمَّ ! ما أعظَمَ قُدْرَتَكَ وأحْسَنَ صَنَعَتَكَ ! . فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلتُ : ممَّا راعني من جمالك وبهرني من نورك . قال : وما الذي يروغك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابَّ ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس . قلتُ : لا يصنع الله بك إلاَّ خيراً . ثم تحدَّثنا ساعة ، فأقبل عليَّ وقال : وما هذا الذي أرى قد سَمَطْتَ في سَرَجِكَ ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه إليَّ بعضُ أهلِكَ ، فهل لك فيه من أربٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيت به ، فشرب منه وجعل ينكتُ أحياناً بالسَّوْطِ على ثناياه ، فجعل والله يتبيَّن لي ظلُّ السوطِ فيهن . فقلتُ : مهلاً فإنِّي خائفٌ أن تكسرهنَّ . فقال : ولمَ ؟ قلتُ : لأنهن رِقاقٌ وهنَّ عذابٌ . قال : ثم رَفَعَ عقيرته يتغنَّى :

إذا قَبِلَ الإنسانُ آخرَ يشتهي
فإن زاد زاد الله في حسناته
ثناياه لَمْ يَأْتُمْ وكان له أجراً
مثاقيلَ يمحو الله عنه بها الوزراً

1 رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .

2 المسحل : الحمار الوحشي .

3 الأتان : الحمارة الوحشية .

4 السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . اللأم : السهم عليه ريش

لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى .

5 عوذ : جمع عائذة وهي الحديدية التاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطلق .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فَبَرَقْتُ لي بَارِقَةٌ تَحْتَ الدَّرْعِ . فَإِذَا تَدَيُّ كَأَنَّهُ حَقٌّ عَاجٍ . فَقُلْتُ : نَشَدْتُكَ اللهُ أُمْرًا؟ قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ إِلَّا أَنِّي¹ أَكْرَهُ العَشِيرَ وَأُحِبُّ الغَزَلَ . ثُمَّ جَلَسْتُ فَجَعَلْتُ تَشْرَبُ مَعِي مَا أَفْقَدُ مِنْ أُنْسِهَا شَيْئًا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهَا كَأَنَّهَا عَيْنَا مَهَاةٍ مَذْعُورَةٍ . فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنِي إِلَّا مَيْلُهَا عَلَى الدَّوْحَةِ سَكْرَى . فَزَيْنُ لِي وَاللَّهِ الغَدْرُ وَحَسُنَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَصَمَنِي مِنْهُ ، فَجَلَسْتُ حَجْرَةً مِنْهَا . فَمَا لَبِثْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْتَبَهْتُ فَرِعَةً ، فَلَاثَتْ عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، وَقَالَتْ : جِزَاكَ اللهُ عَنِ الصُّحْبَةِ خَيْرًا . قُلْتُ : أَوْ مَا تَزُوْدِيَنِي مِنْكَ زَادًا؟ فَنَاوَلْتَنِي يَدَهَا ، فَقَبَّلْتَهَا فَشَمِمْتُ وَاللَّهِ مِنْهَا رِيحُ الْمَسْكِ الْمَفْتُوتِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

كَأَنَّهَا إِذْ تَقْضَى النُّومَ وَانْتَبَهَتْ سَحَابَةٌ مَا لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثْرٌ

قُلْتُ : وَأَيْنَ المَوْعِدُ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةً شُرُسًا وَأَبَا غَيُورًا . وَوَاللَّهِ لَأَنْ أُسْرَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُضْرَكَ ، ثُمَّ انصرفت . فَجَعَلْتُ أُتْبِعُهَا بِصَرِي حَتَّى غَابَتْ ، فَهِيَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَبِي رِبِيعَةَ أُحَلَّتْنِي هَذَا المَحَلَّ وَأَبْلَعْتَنِي . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا المُسَهَّرِ إِنَّ الغَدْرَ بِكَ مَعَ مَا تَذَكُرُ لِلْمِيحِ . فَبَكَى وَاشْتَدَّ بِكَاؤُهُ . فَقُلْتُ : لَا تَبْكُ ؛ فَمَا قُلْتُ لَكَ مَا قُلْتُ إِلَّا مَازِحًا ، وَلَوْ لَمْ أَبْلُغْ فِي حَاجَتِكَ بِمَالِي لَسَعَيْتُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَقْدَرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : خَيْرًا . فَلَمَّا انقضى المَوْسِمُ شَدَدْتُ عَلَى نَاقَتِي وَشَدَّ عَلَى نَاقَتِهِ ، وَدَعَوْتُ غَلَامِي فَشَدَّ عَلَى بَعِيرِ لَهُ ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ قَبَّةَ حِمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ كَانَتْ لِأَبِي رِبِيعَةَ المَخْزُومِيِّ ، وَحَمَلْتُ مَعِيَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِطْرَفَ خَزٍّ ، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بِلَادَ كَلْبٍ ، فَنَشَدْنَا عَنْ أَبِي الجَارِيَةِ فَوَجَدْنَاهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ ، وَإِذَا هُوَ سَيِّدُ الحَيِّ وَإِذَا النَّاسُ حَوَّلَهُ ، فَوَقَفْتُ عَلَى القَوْمِ فَسَلَّمْتُ ، فَردَّ الشَّيْخُ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ : عَمْرُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ المَغِيرَةِ . فَقَالَ : المَعْرُوفُ غَيْرُ المُنْكَرِ ، فَمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ : خَاطِبًا . قَالَ : الكُفَاءُ ، وَالرَّغْبَةُ . قُلْتُ : إِنِّي لَمْ آتِ ذَلِكَ لِنَفْسِي عَنْ غَيْرِ زَهَادَةٍ فِيكَ وَلَا جِهَالَةٍ بِشَرِّكَ ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ فِي حَاجَةِ ابْنِ أُحْتَكَمِ العُدْرِيِّ ، وَهَاهُو ذَاكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَكَفَى الحَسْبَ رَفِيعُ البَيْتِ ، غَيْرَ أَنَّ بَنَاتِي لَمْ يَقَعْنَ إِلَّا فِي هَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ . فَوَجِمْتُ لِذَلِكَ ، وَعَرَفْتُ التَّغْيِيرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : أَمَا إِنِّي صَانِعٌ بِكَ مَا لَمْ أَصْنَعُهُ بِغَيْرِكَ . قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ فَمَثَلِي مَنْ شَكَرَ؟ قَالَ : أُخَيْرُهَا فَهِيَ وَمَا اخْتَارَتْ . قُلْتُ : مَا أَنْصَفْتَنِي إِذْ تَخْتَارُ لغيري وَتُوَلِّي الخِيَارَ غَيْرَكَ . فَأشارَ إِلَيَّ العُدْرِيُّ أَنْ دَعَاهُ بِخَيْرِهَا . فَأرسلَ إِلَيْهَا : إِنَّ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا . فَأرسلتُ إِلَيْهِ : مَا كُنْتُ لِأَسْتَبِدَّ بِرَأْيِ دُونَ القَرَشِيِّ ، فَالخِيَارُ فِي قَوْلِهِ ، حَكْمُهُ . فَقَالَ لِي : إِنَّهَا قَدْ وَوَلَّتْكَ أَمْرَهَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ . فَحَمِدْتُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ

وقلت : اشهدوا أنني قد زوجتها من الجعد بن مهبج وأصدقتهما هذا الألف الدينار ، وجعلتُ تكريمتها العبدَ والبعيرَ والقبةَ ، وكسوتُ الشيخَ المطرفَ ، وسألته أن يني بها عليه في ليلته . فأرسل إلى أمها ، فقالت : أخرج ابنتي كما تخرج الأمةُ ! . فقال الشيخ : هجري¹ في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبةَ في وسط الحريم ، ثم أهديتُ إليه ليلاً ، وبتُ أنا عند الشيخ . فلما أصبحتُ أتيت القبةَ فصيحتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتُ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدتُ لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها . فسألته عن ذلك فأنشأتُ تقول :

كمتُ الهوى لما رأيتك جازعاً وقلتُ فتى بعضَ الصديق يريدُ
وأن تطرحني أو تقول فتيةً يضربُ بها برحُ الهوى فتعودُ
فوريتُ عما بي وفي داخل الحشى من الوجدِ برحُ فاعلمنَّ شديدُ
فقلت : أقم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقتُ وأنا أقول :

كفيتُ أخي العذري ما كان نابه وإنِّي لأعباء النوائب حمالُ
أما استحسننتُ مني المكارمُ والعلا إذا طرحتُ ! إنِّي للمالي بدالُ
وقال العذري :

إذا ما أبو الخطّاب خلّى مكانه فافٌ لِدُنْيَا ليس من أهلها عمّرُ
فلا حَيٌّ فتيانُ الحجازين بعده ولا سقيتُ أرضُ الحجازين بالمطرُ

صوت

[من الكامل]

إنّ الخليطَ قد ازمعوا تركي فوقفتُ في عرصاتهم أبكي
جنيةً برزتُ لتقتلني مطليّةُ الأصداغ بالمسك
عجباً لملك لا يكون له خرجُ العراقِ ومبرُّ الملكِ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقیلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذكر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

[186] - أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[نسب عائشة بنت طلحة]

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .
وأُمها أُم كلثوم بنت أبي بكر الصديق . أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال
مُصعب :

[كانت لا تستر وجهها]

كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد . فعاتبها مُصعب في ذلك ، فقالت : إنَّ
الله تبارك وتعالى وَسَمَنِي بِمَيْسَمِ جَمَالٍ أَحَبَّتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، فَمَا كُنْتُ
لَأَسْتُرَهُ ، وَوَاللَّهِ مَا فِي وَصْمَةٍ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ . وَطالَتْ مُرَادَهُ مُصْعَبُ إِيَّاهَا فِي
ذَلِكَ ، وَكَانَتْ شَرِيسَةَ الْخَلْقِ . قال : وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظاه عند
أزواجهن . وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أُم إسحاق بنت طلحة ، فكان
يقول : والله لَربُّمَا حَمَلْتُ وَوَضَعْتُ وَهِيَ مُصَارِمَةٌ لِي لَا تَكَلِّمُنِي .

[غضبها على مصعب]

قال : نالت عائشة من مُصعب وقالت : عَلَيَّ كَظْهَرُ أُمِّي ، وَقَعَدْتُ فِي غُرْفَةٍ وَهِيَائَتْ
فِيهَا مَا يُصْلِحُهَا . فَجَهِدَ مُصْعَبٌ أَنْ تَكَلِّمَهُ فَأَبَتْ . فَبَعَثَ إِلَيْهَا ابْنَ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، فَسَأَلَهَا
كَلَامَهُ ، فَقَالَتْ : كَيْفَ بِيَمِينِي ؟ فَقَالَ : هَاهُنَا الشَّعْبِيُّ فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَاسْتَفْتِيهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ . فَقَالَتْ : أَتُحِلُّنِي وَتَخْرُجُ خَائِبًا ؟ فَأَمَرْتُ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
آلَافِ دَرَاهِمٍ . وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ لَمَّا رَأَاهَا :

جَنِيَّةٌ بَرَزَتْ لَتَقْتُلُنَا مَطْلِيَّةُ الْأَقْرَابِ بِالْمِسْكِ¹

وذكر باقي الأبيات .

[غضبت على مصعب فاسترضاهما أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق اليعقوبي قال حدثنا
سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال : كان أشعب يألف مصعباً ، فغضبت عليه
عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أشعب . فقال : مالي
إن رضيت ؟ قال : حكُمك . قال : عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى

1 الأقرب : جمع قُرب وهو الخاصرة .

عائشة فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قد علمتِ حُبِّي لك ومِلي قديماً وحديثاً إليك من غير منالٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضتِ تقضين بها حَقِّي وترتهنين بها شُكْرِي . قالت : وما عَنَّاك ؟ قال : قد جعل لي الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إن رَضيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فأرضيْ عنه حتى يُعطيني ثم عُودِي إلى ما عَوَّدك الله من سوء الخُلُق . فضَحِكْتُ منه ورَضيتُ عن مصعب . وقد ذكر المدائنيُّ أنَّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأنَّ الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق .
[وصف عزة الميلاء لها ولامرأتين]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي حَدَّثت عن صالح بن حسان قال : كان بالمدينة امرأة حسناء تُسمَّى عَزَّة الميلاء يألُفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنا خطبنا فانظري لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يا ابن أبي أُحِيحَةَ ؟ قال : عائشة بنت عثمان . قالت : فأنت يا ابن الصَّدِّيق ؟ قال : أمُّ القاسم بنت زكريَّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتي منقلي (تعني خفيها) فليستهما وخرجت ومعهما خادمٌ لها ، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً ، فقالت : يا جارية انظري ما هذا . فنظرت ثم رجعت فقالت : امرأة أُخِذت مع رجل . فقالت : داءٌ قديم ، امضِ ويلك . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتك ! كُنَّا في مأذبة أو ماتم لقريش ، فتذاكروا جمالَ النساءِ وخلقهن فذكروك ، فلم أدر كيف أصِفُك فديتك . فألقي ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت فارتج كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزَّة : خُذِي ثوبك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتكِ وبقيتُ حاجتي . قالت عَزَّة : وما هي بنفسي أنت ؟ قالت : تُغنييني صوتاً . فاندفعت تغني لحنها : [من الطويل]

صوت

خَلِيلِي عُوْجَا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمْلٍ	وَأْتَرَابِهَا بَيْنَ الْأَصْيْفِرِ وَالْحَبْلِ
نَقَفَ بِمَغَانٍ قَدْ مَحَا رَسْمَهَا الْبَلِي	تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرِّيحِ وَالْوَبْلِ
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصُّغَارُ بِجِلْدِهَا	لَأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ ¹
وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ جَيْدًا وَمَقَلَّةً	تُشَبَّهُ فِي النَّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطَّفْلِ ²

1 أندب على جلدها : ترك فيه ندوباً . والندب : أثر الجرح .

2 الشادن : من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والطفل : الناعم الرخص .

الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العُدْرِيّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى . فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك ، فدفعته إلى مولاتها فحملته . وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك هن ، حتى أتت القوم في السقيفة . فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أمّا عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلة ومدبرة ، محطوطة المتين¹ ، عظيمة العجيزة . مملئة الترائب² ، نقيّة الثغر وشفحة الوجه ، فرعاء الشعر³ ، لفاء الفخذين⁴ ، مملئة الصدر ، خميصة البطن⁵ ، ذات عكن⁶ ، ضخمة السرة ، مسرولة الساق ، يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخف : عظم القدم والأذن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يا ابن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب . والله لكأنما أفرغت إفراغاً ، ولكن في الوجه ردة⁷ ، وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأس به . وأمّا أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ، كأنها حوط⁸ بانه تنشي ، وكأنها جدل عنان ، أو كأنها جان⁹ يتشّي على رمل ، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت . ولكنها شخنة الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملا كل شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

[تُشبه خالتها أم المؤمنين]

أخبرني الطوسيّ وحرمي عن الزبير عن عمّه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك ، قالوا جميعاً : إنّ أمّ عائشة بنت طلحة أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وأمّها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنت طلحة تُشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها . فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن

1 محطوطة المتين : ممدودتها . والمتنان : جنبنا الظهر .

2 الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .

3 فرعاء الشعر : طويلته .

4 واللف في الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

5 خميصة البطن : ضامرته .

6 العكن : الأطواء في البطن ، الواحدة عكنة .

7 الردة : القبح مع شيء من الجمال .

8 الخوط : الغصن الناعم .

9 الجان : حية كحلاء العين لا تؤذي . الخشف : ولد الظبية .

أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرَها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدت له عمران وبه كانت تُكْنَى ، وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة وتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ولكل هؤلاء عَقَبٌ . وكان ابنها طلحة من أجواد قريش ، وله يقول الحزين الدَّبْلِيُّ :

[من المتقارب]

فإن تك يا طَلْحُ أعطيتني عُذافرةً تَسْتَخِفُّ الضُّفَاراً¹
فما كان نَفْعُكَ لي مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّكَ بيضاء تَمِيْمَةٌ إذا نُسِبَ الناسُ كانوا نُضارا

[مصارمتها لزوجها]

قال : فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غَضْبَى ، فمَرَّت في المسجد وعليها مِلْحَفَةٌ تريد عائشة أم المؤمنين ، فرأها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنها من الحور العين . فمكثت عند عائشة أربعة أشهر . وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة : إني أخاف عليك الإيلاء² ، فضمَّها إليه . وكان مؤلماً منها فقيل له : طَلَّقْها ، فقال : [من الطويل]

يقولون طَلَّقْها لأُصْبِحَ ثاوياً مُقِماً عليَّ الهمُّ ، أحلامُ نائمٍ
وإن فراقِي أهلَ بَيْتِ أُحِبُّهم لهم زُلْفَةٌ عندي لإحدى العظائم

فتوفِّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فما فتحت فاهها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا في ذنوبها التي تعددها . ثم تزوجها بعده مُصْعَبُ بن الزبير ، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وبلغ ذلك أنحاء فقال : إن مصعباً قدَّم أيرَه ، وأخرَ خَيْرَه . فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال : لكنَّه أخرَ أيرَه وخَيْرَه . وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤتبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء ، وقال له : إني لأرجو أن تكون الذي يُخسِفُ به بالبيداء ، فما أمرتكَ بنزولها إلا لهذا . وصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

[عاسرت مُصْعَباً ثم ياسرته]

قال وحدثني المدائني عن سُحَيْمِ بن حَفْص قال : كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا

1 العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . الضُّفَار : ما يُشَدُّ به البعير من الشعر المضمفور .

2 الإيلاء : اليمين ، وهو أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته ، وحكمه أن يترصد به أربعة أشهر ثم يوقف ، فإمّا أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

بتلاح ينالها منه وبضربها . فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنت لي . قال : نعم ! افعل ! ما شئت فإنها أفضل شيء نلته من الدنيا . فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها . فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال نعم . فأدخلته . فقال للأسودين : احفرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شوم مولاتي ، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حيّة وهو أسفك خلق الله لدم حرام . فقالت عائشة : فأنظري أذهب إليه . قال : هيهات ! لا سبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفرا . فلما رأته الجدة منه بكت ثم قالت : يا ابن أبي فروة إنك لقاتلي ما منه بد ؟ قال : نعم ، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : وفي أي شيء غضبه . قال : في امتناعك عنه ، وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين إلى غيره فقد جن . فقالت : أنشدك الله إلا عاودته . قال : إني أخاف أن يقتلني . فبكت وبكى جواربها . فقال : قد رقت لك ، وحلف أنه يغرر بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تضمّني عني ألا أعود أبداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيام بحقك ما عشت . قال : فأعطيني الموثيق ، فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما ، وأتى مصعباً فأخبره . فقال له : استوثق منها بالأيمان ، ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب .

[أخبارها مع مصعب]

قال : ودخل عليها مصعب يوماً وهي نائمة متصبحة¹ ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرة ، فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفر ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها . فقالت : الآن يصلح أن تخرجني إليه . فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إني أشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : هو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال : كان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة ، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودمائةً وجمالاً وهيئةً ومثانةً وعفةً ، وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطيب [و] المِجْمَر² ، وخلعت على كل امرأةٍ منهن ، خِلعةً تامّةً من الوشي والخز

1 التصيح : نوم الغداة .

2 المِجْمَر : العود الذي يتبخر به .

ونحوهما ، ودعت عَزَّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزَّة ، هاتي يا عَزَّةَ فغنيًا ، فغنتهن في شعر امرئ القيس :

وَتَعْرِ أَعْرَّ شَتِيَتِ النَّبَاتِ لَدِيدِ الْمُبَلِّ وَالْمُبْتَسَمِ
وما ذقته غيرَ ظنُّ به وبالظنِّ يقضي عليك الحكمُ

وكان مصعبٌ قريباً منهنَّ ومعه إخوانٌ له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلَةٌ ، فصاح : يا هذه إنا قد ذُقناه فوجدناه على وصفِ ، فبارك الله فيك يا عَزَّةَ ! ثم أرسل إلى عائشة : أما أنتِ فلا سبيلَ لنا إليك مع مَنْ عندك ، وأما عَزَّةَ فتأذنين لها أن تغنيًا هذا الصوت ثم تعود إليك ، ففعلت . وخرجت عَزَّةَ إليه فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عَزَّةَ إنَّك لتُحسِنين القولَ والوصفَ ، وأمرها بالعودِ إلى مجلسها ، وتحدَّثَ ساعةً مع القوم ثم تفرَّقوا .

[خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبید الله]

وقال المدائني ، وذكره القحذمي أيضاً في خبره ، : فلما قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بشر بن مروان ، وقدم عُمر بن عُبيد الله بن معمر التيمي من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بشر بن مروان خطبها ، فأرسل إليها جارية لها وقال : قولي لابنة عمي يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المسور المطحول ، وأنا ابن عمك وأحقُّ بك ، وإن تزوجتُ بك ملأتُ بيتك خيراً ، وحركتُ أيراً . فتزوجته فبنى بها بالحيرة ومهدت له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنى بها عن تسع . قال : فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص فديتك ! قد كملت في كل شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره إن بشرًا بعث إليها عُمر بن عُبيد الله بن معمر يخطبها عليه ، فقالت له : يا مصارع قلة ! أما وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمك غيرك ! فأين بك عن نفسك؟! قال : أو تفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوجها . وقال مصعب الزبيري في خبره : لما بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنك الليلة ، فلم يصنع إلا واحدة . فقالت له لما أصبح : قم يا قتال . قال : وقالت له حينئذ :

قد رأيناك فلم تحلُّ لنا وبلوناك فلم نرض الخبيرُ
وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزبيري وعصية . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غير ما حكاه وهو ما سبق .

[ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبید الله]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي أن عمر بن

عبيد الله لما قَدِمَ الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألفِ درهم مهراً وخمسمائة ألفِ هديّة ، وقال لمولاتها : لك عليّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلة . وأمر بالمال فحُمِلَ فألقي في الدار وغطّي بالثياب . وخرجت عائشة فقالت لمولاتها . أهذا فرشٌ أم ثياب ؟ قالت : انظري إليه ، فنظرتُ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءٌ من حمل هذا أن يبيتَ عزباً ؟ قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزّين له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ؟ فوجهك والله أحسنُ من كلِّ زينة ، وما تمُدّين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليك أن تأذني له . قالت : افعلي . فذهبتُ إليه فقالت له : بتّ بنا الليلة . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأذنيّ إليه طعاماً فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان ، وغسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضأ ، وقام يصلي حتى ضاق صدري وِنمتُ ، ثم قال : أعلّيكم إذن ؟ قلت : نعم ، فادخل ، فأدخلته وأسبلتُ السترَ عليهما . فعددتُ له في بقية الليل على قلّتها سبعَ عشرة مرّة دخل المتوضأ فيها . فلما أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ والله ما رأيتُ مثلك ، أكلتُ أكلَ سبعة ، وصليتُ صلاةَ سبعة ، ونكّتُ نيكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على منكبِ عائشة ، فضجكتُ وغطتُ وجهها وقالت :

قد رأيناك فلم تحلّ لنا وبلوناك فم نرضَ الخبرَ
ويدلّ أيضاً على بطلان خيره أنه لما مات نديته قائمة ، ولم تندب أحداً من أزواجها إلا جالسةً فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمهم عليّ وأمسهم رجماً بي ، وأردتُ ألا أتزوج بعده . وكانت نُدبَةُ المرأة زوجها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها . أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلام . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها

[في خلوتها مع عمر]

قال المدائنيّ في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحيت ، ودخل عمر بن عبّيد الله ، وكنتُ بحيثُ أسمع كلامهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا ننشهيّ لهذه الفحول بكلّ ما حرّكها وكلّ ما قدرنا عليه .

[ندم ضررتها بعد أن رأتها متجرّدة]

قال المدائنيّ : وحدثني مسلمة بن محارب قال : قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلْفٍ -

وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنة طلحة الجود - لمولاة لعائشة بنت طلحة : أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم . فأخبرت عائشة بذلك . قالت : فإنني أتجرد ، فأعلميها ولا تعرفيها أتني أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة ، فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم ، وقالت : لو ددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها . قال : وكانت رملة قد أسنت ، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف . وفيها وفي عائشة يقول الشاعر :

انعم بعائش عيشاً غير ذي رتقٍ وانيد برملة نبذ الجورب الخلق
ويقال : إن رملة قد أسنت عند عمر بن عبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيام إقراءها ثم تغتسل ،
تريه أنها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حيضها . فقال في ذلك بعض الشعراء : [من الخفيف]
جعل الله كل قطرة حيضٍ قطرت منك في حماليق عيني
[أخبارها مع عمر بن عبيد الله]

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة .

وذكر هارون بن الزيات عن أبي محلم عن أبي بكر بن عياش قال : قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفس : ما مر بي مثل يوم أبي فديك¹ . فقالت له : اعدد أيامك واذكر أفضلها ، فعدت يوم سجستان ويوم قطري بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه . قال : وأي يوم ؟ قالت : يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر . تريد قبح وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثماني سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين ، فتأيمت بعده ، فخطبها جماعة فردتهم ، ولم تتزوج بعده أحداً .

قال المدائني : كان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها : انفضي التراب عني . فأخذت مندبلاً تنفض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حماد بن جميل حدثني القحذمي قال : كانت عائشة بنت طلحة من أشد الناس مغايظة لأرواجها ، وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء

1 أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، قُتل في معركة مع جيش عبد الملك بن مروان سنة 73 هـ .

الأمير ضَمَّتْ عليها مِطْرَفَهَا وَقَطَّبَتْ . وكانت كثيراً ما تَصِفُ لعمر بن عبِيد الله مصعباً وجماله ، تَغِيْظُه بذلك فيكاد يموت .
[طلبت من الوليد بن عبد الملك أَعواناً حين حَجَّتْ]

وقال المدائنيّ حَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بن مُحَارِبٍ وَعُبَيْدُ الله بن فائِد ، وَأَخْبَرَنَا به جَرْمِيّ عن الزبير عن عمّه ومحمد بن الضحّاك ، قالوا : دخلتُ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، مُرِّي بأَعوانٍ . فُضِمَ إليها قوماً يكونون معها ، فحجّتَ ومعها ستون بغلاً عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرض لها عروة بن الزبير فقال : [من الرجز]

عائشُ يا ذاتَ البغالِ السِّتِينُ أَكُلُّ عامٍ هكذا تَحْجِينُ
فأرسلتُ إليه : نَعَمْ يا عُرَيَّةَ ، فَتَقَدَّمْ إن شئتَ ؛ فكفَّ عنها . ولم تتزوج حتى ماتت .
[حجّت مع سكيبة بنت الحسين]

وقال غير المدائنيّ : إنَّ عائشة بنت طلحة حجّت وسكينة بنت الحسين عليهما السلام معاً ، وكانت عائشة أحسنَ آله وثَقلاً¹ . فقال حادياها : [من الرجز]

عائشَ يا ذاتَ البغالِ السِّتِينُ لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحْجِينُ
فشقّ ذلك على سَكِينَةَ . ونزل حادياها فقال : [من الرجز]
عائش هذي ضرةٌ تشكوك لولا أبوها ما اهتدى أبوك
فأمرتُ عائشةَ حادياها أن يكفَّ فكفَّ .

[بهر موكبها في الحج عاتكة بنت يزيد]

وقال : إسحاق بن إبراهيم في خبره حَدَّثَنِي محمد بن سلام عن يزيد بن عياض قال : استأذنتُ عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحجِّ ، فأذن لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري ؛ فإنَّ عائشة بنت طلحة تَحُجُّ ، ففعلتُ فجاءت بهيمة جهدتُ فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا موكبٌ قد جاء فضغطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألتُ عنها فقالوا : هذه خازنتها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشة عائشة ، فضغطهم ، فسألتُ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القبابُ والهوادجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

[كبير عجيزتها مثار العجب]

وقال هارون بن الزيات حَدَّثَنِي قَبِيصَةُ عن ابن عائشة عن أمّه عن سلامة مولاة جدّته أثيلة

بنت المُغيرة بن عبد الله بن معمرٍ قالت :

زُرْتُ مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفة¹ ، فرأيتُ عجيزتها من خلفها وهي جالسةٌ كأنها غيرها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلم ما هي ، فلما وجدتُ مسَّ أصبعي قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلْتُ فداءك ! لم أدِر ما هو ، فجنحتُ لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مِمَّا عَجِبْتَ منه .

[إعجاب أبي هريرة بجمالها]

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُربينة عن أبيه عن جدّه : أنّ عائشة نازعتُ زوجها إلى أبي هريرة ، فوقع خمارها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحَانَ اللَّهِ ؛ ما أحسنَ ما غَدَّكَ أَهْلُكَ ! لكأنّما خرجتِ من الجنة !!

[إعجاب مَنْ بمجلس هشام بعلمها]

قال ابن عائشة وحدثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحة وَفَدَتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفدَكَ ؟ قالت : حَبَسْتِ السماءَ المطرَ² ، وَمَنَعَ السلطانَ الحقَّ . قال : فَإِنِّي أَبُلُّ رَحِمَكَ وَأَعْرِفُ حَقَّكَ ، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمروا عندي الليلة فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجمٌ ولا غارَ إلا سَمَّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أَيْنَ لك ؟ قالت : أخذتها عن خالتي عائشة . فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة .

[مرّ بها النُميري الشاعر فاستنشدته وخيره معها]

أخبرني عمِّي عن الكُراني عن المُغيرة بن محمد المهلبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزازي قال : لما تَأَيَّمَتِ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزه وتجلس فيه بالعشيات ، فتناضل بين الرُماة . فمرّ بها النُميريّ الشاعر ، فسألتُ عنه فنُسب لها ، فقالت : اتُّونِي به . فقالت له لما أتوها به : أُنشِدْنِي ممَّا قلتَ في زينب³ . فامتنع وقال : ابنةُ عمِّي وقد صارتُ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لِمَا فعلتَ . فأنشدها قوله : [من الطويل]

نزلنَ بفَخٍّ ثمَّ رُحْنَ عشيّةً يُلبّينَ للرحمنِ مُعتمِرَاتٍ⁴

1 وصيفة : جارية شابة .

2 ل : القطر .

3 هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

4 فخ : وادٍ بمكة . الاعتمار : القصد والزيارة .

يخبُّن أطرافَ الأُكُفِّ من التَّقَى ويخرجن شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ¹
ولمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
تَضَوِّعُ مِسْكَاً بَطْنَ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قَلَّتْ إِلَّا جَمِيلاً ، وَلَا وَصَفَتْ إِلَّا كَرَمًا وَطِيَابًا وَتُقَى وَدِينًا ، أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ . فَلَمَّا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى تَعَرَّضَ لَهَا ، فَقَالَتْ : عَلِيٌّ بِهِ فَجَاءَ . فَقَالَتْ : أَنْشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبٍ . فَقَالَ : أَوْ أَنْشِدُكَ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ فِيكَ ؟ فَوَثَبَ مَوَالِيهَا ، فَقَالَتْ : دَعُوهُ ؛ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ لَابِنَةَ عَمِّهِ ، هَاتِ . فَأَنْشَدَهَا :

ظَعَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَوَا بِلُبِّكَ مَطْلَعِ الشَّرْقِ
وَتَوَدُّ تَثْقِيلَهَا عَجِيزَتُهَا نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوِي بِالْوَسْقِ
مَا صَبَّحَتْ زَوْجًا بَطَّلَعَتَا إِلَّا غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ²
فُرْشِيَّةٌ عَبَقَ الْعَبِيرُ بِهَا عَبَقَ الدَّهَانُ بِجَانِبِ الْحُقِّ
بِيضَاءٍ مِنْ تَيْمٍ كَلِفَتْ بِهَا هَذَا الْجَنُونَ وَلَيْسَ بِالْعَشَقِ

قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَمِيلاً ، ذَكَرَ أَنِّي إِذَا صَبَّحَتْ زَوْجًا بُوَجَّهِي غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ ، وَأَنِّي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ . أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَاكْسُوهُ حُلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعُدُّ لِأَتْيَانِنَا يَا نَمِيرِيُّ .

[أَخْرَجَ الْحَارِثُ بِنَ خَالِدِ الصَّلَاةِ لِنَتَمَّ طَوَافَهَا]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ : أَنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَّى الْحَارِثَ بْنَ خَالِدِ عَلَى مَكَّةَ . فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، وَخَرَجَ لِلصَّلَاةِ ، فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ : قَدْ بَقِيَ مِنْ طَوَافِي شَيْءٍ لَمْ آتِهِ ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُهَا ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَكَفَّ عَنِ الْإِقَامَةِ ، فَفَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَعَزَلَهُ . فَقَالَ : مَا أَهْوَى وَاللَّهِ غَضَبَهُ وَعَزَلَهُ إِيَّايَ عَلِيٌّ عِنْدَ رِضَاهَا عَنِّي .

[كَانَتْ مَعَانَا بِعَجِيزَتِهَا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : قَالَ سَلْمٌ بْنُ قُتَيْبَةَ : رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ بَعْنَى أَوْ مَسْجِدِ الْخَيْفِ ، فَسَأَلْتَنِي مَنْ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : سَلْمٌ بْنُ قُتَيْبَةَ . فَقَالَتْ : رَحِمَ اللَّهُ مَصْعَبًا ؛ ثُمَّ ذَهَبَتْ تَقُومُ وَمَعَهَا امْرَأَتَانِ تَنْهَضَانِهَا ، فَأَعْجَزَتْهَا أَلْيَتَاهَا مِنْ عَظْمَهُمَا ، فَقَالَتْ : إِيَّايَ

1 الاعتجار : لِي الثَّوْبِ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدَارَ تَحْتَ الْحَنْكِ .

2 زَوْجًا فِي ل : وَجْهًا .

بكما لَمُعْنَةً ، فذكرتُ قولَ الحارثِ :

[من الكامل]

وتنوءُ تُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا
نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوِءُ بِالْوَسْقِ

وروى هذا العُخْبَرَ هَارُونَ بْنُ الزُّيَّاتِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو بْنُ خَلَّادٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْكَ إِلَّا مَعَاوِيَةَ أَوَّلَ يَوْمٍ خَطَبَ عَلِيٌّ مِنْبِرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النارِ في الليلةِ القَرَّةِ في عينِ المَقْرورِ .

[ردتُ أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال : كتب أبان بن سعيدٍ إلى أخيه يحيى يعظُبُ عليه عائشة بنتَ طلحة . ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أيلة ؟ قال : أراد العزلة . قالت : اكتبُ إلى أخيك : [من الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لِأَنْتَ ضَائِرٌ
عَدُوًّا وَلَا مُسْتَنْفَعٌ بِكَ نَافِعٌ

صوت

[من الطويل]

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عِطَاءَهُ
صَنِيعَةٌ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تُوَامِقُهُ
مَنْعَتٌ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ
فَلَمْ يَفْتَلِتْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ¹

عروضه من الطويل . توامقه : تفاعله من الموامقة ، أي تودّه ويودّك ؛ يقال وَمَقَّتْهُ أَمِقُهُ أَي أَحْبَبْتُهُ . ويفتلتك أي يُخْرِجُهُ مِنْ يَدِكَ وَقَبَضَتِكَ . الشعر لكثير . والغناء لمالك بن أبي السَّمْحِ ، ويقال إنه للهذلي ، خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبصر .

[عمران الطلحي يمثل بيتين لكثير]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله قال حدّثني أبو معمرٍ عافية بن شيبَةَ قال حدّثني العُتْبِيُّ قال : أفلس صَيْرَفِيُّ بِالْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ لَهُ ، فَمَرُّوا بِابْنِ عِمْرَانَ الطَّلْحِيِّ وَقَدْ فَتَحَ بَابَهُ وَاجْتَمَعَ لَهُ أَصْحَابُهُ ، فَسَأَلُوهُ ، فَفَرَعَ بِمِخْرَصَتِهِ² ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عِطَاءَهُ
صَنِيعَةٌ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تُوَامِقُهُ

1 حقائقه : أي حقوقه .

2 المخصرة : ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه .

بَخِلْتَ وَبِعَضُ الْبُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقَهُ
 إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا نَتَدَقَّقُ فِي الْبَاطِلِ ، وَإِنَّا لَنَا لِحَقُوقًا تَشْغَلُ فَضُولَ أَمْوَالِنَا ،
 وَمَا كُلُّ مَنْ أَفْلَسَ مِنْ صَيَارِفَةِ الْمَدِينَةِ قَدَرْنَا أَنْ نَجْبِرَهُ ؛ قَوْمُوا . قَالَ : فَقُمْنَا نَسْتَبِقُ الْبَابَ .
 [الأبرش يمثل أمام هشام ببتي كثير]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلمة¹ المدني
 قال أخبرني أبي قال : كان رجلاً من الأنصار من بني حارثة مُمْلِقاً ليس في ديوان ولا عطاء ،
 وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوماً : إن أمير المؤمنين مسابقٌ غدأ بين
 الخيل ، وقد أمرت الحرس ألا يعرضوا لك حتى تكلمه . قال : فسبق هشاماً يومئذ ابن له ،
 وكان السبق يشتد عليه . فعرض له الأنصاري فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤ من الأنصار ،
 وقد بلغت هذه السن ولست في ديوان . فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعل . قال : فأقبل
 عليه هشام فقال : والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ، ثم أقبل على
 الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جمعة
 يقول :

إذا المال لم يُوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو خليل تواقه
 منعت وبعض المنع حزم وقوة فلم يفتلك المال إلا حقائقه

* * *

[من شعر عمرو بن شاس]

صوت

[من الطويل]

فواندَمي على الشبابِ وواندَمُ ندمتُ وبان اليوم مني بغير ذم
 وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
 أرادت عِراراً بالهوان ومن يُردُّ عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلّم
 فإن كنت مني أو تريدن صُحْبتي فكوني له كالسمن ربت له الأدم
 وإلا فبيني مثل ما بان راكبٌ تيمم خمساً ليس في ورده يتم²

1 ل : أبو سلمة .

2 فيج دهان الحماسة :

فَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تَعَايَنَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشَّيْمَ
وَأَنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمُنْكَبِ الْعَمَمِ
وَأَنِّي لِأَعْطِي غَثَّهَا وَسَمِينَهَا وَأَسْرِي إِذَا مَا اللَّيْلُ ذُو الظُّلْمِ أَذْلَهُمُ
جِدَاراً عَلَى مَا كَانَ قَدَمُ وَالِدِي إِذَا رَوَّحْتَهُمْ حَرَجَفْتُ تَطْرُدُ الصَّرْمَ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن شأس الأسدي . والغناء في الأول والثاني من الأبيات لمعبد ، ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق . وذكر عمرو أن فيها لملك خفيف رملٍ بالنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سريج ثاني ثقيلٍ بالنصر عن حبش ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنه لسليم . الشامخ : الذي يشمخ بأفنه زهواً وكبراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمة : الطبيعة . رُبَّتْ¹ له : يعني للسَّمْنِ فلا تُفسده . والأدْمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أدمٌ ، كما يقال أفيقٌ وأفقٌ² . واليَتِيمٌ³ : الغفلة والضَّيعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختلج عن أمه . والعرب تقول : « لا تخلج الفصيلَ عن أمه ، فإنَّ الذئبَ عالمٌ بمكان الفصيل [اليتيم] » . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللجام ، وجمعها شكائم . قال عُوَيْفُ القَوافي :

أَقُولُ لِفِتْيَانِ كِرَامٍ تَرَوَّحُوا عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَهِهِ الشُّكَايِمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْنُ : الأسود والأبيض أيضاً ؛ وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَمِيمٌ . وامرأةٌ عَمِيمَةٌ ، ونخلٌ عَمِيمٌ ، ونبتٌ عَمِيمٌ . والسُّرَى : السيرُ ليلاً . وادلهمٌ : اشتدَّ سواده . والحَرَجَفُ : الريحُ الشديدة الباردة . والصَّرْمُ : جمع صرمةٍ وهي القطعة من الإبل يعني أن هذه الريح إذا هبت طرد الرعاء الإبل إلى مراحها وأعطانها فتسكن فيها .

1 الرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره .

2 الأفيق والأديم : الجلد المدبوغ .

3 قيل معنى اليتيم هنا : الإبطاء .

[187] - نسب عمرو بن شأس¹ وأخباره

في هذا الشعر وغيره

[نسبه]

هو عمرو بن شأس بن عبِيد بن ثعلبة بن ذُؤَيْبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أُسد بن خزيمة . وهذا الشعر يقوله في امرأته أمَّ حَسَّان وابنه عِرار بن عمرو ، وكانت تُؤذيه وتعيِّره بسواده .

[شعر يخاطب به امرأته التي تؤذي ابنه عراراً]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابيّ : كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه ، ويقال لها أمُّ حَسَّان ، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أمة له سوداء ، وكانت تعيِّره وتؤذي عِراراً وتشتمه ويشتمها . فلما أُعيِتَ عمراً قال فيها :

بدافقة الحومانِ فالسَّنحِ من رَمَمٍ²
 خلّاتقَ تُوْبِي في الثَّراءِ وفي العَدَمِ
 إذا الحَبْلُ من إحدى حَبائبي انصَرَمَ
 عليه وإيقاعي المَهْدَ بالعِصَمِ³
 وأسْري إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادْهَمَ
 مَنائِرُ مِلحٍ في السُّهولِ وفي الأَكَمِ⁴
 إذا رَوَّحتهم حَرَجَفَ تطرُدُ الصَّرَمِ
 وأوصالُه من غيرِ جُرْحٍ ولا سَقَمِ⁵
 مُعْتَقِيه صهباءِ راووقها رَدَمِ⁶

ديارِ ابنةِ السَّعْدِيِّ هِيه تَكَلَّمِي
 لَعَمْرُ ابنةِ السَّعْدِيِّ إِنِّي لَأَتَّقِي
 وقفتُ بها ولم أكن قبلُ أرتجي
 وإنِّي لُمزِرٍ بِالطَّيِّ تَنَقَّلِي
 وإنِّي لأُعْطِي غَثَّها وَسَمِينَهَا
 إذا الثلجُ أضْحى في الديارِ كأنه
 حِذاراً على ما كان قَدَمِ والدي
 وأترك نَدْماني يَجُرُّ ثِيَابَه
 ولكنَّها من رِيَّةٍ بعد رِيَّةٍ

1 انظر أخباره في : ابن سلام الجمحي 46-47 والشعر والشعراء 1/425-426 والمرزباني 212-213 واللابي 750-751 .

2 هيه : للاستزادة . والحومان ورم : موضعان .

3 مزر : مستخف متهاون . العصم : القلائد ، واحدها عصمة .

4 منائر جمع منثر وهو اسم مكان من نثر .

5 الأُرصال : المفاصل ، واحدها وصل .

6 راووق الخمر : ناجودها الذي ترووق فيه . الرذم : ممتلئ .

من العانيات من مُدامٍ كأنها
 وإذا إخوتي حولي وإذا أنا شامخٌ
 ألم يأتها أنني صَحَوْتُ وأنتي
 وأطرقتُ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يرى
 وقد علمتُ سعدٌ بأنِّي عميدُها

يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهضمُّه فيطلبني بمثل ذلك ، أي أرفع نفسي عن هذا .

خزيمَةُ رَدَّاني الفَعَالِ وَمَعَشَرٌ
 إذا ما وَرَدْنَا الماءَ كانت حُماتَه
 أرادتُ عِراراً بالهوانِ ومن يُرِدُ

[طَلَّقَ امرأته ثم ندم وقال شعراً]

وذكر باقيَ الأبيات . قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشَّيبانيّ : فجهد عمرو بن شأس أن
 يُصلح بين ابنه وامرأته أمَّ حَسَّان فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلما رأى ذلك
 طَلَّقها ، ثم ندم ولام نفسه ؛ فقال في ذلك :

تَذَكَّرَ ذِكْرِي أُمُّ حَسَّانَ فاقشَعَرَّ
 فكِدْتُ أذوقُ الموتَ لو أنَّ عاشقاً
 تذكَّرتُها وهنأُ وقد حال دونها
 فكنتُ كذاتِ البؤِّ لما تذكَّرتُ
 حِفْظاً ولم تنزِعْ هَوايَ أثيمَةً

على دُبُرٍ لَمَّا تَبَيَّنَ ما ائتمَرُ⁵
 أَمَرَ بِمُوساهِ الشوارِبِ فانتهَرُ⁶
 رِعانٌ وقيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجرُ⁷
 لها رُبَعاً حَتَّى لِمَعْهَدِهِ سَحَرُ⁸
 كذلك شأُو المرءِ يَخْلِجُهُ القَدْرُ

- 1 العانيات : الأسيرات .
- 2 عرم عرامة وعراماً : إذا اشتدَّ .
- 3 الشجاع : الحيَّة الذكور . وأزم : عضَّ .
- 4 رَدَّاني : ألبسني . سورة المجد : منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .
- 5 ائتمر : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطيء أخرى .
- 6 الشوارب : عروق في الحلق .
- 7 الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر الليل . ورعان : جمع رَعن وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل .
- 8 البؤ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والرَّبع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول التاج .

قال ابن الأعرابي: الأئيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: [لم] تنزع الأئيمة هواي. تخلّجه: تصرفه. شأؤه: همّه ونيتّه. قال وقال فيها أيضاً: [من الطويل]

ألم تعلمي يا أمّ حسان أنني إذا عبّرة نهنهتها فتخلّت¹
رجعت إلى صدر كجرّة حنتم إذا قرعت صيفراً من الماء صلّت²

[خبر ابنه عرار مع عبد الملك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق بن محمد بن سلام، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن سلام: لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج، جعل عبد الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً: [من الطويل]

وإنّ عراراً إن يكن غير واضح فإنني أحبّ الجون ذا المنكب العمم
فضحك عراراً من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مِمّ ضحكك ويحك؟! قال:
أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال لا. قال: أنا والله هو. فضحك
عبد الملك ثم قال: حظّ وافق كلمة، وأحسن جائزته وسرّحه.

[شعره في قتل ملك من غسان]

وقال الطوسي: أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدي وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمير الغساني على بني أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعد عدياً، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حذار أخوا ربيعة، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضير إحدى بني فراس بن غنم وهي التي يقال لها مقيدة الحمار. فقالت فاتحة بنت عدي:

لعمرك ما خشيتُ على عدي
ولكنني خشيتُ على عدي

رماح بني مقيدة الحمار
رماح الجنّ أو إياك حار

تعني الحارث بن أبي شمير خاله.

قَتِيلُ ما قَتِيلُ ابْنِي حُذَارِ
بَعِيدُ الهَمِّ طَلَاغُ النَّجَارِ

ويروى: «جواب الصحاري». فقال عمرو بن شأس في ذلك: [من الطويل]

1 نهنهتها: كفتها.

2 كجرة في ل: كطسة. والحنتم: جرار خضر تضرب إلى الحمرة. وصلّت: صوتت.

صوت

متى تَعْرِفِ العَيْنانِ أَطْلالَ دُمْنَةٍ لليلِ بأعلى ذِي مَعارِكِ تَدَمَعاً¹
 على النَحْرِ والسَّرْبالِ حَتَّى تَبْلَهُ سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدَّارِ مَجْرَعاً
 خَليلِيَّ عُوْجا اليَوْمِ نَقْضِ لُبَانَةٍ وإلّا تَعُوْجا اليَوْمِ لا نَنْطَلِقُ مَعاً
 وإن تَنْظُراني اليَوْمِ أَتَبْعُكما غداً قِيادَ الجَنِيبِ أو أذلَّ وأطوعاً

وهي قصيدة . غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّل بالوسطى عن الهشامي . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سودوا ، وهي في غير هذا الموضع الحقد ؛ يقال : في صدره عليّ إحنة ، وترّة ، وضبّ وحسيكة ، ودمنة . وعوجا : احبسا وتلبثا ، عاج يعوج عجاجاً . وما أعيج بكلامك أي ما ألفت إليه . واللبانة : الحاجة ؛ يقال : لي في كذا لبانة ولبونة ولماسة ، ووطرّ ، وحوّجاء ممدودة . وقوله « لا ننتلق معاً » ، يقول إن لم تقفا تأخرت عنكما ففترقنا . وتنظراني تنظراني ، يقال نظرته أنظره ، وأنظرته أنظره ، إنظراً ونظرة أيضاً إذا أخرته ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَانظُرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . والجنيب : المجنوب من فرس وغيره ، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رثته من شدة العطش .

[شعره في خطبة ابنة مجاوره]

وقال الطوسي قال الأصمعيّ : جاور رجلٌ من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطبها عمرو إلى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لأنني أكره أن يقول الناس غصبه أمره ، ولكن إذا أتيتُ قومي فاخطبها إليّ أزوّجكها . فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً إلا أن يصيبها مسيبة . فلما ارتحل أبوها همّ عمرو بغزو قومها ، فسار في أثر أبيها . فلما وقعت عينه عليه وظفر به استحميا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه . فلما رآها رجع مستحياً متدمماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ؛ فقال في ذلك :

صوت

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أماننا كفى لمطايانا بوجهك هاديا
 أليس يزيدُ العيسَ خيفةً أذرعٍ وإن كُنَّ حَسْرَى أن تكوني أمامياً²

1 ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .

2 الحسرى : جمع حسير وهي الدابة المتعبة .

ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى
ونحن بنو خير السباع أكيلاً
بنو أسدٍ ورْدٍ يشقُّ بنايه
متى تدعُ قيساً أدعُ حنْدِفَ إنهم
لنا حاضرٌ لم يحضرِ الناسُ مثله
الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقليلٍ في الأوّل والثاني من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

[ابن سيرين ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوبٍ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا
الحِزَامِيّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْدِ بن أبي رُهْمٍ قال : قلت لابن سيرين :
ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ . حسنه حسنٌ ، وقيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول في
النَّسِيبِ ؟ قال : لعلك تريد مثلَ قول الشاعر :

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديا
ليس يزيد العيسَ حِقَّةً أذرعُ وإن كُنَّ حَسْرَى أن تكوني أماميا
قال : وأراد بإنشاده إياها أنّك قد رأيتني أخفظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إياه ، فلو
كان به بأسٌ ما أنشدته .

صوت

[من الطويل]

فإن تَكُنْ القَتْلَى بَوَاءَ فَإِنكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بنِ عَامِرِ
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِّيةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ كَيْثِ بَخْفَانَ خَادِرِ
عروضه من الطويل . البواء بالباء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ ببواء ، أي ما هو له
بكفء أن يُقتل به . و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة . وآل عوف نداء . وبخفان : موضع
مشهور . وخادر : مقيم في مَكَمَنِهِ وغيَلِهِ ، وهو مأخوذ من الخدر² .

الشعر لليلي الأخيالية ترثي توبة بن الحمير . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، رملٌ
بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وفيه لإبراهيم خفيف ثقليلٍ بالوسطى عن حبش . وفي هذه
القصيدة عدّة أغانٍ تُذكرُ مع سائر ما قاله توبة في ليلي وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر
في مقتله إن شاء الله تعالى .

1 أحربه : أي أحرب السباع ، أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفرس الناس .

2 من معاني الخدر : أجمّة الأسد .

[188] - ذكر ليلي ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها¹

وخبر مقتله

[نسب ليلي الأخيلىة]

هي ليلي بنت عبد الله بن الرِّحَال ، وقيل ابن الرحالة ، بن شدَّاد بن كَعْب بن معاوية ، وهو الأَخْيَل وهو فارس الهَرَّار ، ابن عُبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدِّمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحمير يهواها .
[كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه]

وهو توبة بن الحمير بن حَزْم بن كعب بن خَفَاجَة بن عمرو بن عَقِيل .
أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حَبِيب بن نصر المَهَلْبِي قالَا حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد الورَّاق قال حَدَّثَنَا محمد بن عليّ أبو المغيرة قال حَدَّثَنَا أبي عن أبي عبيدة قال حَدَّثَنِي أنيس بن عمرو العامريّ قال : كان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية ، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث ، وكان يتعشق ليلي بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر ، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم ير منها إليه بشاشة ، فعلم أن ذلك لأمر ما كان ، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بني الأدع أنه أتاها فتبعوه فقاتهم . فقال توبة في ذلك : [من الطويل]
نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها²
وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنت إذا ما جئت ليلي تبرعت فقد رأيتي منها الغداة سُفورها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال : كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلي الأخيلىة خرجت إليه في بُرُقع . فلما شهِر أمره شكوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاهم . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه . فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رُصد ، وأنها سَفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجأ . وذلك قوله : [من الطويل]

1 وردت ترجمتها في الشعر والشعراء 1/448-451 ، وثمة ذكر لها في ترجمة توبة بن الحمير 1/445-447 وفي الأمالي 1/86-89 .

2 النوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر ، ومثله النية . واستمر : استحکم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة .

ركنتُ إذا ما جئتُ ليلي تبرقتُ فقد رأيتني منها الغداة سفورها
قال أبو عبيدة وحدثني غير أنيس أنه كان يُكثر زيارتها ، فعاتبه أخوها وقومها فلم يُعَبِّ¹ ،
وشكَّوه إلى قومه فلم يُقَلِّع ، فتظلموا منه إلى السلطان فأهدر دمه إن آتاهم . وعلمتُ ليلي بذلك ،
وجاءها زوجها وكان غيورا فحلف لئن لم تُعلِّمه بمجيئه ليقتلنها ، ولئن أذرتَه بذلك ليقتلنها .
قالت ليلي : وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه ، فرصدوه بموضع ورصدته بآخر ، فلما أقبل
لم أقدر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البرقعَ عن رأسي . فلما رأى ذلك أنكره فركب
راحلته ومضى ففاتهم .

[ضافها رجل من بني كلاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن
بكر قال حدثني أبو زياد الكلابيُّ قال : خرج رجلٌ من بني كلابٍ ثم من بني الصحمة بيتغي
إبلاً له حتى أوْحَشَ وأرْمَلَ² ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيتٍ بوادي ، فأقبل حتى نزل حيث
ينزل الضيفُ ، فأبصر امرأةً وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحدٌ . فلما كان بعد هذاةٍ من
الليل سمع جرجرةً إبلي راحيةً ، وسمع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت ، ثم
تقدّم فسمع الرجلُ يُناجي المرأةَ ويقول : ما هذا السوادُ حذاءك ؟ قالتُ : راكبٌ أناخ بنا حين
غابتِ الشمسُ ولم أكلمه . فقال لها : كذبتِ ، ما هو إلا بعضُ خلانك ، ونهض يضربها وهي
تناشده . قال الرجلُ : فسمعته يقول : والله لا أترك ضربك حتى يأتيَ ضيفك هذا فيُعَيْتَكَ .
فلما عيلَ صبرها قالت : يا صاحبَ البعير يا رجلُ ؛ وأخذ الصحمي هراوته ثم أقبل يُحْضِرُ³
حتى أتاه وهو يضربها ، فضربه ثلاث ضرباتٍ أو أربعاً ، ثم أدركته المرأةُ فقالت : يا عبد
الله ، ما لك ولنا ؟ نَحُّ عتّا نفسك ، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظنَّ أنه
قتل الرجل وهو لا يدري من الحيِّ بعدُ ، حتى أصبح في أخبية من الناس ، ورأى غنماً فيها أمةٌ
مولدةٌ ، فسألها عن أشياء حتى بلغَ به الذكر ، فقال : أخبريني عن أناسٍ وجدتهم بشعبٍ
كذا . فضحكَّت وقالت : إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالمٌ . فقال : وما ذاك لله بلادك ؟
فوالله ما أنا به عالمٌ . قالت : ذاك خِباء ليلي الأخيلىة ، وهي أحسنُ الناس وجهاً ، وزوجها
رجلٌ غيورٌ فهو يعزب بها عن الناس فلا يحلُّ بها معهم ، والله ما يُقْرِبُها أحدٌ ولا يَضِيفُها ،
فكيف نزلت أنت بها ؟ قال : إنما مررتُ فنظرتُ إلى الخِباء ولم أقرِّبه ، وكمها الأمر .

1 ل : لم يرضهم .

2 أوْحَشَ هنا : جاع . وأرْمَلَ : نفذ زاده .

3 الإحضار : العدو .

وتحدّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يُدرَ من هو . فلما أخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال :

[من الوافر]

ألا يا ليلَ أُختِ بني عُقيلٍ أنا الصّحْمِيُّ إن لم تعرّفيني
دعّني دعوةً فحجّرتُ عنها بصكّاتٍ رفعتُ بها يميني¹
فإن تكُ غيرَ أُبرئكَ منها وإن تكُ قد جُننتَ فذا جُنوني

[سأله الحجاج عن توبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا رشد بن حاتم الهلاليّ قال حدّثني أيّوب بن عمرو عن رجل يقال له ورّقاء قال : سمعتُ الحجاج يقول لليلى الأخيلىّة : إن شبّاك قد ذهب ، واضمحلّ أمرُك وأمر توبة ؛ فأقسم عليك إلا صدّقني ، هل كانت بينكما ربيّة قطّ أو خاطبك في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيّها الأمير إلاّ أنّه قال لي ليلةً وقد خلّونا كلمةً ظننتُ أنّه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلتُ له :

[من الطويل]

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبخُ بها فليس إليها ما حبيّت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغٌ وحليلُ

فلا والله ما سمعت منه ربيّة بعدها حتى فرّق بيننا الموت . قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عبادة بن عُقيل فاعلُ شرفاً ثم اهتف بهذا البيت :

[من الطويل]

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً من الدهر لا يسري إليّ خيالها

[من الطويل]

فلما فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له :

وعنه عفا ربّي وأحسنَ حفظه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالها

[من الطويل]

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع في قصيدة توبة :

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

حمامة بطن الواديين ترّمي سقّاك من العرّ العوّادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء دانٍ بريها²

1 حجرت : دفعت وكفت .

2 البرير : ثمر الأراك .

وأشرفُ بالقَوْزِ اليَفَاعِ لعلني
 وكنْتُ إذا ما جمْتُ ليلي تبرعتُ
 عليّ دِمَاءُ البُذْنِ إن كان بعلها
 وآتي إذا ما زرتها قلتُ يا أسلمي
 وغيرني إن كنتِ لَمَّا تَغَيَّرِي
 وأدماءُ من سِرِّ المَهاري كأنها
 قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تنوفةٍ
 ترى ضَعفاءَ القومِ فيها كأنهم
 دَعاميصُ ماءٍ نَشَّ عنها غدِيرُها⁵

غنى في الأربعة الأبيات الأول فليح بن أبي العوراء ثاني ثقبيل بالبنصر عن عمرو .
 وغنى في الثالث والرابع ابن سريج رملاً بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى المنجم ،
 وذكر غيرهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيح . وغنى فيها الهذلي ثقبلاً أول
 بالبنصر عن حبش . وغنى ابن محرز في «عليّ دماء البذن» والذي بعده خفيف رمل
 بالبنصر عن عمرو . وعن ابن مسجح في :

وغيرني إن كنتِ لَمَّا تَغَيَّرِي

وما بعده لحن ذكر أن عبد الله بن جعفر رواه الأبيات وأمره أن يُغنيَ بها ، أخبرني بذلك
 إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن الكلبي في خبر قد
 ذكرته في أخبار ابن مسجح ، وذكر الهشامي أن اللحن ثقبيل أول بالوسطى .
 [رأى الأصمعي في شعر لتوبة]

حدَّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني محمد بن يعقوب بالأخبار قال حدَّثني مَنْ
 أنشد الأصمعي :

عليّ دماءُ البُذْنِ إن كان زوجها يري لسيّ ذنباً غيرَ أنيّ أزورها

- 1 القوز : الكتيب من الرمل . واليفاع : المشرف .
- 2 البذن : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة .
- 3 الأدمة في الإبل : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والمهاري : جمع مهريّة وهي إبل منسوبة إلى مهرة أو إلى بلد . وسرها : محضها وأفضلها . المهاة : البقرة الوحشية . والصوّار : قطع البقر .
- 4 أجواز : جمع جوز ، وجوز كل شيء وسطه . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . واستنّ : هاج وثار . والمور : الغبار التي تثيره الرياح .
- 5 الدعاميص : دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت . نش : يبس ونضب .

وأنتي إذا ما زرتها قلت يا أسلمي فهل كان في قولي أسلمي ما يضيئها
فقال الأصمعي: شكوى مظلوم، وفعل ظالم.

[مقتل توبة وسببه وكيف كان]

أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن ذرید إجازة عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة، والحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، ورواية أبي عبيدة أتمم واللفظ له. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج مقتل توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عقيل لِحاء¹، ثم إن توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همّام بن مطرف العقيلي في بعض أمورهم. قال: وكان مروان بن الحكم يومئذ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فاستعمله على صدقات بني عامر. قال: فوثب نوز بن أبي سيمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجُرْز² وعلى توبة الدرع والبيضة، فجرح أنف البيضة وجه توبة. فأمر همّام بشور ابن أبي سيمعان فأقعد بين يدي توبة، فقال: خذ بحقلك يا توبة. فقال له توبة: ما كان هذا إلا عن أمرك، ما كان ليبتريء علي عند غيرك. وأمّ همّام صويانة بنت جؤن بن عامر بن عوف بن عقيل، فاتهمه توبة لذلك، فانصرف ولم يقتص منه. فمكثوا غير كثير، وإن توبة بلغه أن ثور بن أبي سيمعان خرج في نفر من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مألهم بموضع يقال له جُرَيْرٌ بَثْلِيث، قال: وبينهما فلاة، فاتبعه توبة في ناس من أصحابه، فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير بن أبي عدي وكان صديقاً لتوبة. فقال توبة: والله لا نظرهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون. فقال لهم سارية: ادرعوا³ الليل؛ فإنني لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلما تعشوا ادرعوا الليل في الفلاة. وأقعد له توبة رجلين ففعل صاحبها توبة. فلما ذهب الليل فرع توبة وقال: لقد اغتررت إلى رجلين ما صنعا شيئاً، وإنني لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذه البلاد، فاقص آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبعث إلى صاحبيه فأتيها، فقال: دُونَكَمَا هَذَا الْجَمَلُ فَأَوْقِرَاهُ مِنَ الْمَاءِ فِي مَرَادَتَيْهِ ثُمَّ اتَّبِعَا أَثْرِي، فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَمَا أَنْ تُدْرِكَانِي فَإِنِّي سَأُنَوِّرُ لَكُمَا

1 الحاء: مصدر للاحه ملاحاة ولحاء إذا نازعه.

2 الجرْز: عمود من حديد.

3 يقال: ادرع الليل وتدرعه إذا دخل فيه يسري، كأنه لبس ظلمته.

إن أمسيتهما دوني . وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى إذا انتصف النهارُ جاوزَ علماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل ترونَ سَمُرَاتٍ إلى جنبِ قُرُونِ بَقَرٍ ؟ ، وقرون بقر مكان هنالك ، فإن ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْرِيَّةِ ، وذلك من أرمى من رَمَى . فمَن له يختلجه¹ دون القوم فلا يَنْدرون² بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فاحذَرْ لا يَضْرِبَنَّكَ ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبين أصحابه فافْعَلْ . فخلَّى طريقَ فرسه في غَمَضٍ³ من الأرض ، ثم دنا منه فحملَ عليه ، فرماه ابن الحَبْرِيَّةِ ، قال : وبنو الحَبْرَةِ ناسٌ من مَذْحِجٍ في بني مَقِيلٍ ، فعمَّرَ فرسَ عبد الله أخي توبة واختل⁴ السهمُ ساقَ عبد الله ، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذرهم ، فجمعوا رِكابهم وكانت متفرِّقَةً . قال وغَشِيهم توبة ومن معه ، فلما رأوا ذلك صَفَوْا رِحالهم وجعلوا السَّمُرَاتِ في نحورهم وأخذوا سلاحهم ودرَقَهم ، وزحف إليهم توبة ، فارتقى القومُ لا يُعْنِي أحدٌ منهم شيئاً في أحد . ثم إن توبةَ وكان يُتْرَسُ⁵ له أخوه عبد الله ، قال : يا أخي لا تُتْرَسْ لي ؛ فإنِّي رأيتُ ثوراً كثيراً ما يرفعُ التُّرْسَ ، عسى أن أوافق منه عند رَفْعِهِ مَرْمَى فأرميه . قال : ففعل ، فرماه توبةَ على حَلَمَةٍ ثديه فصرعه . وجال القومُ فغَشِيهم توبةُ وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفرٍ . ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهمَ عني . قال توبة : ما وضعناه لنتزعه . فقال أصحابُ توبة : انجُ بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا ، فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد مُتْنَا عَطَشًا . قال توبة : كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمتنعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبة : ما أنا بفاعلٍ وما هم إلا عَشيرتكم ، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماءً وأغسلُ عنهم دماءهم وأخيل⁶ عليهم من السَّبَاعِ والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومهم بهم بعمقٍ⁷ . فأقام توبةَ حتى أتته الراويةُ قبل الليل ، فسقاها من الماء وغسلَ عنهم الدماء ، وجعل في أساقهم⁸ ماءً ، ثم خيَّلَ لهم بالثياب على الشجر ، ثم مضى حتى

1 يختلجه : ينتزعه .

2 فلا يندرون بنا : فلا يعلمون .

3 الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض .

4 اختله السهم : أصابه ونفذه .

5 يترس له : يستره بالترس .

6 التخيل هنا : وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع .

7 عمق : موضع .

8 الأساقى : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سقاء وهو وعاء الماء وفي مختار الأغاني «وجعل لهم في أشنانهم

ماء» والأشنان : جمع شن ، وهو القرية الخلق .

طرق من الليل سارية بن عويمر بن أبي عديّ العُقَيْلِيّ فقال : إنا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمراتٍ من قرون بقر ، فأدرِكوهم ، فمن كان حياً فداؤوه ، ومن كان ميتاً فادفِنوه ، ثم انصرف فلحق بقومه . وصبح سارية القوم فاحتلمهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يمت غيره . فلم يزل توبة خائفاً . وكان السليلُ بن ثورِ المقتول رامياً كثيرَ البغي والشرِّ ، فأخبر بغرة من توبة وهو بقنةٍ من قنان الشرفِ يقال لها قنة بني الحمير ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه ؛ فترقى توبة ورجلٌ من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو في الجبل : هأنذا من تبغون فاجتنبوا البيوت . فقالوا : إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خذوا ما استدف¹ لكم من ماله ، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا . ثم إن توبة غزاهم ، فمرّ على أفلت بن حزن بن معاوية بن خفاجة بيطن بيشة . فقال : يا توبة أين تريد ؟ قال : أريد الصبيان من بني عوف بن عقيل . قال : لا تفعل فإن القوم قاتلوك ، فمهلاً . قال : لا أفلح عنهم ما عشت ، ثم ضرب بطن فرسه فاستمرّ به يُحضِر و [هو] يرتجز ويقول : [من الرجز]

تنجُو إذا قيل لها يعاطٍ تنجو بهم من خلل الأمشاط²

حتى انتهى إلى مكانٍ ، يقال له حجرُ الرّاشدة ، ظليل ، أسفله كالعمود ، وأعله منتشر ، فاستظلّ فيه [هو] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبلُ هُبيرة بن السّمين أخي بني عوف بن عقيلٍ واردة ماء لهم يقال له طلوب ، فأخذها وخلقى طريق راعيها ، وقال له : إذا أتيت صدغ البقرة مولاك فأخبره أنّ توبة أخذ الإبل ، ثم انصرف توبة [يطرُد الإبل] . قال : فلما ورد العبدُ على مولاة فأخبره نادى في بني عوف وقال : حتّام هذا ؟ . فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ³ لهم ، فقالت : أروني أثره ، فخرجوا بها فأروها أثره ، فأخذت من ترابه فسافته فقالت : اطلبوه فإنه [سيحبس] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتلاؤموا [بينهم] وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إلا وقد سبقكم . قال : وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كلاب جعل نذارته⁴ وحيس أصحابه . حتى إذا كان بشعب من هضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عم له يقال له قابض بن عبد الله ربيعةً [له] على رأس الهضبة فقال : انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا .

1 استدف : تهيأ وأمكن .

2 يعاطٍ : زجر للإبل ، ويزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

3 تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

4 النذارة : الإنذار .

فقال عبد الله بن الحمير: يا توبة إنك حائن¹، أذكرك الله، فوالله ما رأيت يوماً أشبه بسمرات بني عوف يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه، فأنج إن كان بك نجاة. قال: دعني، فقد جعلت ربيئة ينظر لنا. قال: ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلاً من غني، فقالوا له: هل أحسست في مجيئك أثر خيل أو أثر إبل؟ قال: لا والله. قالوا: كذبت وضربوه. فقال: يا قوم لا تضربوني، فإني لم أجد أثراً، ولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلاً شخوصاً في هاتيك الهضبة، وما أدري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن روية لينظر ما في الهضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا، فحمل أولهم على القوم حتى غشي توبة، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا وقت له، فخلى طريقها، وغشيه² الرجل فاعتنقه، فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن روية فانتقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيد يناشده رحم صفيّة، وصفية أم له من بني خفاجة. وغشي القوم توبة من ورائه فضرِبوه فقتلوه، وعلقهم عبد الله بن الحمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر. قال: فلما فرغوا من توبة لَوُوا على عبد الله بن الحمير فضرِبوا رجله فقطعوها. فلما وقع بالأرض أسرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول: هلموا، ولم يشعر القوم بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عقيل، وولى قابض منهنماً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فأخبره الخبر. قال: فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفعه وضم أخاه. ثم ترفع القوم إلى مروان بن الحكم، فكافأ بين الدمين وحملت الجراحات. ونزل بنو عوف بن عقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام.

[رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة: وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قضاة وختعم ومهرة وبني الحارث بن كعب. وكانت بينهم وبين بني عقيل مغاورات، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يوم منها؛ فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبه القوم، فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حيناً. ثم إنه أغار في المرة الأولى التي قتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل، فوجد القوم قد حذروا فانصرف توبة مُحْفِقاً لم يُصب شيئاً. فمرّ برجل من بني عوف بن عامر بن عقيل متنجساً عن قومه، فقتله توبة وقتل رجلاً كان معه من

1 الحائن: الهالك.

2 غشيه هنا: لحقه وأدركه.

رَهْطِهِ وَاطْرَدَ إِلَيْهِمَا ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِداً يَرِيدُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ جَزْءَ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِلَابٍ ، وَخَرَجَ ابْنُ عَمِّ لُثُورِ بْنِ أَبِي سِمْعَانَ الْمَقْتُولِ ، فَقَالَ لَهُ خَزِيمَةَ : صِرْ إِلَى بَنِي عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ فَأَخْبِرْهُمْ الْخَبْرَ . فَرَكِبُوا فِي طَلَبِ تَوْبَةَ فَأَدْرَكَوهُ فِي أَرْضِ بَنِي خَفَّاجَةَ ، وَقَدْ أَمِنَ فِي نَفْسِهِ فَنَزَلَ ، وَقَدْ كَانَ أُسْرَى يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ ، فَاسْتَظَلَّ بِبُرْدِيهِ وَأَلْقَى عَنْهُ دِرْعَهُ وَخَلَّى عَنْ فَرْسِهِ الْخَوْصَاءَ تَتَرَدَّدُ قَرِيباً مِنْهُ ، وَجَعَلَ قَابِضاً رَيْبَةً لَهُ وَنَامَ ، فَأَقْبَلَتْ بَنُو عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ مُتْقَاطِرِينَ لِللَّاءِ يَفْطِنُ لَهُمْ أَحَدٌ ، فَنَظَرَ قَابِضٌ فَأَبْصَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَقْبَلَ إِلَى تَوْبَةَ فَأَنْبَهَهُ . فَقَالَ تَوْبَةُ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ شَخْصَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَنَامَ وَلَمْ يَكْتَرِثْ لَهُ ، وَعَادَ قَابِضٌ إِلَى مَكَانِهِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ . قَالَ : فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ قَابِضٌ حَتَّى غَشَوْهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ طَارَ عَلَى فَرْسِهِ . وَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى تَوْبَةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ غَلامٌ أَمْرُدٌ عَلَى فَرْسِ عُرْيٍ¹ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ رُوَيْبَةَ بْنِ سَالِمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ؛ ثُمَّ تَلَاهُ ابْنُ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ ثُمَّ تَتَابَعُوا . فَلَمَّا سَمِعَ تَوْبَةَ وَقَعَ الْخَيْلُ نَهْضَ وَهُوَ وَسَنَانُ فَلَبَسَ دِرْعَهُ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ صَوَّتَ بِفَرْسِهِ الْخَوْصَاءَ فَأَتَتْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَهَا أَهْوَتْ تَرْمَحَهُ² ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ لَطَمَ وَجْهَهَا فَأَدْبَرَتْ ، وَحَالَ الْقَوْمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . فَأَخَذَ رُمْحَهُ وَشَدَّ عَلَى يَزِيدِ بْنِ رُوَيْبَةَ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَ فَخْذِيهِ جَمِيعاً . وَشَدَّ عَلَى تَوْبَةَ ابْنِ عَمِّ الْغَلامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ، وَقَطَعُوا رَجَلَ عَبْدِ اللَّهِ . فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى قَوْمِهِ لَامَوْهُ وَقَالُوا لَهُ : فَرَزْتَ عَنْ أَخِيكَ ، فَقَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَمِيرِ فِي ذَلِكَ . قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ وَحَدَّثَنِي أَيْضاً مُزْرَعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَّامِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ الْأَعْلَمِ قَالَ : كَانَ أَهْلُ دَارٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو الشَّرِيدِ حُلَفَاءُ لِبَنِي عَدَادِ بْنِ خَفَّاجَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَمِيسِ بْنِ رَبِيعَةَ رَهْطٌ قَوْمُهُ قَاتَلُوا عَلَى مَاءِ تَدْعَى الْحُلَيْفَةَ وَعَامَّتْهَا لَجْدٌ مِنْ هَمَّامٍ . قَالَ وَشَهِدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَمِيرِ ذَلِكَ وَهُوَ أَعْرَجٌ ، عَرَّجَ يَوْمَ قُتِلَ تَوْبَةَ فَلَمْ يُغْنِ كَثِيرَ غَنَاءٍ . فَقَالَتْ بَنُو عُقَيْلٍ : لَوْ تَوْبَةُ تَلَقَّاهُمْ لَبُؤُوا [مِنْهُ] بِغَيْرِ أَوْفُقٍ نَاصِلٍ³ .

[قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه]

[من الوافر]

فقال عبد الله بن الحمير يعتذر إليهم :

تَأَوَّبَنِي بِعَارِمَةِ الْهَمُومِ كما يعتادُ ذا الدِّينِ الْغَرِيمِ⁴

1 الفرس العربي : الذي لا سرج عليه .

2 ترمحه : ترفسه .

3 الأفوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط

نصله . ونصل السهم : الحديدية التي في رأسه .

4 تأوَّبني الشيء : رجع إليَّ ليلاً . عارمة : موضع .

كأنَّ الهمَّ ليس يُريدُ غيري ولو أمسى له نَبَطٌ ورؤمٌ
 عَلامٌ تقومُ عاذلتني تلومُ تُورِّقني وما انجاب الصَّريمُ¹
 فقلتُ لها رويداً كي تجلِّي غواشي النَّومِ والليلُ البهيمُ
 ألما تَعَلِّمي أني قديماً إذا ما شئتُ أعصي مَنْ يلومُ
 وأنَّ المرءَ لا يدري إذا ما يَهُمُّ عَلامٌ تحمله الهمومُ
 وقد تُعدِّي على الحاجاتِ حَرْفٌ كركنِ الرَّعنِ ذِعْبِلَةٌ عقيمٌ²
 مُدَاخَلَةُ الفقارِ وذاتُ لوثٍ على الحُزَنِ مَقْحَمَةٌ عَشومٌ³
 كأنَّ الرَّحَلَ منها فوق جَابٍ بذاتِ الحَاذِ مَعْقَلُهُ الصَّريمُ⁴
 طباه يَرِجَلَةَ البقارِ برقٌ فبات الليلَ مُتَصِيباً يَشِيمُ⁵
 فينا ذاك إذ هَبَطَتْ عليه دَلُوحُ المُنزِ واهيةٌ هَزِيمٌ⁶
 تَهَبُّ لها الشَّمَالُ فتمترىها وَيَعْقُبُهَا بنافحةٍ نسيمٌ⁷
 يُكَبُّ إذا الرِّذاذُ جرى عليه كما يُصغِي إلى الآسي الأَمِيمُ⁸
 إذا ما قال أقشعَ جانباهُ نَشَتْ من كلِّ ناحيةٍ غيومٌ⁹
 فأشعرَ ليله أرقاً وقرأً يُسَهِّره كما أرقَ السَّليمُ
 ألا مَنْ يشتري رجلاً بـرجلٍ تَخَوَّنَهَا السَّلاحُ فما تَسومُ¹⁰

1 الصريم: الليل والصبح، من الأضداد. وانجاب: انشق.

2 تعدى: تعين. والحرف هنا: النافقة الصلبة الضامرة، شبهت بحرف الجبل في الصلاة. الرعن: الجبل الطويل، وأنف يتقدم الجبل. وذعبلية: سريعة.

3 اللوث هنا: القوة. الحزان: جمع خزين وهو المكان الغليظ المنقاد. ومن معاني المقحم: البعير الذي يسير في المفازة من غير راع ولا سائق. وعشوم: يريد أنها جريمة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يشيها شيء عن هواها.

4 الجباب: الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية. الحاذ: ضرب من الشجر واحده حاذة، والحاذ: موضع بنجد. والصريم هنا: القطعة المنقطعة من معظم الرمل.

5 طباه: دعاه أو قاده. ورجلة البقار: موضع.

6 الدلوح من السحاب: كثير الماء. والواهية من السحاب: التي تنبت بالماء اثباتاً شديداً. وهزيم هنا: تتبعج بالماء لا تستمسك.

7 تمترىها: تحتلبها. والنافحة: وصف من نفحت الريح، إذا هبت.

8 يكب في ل: يث، ويكب: يريد أنه يطأ رأسه. يصغي: يعيل. والأميم: المشجوج في أم رأسه أي دماغه.

9 نشت: أصله نشأت.

10 تخونها: تنقصها وغير حالها. والسوم هنا: سرعة المرء.

تَلُومُكَ فِي الْقِتَالِ بَنُو عُقَيْلٍ وَكَيْفَ قِتَالُ أَعْرَجٍ لَا يَقُومُ
 وَلَوْ كُنْتُ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَقَاتَلَ لَا أَلْفٌ وَلَا سِتُومٌ¹
 وَلَا جَثَامَةٌ وَرَعٌ هَيُوبٌ وَلَا ضَرَعٌ إِذَا يُمَسِّي جَثُومٌ²

قال : ثم إنَّ خَفَاجَةَ رَهْطَ تَوْبَةَ جَمَعُوا لِبَنِي عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ الَّذِينَ قَتَلُوا تَوْبَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبْرُ لَحِقُوا بِبَنِي الْحَارِثِ بِمِ كَعْبِ ، ثُمَّ افْتَرَقَتْ بَنُو خَفَاجَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَوْفِ رَجَعُوا ، فَجَمَعَتْ لَهُمْ بَنُو خَفَاجَةَ أَيْضًا قِبَائِلَ عُقَيْلِ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَقِيلِ لَحِقُوا بِالْحَزِيرَةِ فَنَزَلُوهَا ؛ وَهِيَ رَهْطُ إِسْحَاقِ بْنِ مُسَافِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ . ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ صَارُوا فِي أَمْرِهِمْ إِلَى مَرَّوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ الْوَالِي الْمَدِينَةَ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالُوا : نَنْشُدُكَ اللَّهُ أَنْ تَفَرِّقَ جَمَاعَتَنَا ، فَعَقَلَ³ تَوْبَةَ وَعَقَلَ الْآخَرِينَ مَعَاقِلَ الْعَرَبِ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَأَدَّتْهَا بَنُو عَامِرِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ بَنُو عَوْفِ بْنِ عَامِرِ قَتَلْتُ تَوْبَةَ فَلَحِقُوا بِالْحَزِيرَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ بِالْعَالِيَةِ⁴ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأَقَامَتْ بَنُو رَبِيعَةَ بْنِ عُقَيْلِ وَعُرُوةُ بْنُ عُقَيْلِ وَعُبَادَةُ بْنُ عُقَيْلِ بِمَكَانِهِمْ بِالْبَادِيَةِ .

[رواية أبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة وحدثنا مزرع بن عمرو بن همام ، قال أبو عبيدة : وكان معي أبو الخطاب وغيره ، قال : توبة بن حمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، وأمه زبيدة . فهاج بينه وبين السليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عقيل كلام ، وكان شريراً ونظير توبة في القوة والبأس ، فبلغ الحور⁵ (وهو الكلام) إلى أن أوعد كل واحد منهما صاحبه ، فالتقى بعد ذلك توبة والسليل على غدير من ماء السماء ، فرمى توبة السليل فقتله . ثم إن توبة أغار ثانية على إيل بني السمين بن كعب بن عوف بن عقيل واردة ماءهم فاطردوها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن روية ، وعبد الله بن سالم ، ومعاوية بن عبد الله ، قال أبو عبيدة : ولم يذكر غير هؤلاء ، فانصرفوا يجنبون⁶ الخيل يحملون المزداء ، فقصوا أثر توبة وأصحابه فوجدوهم وقد أخذوا في المضجع من أرض بني كلاب في أرض

1 الألف هنا : الرجل الثقيل الكثير اللحم . وهو أيضاً المقرون الحاجين . وسثوم : ملول .

2 الجثامة هنا : النؤوم الذي لا ينهض للمكارم أو البليد . والورع : الجبان والضعيف الضعيف لا غناء عنده .

والضرع : الضعيف الجبان . والجثوم الذي يلزم مكانه فلا يبرح ، والذي يتلبد بالأرض .

3 عقل فلاناً : وداه أي دفع دينه .

4 العالوية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة .

5 الحور : الاسم من المخاورة .

6 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

دَمِيَّةٌ¹ تَرِيَّةٌ ، فَضَلَّتْ فِرْسُ تَوْبَةَ الْخَوْصَاءِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَقَامَ وَاضْطَجَعَ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَسَاقَ أَصْحَابُ الْإِبِلِ ، وَهَمَّ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ سِوَى تَوْبَةَ : الْمُحْرِزُ أَحَدُ بَنِي عَمْرُو بْنِ كِلَابٍ ، وَقَابِضُ بْنُ أَبِي عَقِيلٍ أَحَدُ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْرٍ أَخُو تَوْبَةَ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ تَوْبَةُ إِذَا فِرْسُهُ الْخَوْصَاءِ رَاتِعَةٌ أَذْنَى ظَلَمٍ² قَرِيْبَةٌ مِنْهُ لَيْسَ دُونَهَا وَجَاحٌ³ فَأَشْلَاهَا⁴ حَتَّى أَتَتْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَعْذُو حَتَّى لَحِقَ بِأَصْحَابِهِ ، فَانْتَهَوْا إِلَى هَضْبَةٍ بِكَيْدِ الْمُضَجَّعِ ، فَارْتَقَى تَوْبَةُ فَوْقَهَا يَنْظُرُ الطَّلَبُ⁵ ، فَرَأَاهُ الْقَوْمُ وَلَمْ يَرَوْهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَبَالَتِ الْخَوْصَاءُ حِينَ انْتَهَتْ إِلَى الْهَضْبَةِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : إِنَّهُ لَطَائِرٌ أَوْ إِنْسَانٌ . فَرَكِبَ يَزِيدُ بْنُ رُوَيْبَةَ وَكَانَ أَحَدَثَ الْقَوْمِ سِنًا ، وَأُمُّهُ بِنْتُ عَمِّ تَوْبَةَ ، فَأَغَارَ رَكْضًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْهَضْبَةِ ، فَإِذَا بُولُ الْفَرَسِ وَعَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ رَعْوَتِهِ ، وَإِذَا أَثَرُ تَوْبَةَ يَعْرِفُونَهُ ، فَجَرَعَ فَخَبَّرَ أَصْحَابَهُ . وَانْدَفَعَ تَوْبَةُ وَأَصْحَابُهَا حَتَّى نَزَلُوا إِلَى طَرْفِ هَضْبَةٍ يُقَالُ لَهَا الشَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بَنِي كِلَابٍ ، فَقَالُوا بِالظُّهَيْرَةِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ شِعْرَهُ إِلَّا وَالْإِبِلُ قَدْ نَفَرَتْ ، وَكَانَتْ بَرَكًا⁶ بِالْهَاجِرَةِ ، مِنْ وَئِيدِ⁷ الْخَيْلِ . فَوَثَبَ تَوْبَةُ ، وَكَانَ لَا يَضَعُ السِّيفَ ، فَصَبَّ الدَّرْعَ عَلَى السِّيفِ مَتَقَلَّدَهُ وَهَلًا ، وَدَاجَتِ الْقَوْمُ ، فَطَلَبَ قَائِمَ السِّيفِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ تَحْتَ الدَّرْعِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ سَلَّهُ ، فَطَارَ إِلَى الرُّمْحِ فَأَخَذَهُ ، فَأَهْوَى بِهِ طَعْنًا إِلَى يَزِيدِ بْنِ رُوَيْبَةَ ، وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ عَاهِدَ اللَّهِ لِيَقْتُلَنَّهُ أَوْ لِيَأْخُذَنَّهُ ، فَأَنْفَذَ فَخَذَ يَزِيدَ ، وَاعْتَنَقَهُ يَزِيدُ فَعَضَّ بِوَجْتَتَيْهِ ، وَاسْتَدْبَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بِالسِّيفِ فَفَلَقَ رَأْسَ تَوْبَةَ . وَهَيَّتَ⁸ تَوْبَةَ حِينَ اعْتَوَرَهُ الرَّجُلَانُ بِقَابِضٍ : يَا قَابِضُ فَلَمْ يَلُوْ عَلَيْهِ ، وَفَرَّ قَابِضٌ [وَأَلِ الْكِلَابِيِّ ، وَذَبَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْرٍ عَنْ أَخِيهِ ؛ فَأَهْوَى لَهُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالسِّيفِ فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ فَاخْتَلَعَتْ (أَيَ سَقَطَتْ) . فَاتَى قَابِضٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَلِكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ زُرَّارَةَ أَحَدَ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ فَقَالَ : قُتِلَ تَوْبَةَ . فَنَادَى فِي قَوْمِهِ ، فَجَاءَهُ أَبُوهُ زُرَّارَةُ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : قُتِلَ تَوْبَةَ . فَقَالَ أَبُوهُ طُوطٌ سُحْقًا لَكَ ! أَنْتَ طَلَبَ بَدْمِ تَوْبَةَ أَنْ قَتَلْتَهُ بَنُو عَقِيلٍ ظَالِمًا لَهَا بِأَغْيَا عَادِيًا عَلَيْهَا ! قَالَ لَكِنِّي أُجِنُّهُ إِذَا . قَالَ أَبُوهُ : أَمَّا هَذِهِ فَتَنَمَّ . فَأَلْقَى السَّلَاحَ وَانْطَلَقَ حَتَّى أَجِنُّهُ ، وَحَمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُمَيْرٍ . قَالَ : فَاهْلُ الْبَادِيَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُحْرِزًا سُحِرَ فَأَخِذَ عَنْ سَيْفِهِ .

1 الأرض الديمة : السهلة اللينة .

2 أذنى ظلم : أي أذنى شيء .

3 الوجاح : الستر .

4 أشلى الدابة : دعاها إليه .

5 الطلب هنا : جمع لطالب .

6 البرك هنا : جماعة الإبل الباردة .

7 الوئيد هنا : الصوت العالي الشديد .

8 هيت بفلان : صاح به ودعاه .

[رثت ليل توبة بعدة قصائد]

فقال ليلي الأخيلى بنت عبد الله بن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية فارس الهزار بن عبادة بن عقيل :

نظرتُ ورُكُنُ من ذِقَانَيْنِ دُونَهُ مَفَاوِزُ حَوْضِي أَيَّ نَظْرَةٍ نَاطِرٍ¹
لأونسَ إن لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عَنْهُمْ فلم تَقْصُرِ الأَخْبَارُ والطَّرْفُ قَاصِرِي
فوارسَ أَجلى شأوها عن عَقِيرَةٍ لعَاقِرِها فِيها عَقِيرَةٌ عَاقِرٍ

شأوها : سرعتها وهو الطلق وجريها ، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعني توبة . لعاقرها : تعني لعاقر توبة ، تريد يزيد بن روية . ووجه آخر : في عَقِيرَةٍ عَاقِرٍ معنى مَدَحٍ أَي عَقِيرَةٍ كَرِيمَةٍ لعاقرها . ووجه آخر : عَقِيرَةٍ لعاقرها : فيها الهلاك بعَقْرِها .

فَأَنْسَتْ خَيْلاً بِالرُّقْيِ مُغِيرَةً سَوَابِقُهَا مِثْلُ القَطَا المُتَوَاتِرِ²
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ وَأَبْصُرُ دُونَهُ قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ قَتِيلُ يُحَابِرِ³
تَوَارِدَهُ أَسْيَافُهُمْ فَكَأَنَّمَا تَصَادَرْنَ عَن أَقْطَاعِ أبيضَ بَاتِرِ⁴
مِنَ الهِنْدُوَانِيَاتِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ دَمٌ زَلَّ عَن أَثَرٍ مِنَ السَّيْفِ ظَاهِرِ⁵
أَتَتْهُ المَنَايا دُونَ زَعْفِ حَصِينَةٍ وَأَسْمَرُ خَطِّي وَخَوْصَاءِ ضَامِرِ⁶
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءِ السَّرَاةِ وَسَابِحِ دَرَّانَ بِشُبَّاكِ الحَدِيدِ زَوَافِرِ⁷
عَوَابِسَ تَعْدُو التَّغْلِييَةَ ضَمْرًا وَهَنَّ شَوَاحِ بِالشُّكِيمِ الشُّوَاجِرِ⁸
فَلَا يُعْدِنُكَ اللهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا لِقَاءَ المَنَايا دَارِعًا مِثْلُ حَاسِرِ

- 1 ذقان : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب . وحوضي هنا : نجد من منازل بني عقيل ، وهو أيضاً : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة ينتهي إلى ابن كلاب .
- 2 الرقي : موضع . المتواتر : الذي يجيء بعضه إثر بعض .
- 3 أبصر : موضع ببلاد بني عقيل .
- 4 الأقطاع : جمع قطع وهو ما قطع من حديد أو غيره .
- 5 الأثر : فرند السيف وروثه .
- 6 الزعف : الدرود المحكمة . والخوصاء الضامر : الفرس .
- 7 الجرداء من الخيل : القصير الشعر ، وهو مدح في الخيل . السراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدى الديدن في الجري .
- 8 التغلبيية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فانتحات أفواهاها . والشكيم : واحده شكيمة وهي الحديدية المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة .

فإِلَّا تَكُ الْقَتْلَى بَوَاءٌ فَإِنَّكُمْ
وإنَّ السَّيْلَ إِذْ يَبَاوِي قَتِيلَكُمْ
فإن تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءٌ فَإِنَّكُمْ
فَتَى لَا تَخْطَاهُ الرَّفَاقُ وَلَا يَرَى
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ رِمَاحَهَا
إِذَا مَا رَأَتْهُ قَائِمًا بِسِلَاحِهِ
إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْهَا بِرِسْلٍ فَقَصْرُهُ
قَرَى سَيْفَهُ مِنْهَا مُشَاشًا وَضَيْفَهُ
وَتَوْبَةٌ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
وَنَعْمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا
فَتَى يُنْهَلُ الْحَاجَاتِ ثُمَّ يَعْلُهَا

سَتَلْقَوْنَ يَوْمًا وَرَدَّهُ غَيْرُ صَادِرٍ¹
كَمَوْحوميةٍ مِنْ عَرَكَهَا غَيْرِ طَاهِرٍ²
فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ
لِقَدْرِ عِيَالًا دُونَ جَارِ مُجَاوِرٍ
لِتَوْبَةٍ فِي نَحْسِ الشِّتَاءِ الصَّنَائِرِ³
تَقْتَهُ الْخِيفُ بِالثَّقَالِ الْبِهَازِرِ⁴
ذُرَى الْمُرْهَفَاتِ وَالْقِلَاصِ التَّوَّاجِرِ⁵
سَنَامِ الْمَهَارِسِ السَّبَاطِ الْمَشَافِرِ⁶
وَأَجْرًا مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانٍ خَادِرٍ⁷
وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ⁸
فِيُطْلِعُهَا عَنْهُ ثَنِيَا الْمَصَادِرِ⁹

صوت

[من الطويل]

كَأَنَّ فَتَى الْفَتِيَانِ تَوْبَةٌ لَمْ يُنْخِ
وَلَمْ يَنْ أَبْرَادًا عِتَاقًا لَفْتِيَةٍ
فَلَائِصَ يَفْحَصْنَ الْحَصَا بِالْكَرَاكِرِ⁹
كِرَامٍ وَيَرْحَلُ قَبْلَ فَيءِ الْمَوَاجِرِ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَرِيضٍ وَهُوَ مِنْ خَاصِّ صُنْعَتِهِ وَغَنَائِهِ .

1 يبوي : يساوي .

2 ومرحومة : بها داء الرحم . والعرك : الحيض .

3 الكوم : جمع كوماة وهي العظيمة السنم من الإبل . والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . يقال : أخذت الإبل رماحها : إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها . ونحس الشتاء : ريجه الباردة . وصنائر الشتاء : شدة برده .

4 البهازر من الإبل : العظام ، واحدها بهزرة .

5 الرسل : اللبن . والمرهفات : الدقيقات والتواجر هنا : الإبل النافقة في التجارة وفي السوق .

6 المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهريس من الإبل : الجسم الثقيل . ورباط المشافر : طوليتها .

7 خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر : مقيم .

8 صدر البيت في ل : ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجرًا .

9 الكراكر : جمع كركرة وهي هنا رحي زور البعير أو صدره .

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عَنْهُ وَبَطْنُهُ
 فَمَى كَانَ لِلْمَوْلَى سِنَاءً وَرَفْعَةً
 ولم يُدْعَ يوماً لِلْحِفَاطِ وَلِلنَّادَا
 وَلِلبَازِلِ الكَوْمَاءِ يَرْغُو حَوَارُهَا
 كَأَنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ فَلَائَةً وَلَمْ تُنِخْ
 وَتُصَيِّحْ بِمَوْمَاءٍ كَأَنَّ صَرِيْفَهَا
 طَوَتْ نَفْعَهَا عَنَّا كِلَابٌ وَأَسَدَتْ
 وَقَدْ كَانَ حَقًّا أَنْ تَقُولَ سَرَاتِهِمْ
 وَدَوِيَّةَ قَفْرِ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
 فَاللَّهُ تَبَيَّنِي بَيْتَهَا أُمَّ عَاصِمٍ
 فَلَيْسَ شِهَابُ الْحَرْبِ تَوْبَةٌ بَعْدَهَا
 وَقَدْ كَانَ طَلَّاعَ النَّجَادِ وَيُنِّ الدِّ
 وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْحَادِثَاتِ إِذَا انْتَحَى
 وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظَلَامَةً

لَطِيفٌ كَطَيِّ السَّبِّ لَيْسَ بِحَادِرٍ¹
 وَلِلطَّارِقِ السَّارِي قِرَى غَيْرَ بَاسِرٍ²
 وَلِلْحَرْبِ يَرْمِي نَارَهَا بِالشَّرَائِرِ
 وَلِلخَيْلِ تَعْدُو بِالْكَوْمَاءِ الْمَسَاعِرِ³
 قِلاصاً لَدَى فَاؤٍ مِنْ الْأَرْضِ غَائِرٍ⁴
 صَرِيْفٌ خَطَاطِيفِ الصَّرَى فِي الْمَحَاوِرِ⁵
 بِنَا أَجْهَلِيْهَا بَيْنَ غَاوٍ وَشَاعِرٍ⁶
 لَعَاً لِأَخِينَا عَالِيَاً غَيْرَ عَاثِرٍ⁷
 تَخَطَّيْتَهَا بِالنَّاعِجَاتِ الضَّوَامِرِ⁸
 عَلَى مِثْلِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ⁹
 بَغَازٍ وَلَا غَايِدٍ بَرَكَبٍ مُسَافِرٍ
 سَانَ وَمِدْلَاجِ السَّرَى غَيْرَ فَاتِرٍ
 وَسَائِقٍ أَوْ مَعْبُوطَةٍ لَمْ يُغَادِرِ¹⁰
 دَعَاكَ وَلَمْ يَهْتَفْ سِوَاكَ بِنَاصِرِ¹¹

1 السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

2 المولى هنا : ابن العم أو الحليف . وباسر : عابس .

3 البازل : الناقة التي انتشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعت في التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة

السنام . والحوار : ولد الناقة . والمساعر : جمع مسعر وهو الذي يوقد نار الحرب .

4 الفاؤ : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

5 الموماء : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خطاف ،

وهو حديدة جحناة تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور ، والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغير . والمحاور :

جمع محور وهو الحديدية التي تجتمع بين الخطاف والبكرة .

6 أسدت : هيجت وأغرث .

7 لعا : كلمة يدعى بها للعائر أن ينتعش يقال : لعا لفلان عالياً إذا دعي له .

8 الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الإبل ، البيض الكريمة أو هي التي يصاد بها

نعاج الوحش من الظباء والبقر . والتنعج : ضرب من سير الإبل سريع .

9 الغواير هنا : الباقيات .

10 انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الإبل ونحوها كالرفقة من الناس . والمعبولة : المنبوحة من غير داء ولا كسر .

11 ولم يهتف في ل : ولم يعدل

فإنَّ يَكُ عبدُ اللهِ آسى ابنِ أمِّه
 وكان كذاتِ البسُو تَضْرِبُ عنده
 فإنَّك قد فارقتَه لك عاذراً
 فأقسمتُ أبكي بعد توبةِ هالكاً
 على مثلِ همَّامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ
 غُلامانِ كانا استوردا كلَّ سورةِ
 ربيعي حياً كانا يفيضُ نداهما
 كأنَّ سنا نارِيهما كلَّ شتوةِ
 وقالت أيضاً ترثي توبةَ ، عن أمِّ حميرٍ ،
 وأمُّها ابنةُ أخي توبةَ ، عن أمِّها . قال أبو
 عبيدة : أمُّ حميرٍ أختُ أبي الجراحِ العُقيليِّ . قال : وأمُّها بنتُ أخي توبةِ بنِ حميرٍ . قال :
 وكان الأصمعيُّ يُعجِبُ بها :

[من الطويل]

أيا عَيْنُ بكي توبةَ ابنِ حميرٍ
 لتَبْكُ عليه من خفاجةِ نسوةِ
 سَمِعْنَ بهيجا أرهقتُ فذكرنه
 كأنَّ فتى الفتيانِ توبةَ لم يسرُ
 ولم يَردِ الماءِ السَّدامَ إذا بدا
 ولم يَغْلِبِ الخَصَمَ الضُّجاجَ ويَملاً الـ
 بسَحِّ كفيضِ الجَدُولِ المتفَجِّرِ
 بماءِ شوونِ العَبْرَةِ المتحدِّرِ⁴
 ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التَّذكُّرِ⁵
 بنَجْدٍ ولم يَطلُعْ مع التُّغورِ⁶
 سنا الصُّبحِ في بادي الحواشي مُنورِ⁷
 جِحْفانَ سَدِيفاً يومَ نكباءِ صرصرِ⁸

1 آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات .

2 الجراجر : الخلق .

3 السُّورة من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه .

4 خفاجة : رهط توبة وهو جدُّ له .

5 أرهقت : أدركت ، أو ألحقت وأغشت .

6 المتغور : الذي يأتي الغور .

7 الماء السَّدام : القديم المندفن . وفي رواية الكامل : « في أعقاب أخضر مدير » ، الأخضر هنا الليل . والعرب تسمي الأسود أخضر .

8 الضجاج : المجادلة والمشاركة والمشغبة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التي تنحرف في مهبتها فتجي ، « بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

ولم يَعْلُ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ يَقُودُهَا
 وصحراء مَوَاقٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
 يقودون قَبَاً كَالسَّرَاحِينَ لَاحَهَا
 فَلَمَّا بَدَتْ أَرْضُ الْعَدُوِّ سَقَيْتَهَا
 وَلَمَّا أَهَابُوا بِالنَّهَابِ حَوَيْتَهَا
 مُمَرٌّ كَكَرِّ الْأَنْدَرِيِّ مُثَابِرٍ
 فَأَلُوتُ بِأَعْنَاقِ طِوَالٍ وَرَاعَهَا
 أَلَم تَرَ أَنَّ الْعَبْدَ يَقْتُلُ رَبَّهُ
 قَتَلْتُمْ فَتَى لَا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمَحَهُ
 فَيَا تَوْبُ لِلْهَيْجَا وَيَا تَوْبُ لِلنَّدَى
 أَلَا رَبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَنَائِلٍ
 وقالت تربيته :

[من الطويل]

أَقْسَمْتُ أُرْثِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا
 لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى
 وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وَإِنْ عَاشَ سَالِمَا
 وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَازِعَا
 وَلَيْسَ لِذِي عَيْشٍ عَنِ الْمَوْتِ مَقْصَرٌ
 وَلَا الْحَيُّ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتَبٌ
 وَأَحْفَلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَاتِرُ
 إِذَا لَمْ تُصَيِّهْ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
 بِأَخْلَدٍ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُرَى وَهُوَ صَابِرُ
 وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ غَابِرُ
 وَلَا الْمَيِّتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْحَيُّ نَاشِرُ

- 1 أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وسرة وأبصر : موضعان .
- 2 الْمُنْسَرُ : قطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير ، والجماعة من الخيل .
- 3 القلب : الدقاق الخصور . والسراحين : الذئاب . ولاحها : غيرها . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة .
- 4 المُجَاج : اسم لما تمجّه من فيك . والمزاد : الأسمية .
- 5 النهاب : جمع منهب وهو الغنيمة . والخاطي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم .
- 6 الْمُرُّ : الحبل الذي أجيد فقله . والكّر هنا : الحبل الغليظ . والأندري : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام .
- 7 ونين : فترن وضعفن . إلهاب الفرس للشد : متابعته للجري . إحضار الفرس : ارتفاعه في عدوه .
- 8 صلاصل البيض : أصواتها . والسنورُ : جملة السلاج .
- 9 المنتورُ : الذي يبصر النار من بعيد .
- 9 مقصر : محيد أو مصرف . غابر هنا : باق .

وكلُّ شِبابٍ أو جَدِيدٍ إلى بَلَى
وكلُّ قَرِينِي أَلْفَةٍ لَتَفَرُّقُ
وكلُّ امرئٍ: يوماً إلى الله صائرُ
أنا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ
فلا يُعِدُّنكَ اللهُ حَيًّا ومَيِّتاً
ويُرَوِّى :

(فلا يُعِدُّنكَ اللهُ يا توبُ هالكاً
فأليتُ لا أنفك أبكيك ما دعتُ
على فننٍ ورقاءٍ أو طارَ طائرُ
وما كنتُ إياهم عليه أحاذرُ
لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ
ولكنما أحشى عليه قبيلةً
وقالت ترثيه :

[من البسيط]

كم هاتفي بك من بالكِ وباكيةٍ
وتوبُ للخضم إن جاروا وإن عدلوا
يا توبُ للضيف إذ تدعى وللجارِ
إن يُصايرُوا الأمرُ تطلعه موارده
وبدلوا الأمرُ نقضاً بعد إمرارِ¹
وقالت ترثيه :

[من الطويل]

هراقتُ بنو عوفٍ دماً غيرَ واحدٍ
تداعتُ له أفناء عوفٍ ولم يكن
له نبأ نجدٍ به سيغورُ
وقالت ترثيه :

[من البسيط]

يا عينُ بكِّي بدمعٍ دائمٍ السَّجَمِ
على فتى من بني سعدٍ فجعْتُ به
مثل السنانِ وأمرٍ غيرِ مُقتَسَمِ
ومُصدِرٍ حين يُعي القومَ مُصدِرُهم
وجفنةٍ عند نخسِ الكوكبِ الشِّمِ³
وقالت تعبيراً قابضاً :

[من الطويل]

جزى الله شراً قابضاً بصنيعه
وكلُّ امرئٍ يُجزى بما كان ساعياً

1 عدلوا في ل : عندوا .

2 أفناء الناس : أخلاطهم .

3 البهم هنا : مشكلات الأمور ، واحدها بُهمة .

4 الرجم هنا : القبر .

5 الشبم : البارد . ونخس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

دعا قابضاً والمُرَهَفَاتُ يَرِدْنَهُ
وقالت لقابض وتَعَدِّرَ عبدَ الله أخوا تَوْبَةَ :
فَقُبِّحَتْ مدعوّاً وَلَبَّيْكَ دَاعِيَا
دعا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلَّهُ
وما قابضٌ إذ لم يُجِبْ بِنَجِيبِ
وَأَسَى عُبَيْدُ اللَّهِ ثُمَّ ابْنُ أُمَّه
ولو شاء نَجَى يومَ ذاكِ حَبِيبِي

[توبة وزنجي في الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو الجراح العُقَيْلِيُّ عن أُمِّه دِينَارِ بنتِ خَبِيرِي بنِ الحُمَيْرِ عن توبة بن الحمير قال : خرجتُ إلى الشام ، فبينما أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُرِجِحُ ، وأخذتُ تُرْسِي فألقيته فوقِي ، وألقيتُ نفسي بين المُضْطَجِعِ والبارك . فلَمَّا وجدتُ طَعَمَ النَّوْمِ إذا شيءٌ قد تجللتني عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَكَ عليّ ، ونشزتُ عنه ثم قَمَصْتُ¹ منه قَمَاصاً فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيتُ السيفَ ، ونهضتُ نحوِي فضربتُهُ ضربةً انخزلَ منها ، وعدتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو الإنسانُ أم سَبُعٌ ؛ فلَمَّا أصبحتُ إذا هو أسودُ زنجيٍّ يضربُ برجليه وقد قطعَ وَسَطَهُ حتى كادتُ أُبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخيةٍ موقرةٍ ثياباً من سَلْبِهِ ، وإذا جاريةٌ شابةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنه قتلَ مولاها وأخذها منه . فأخذتُ الجميعَ وعدتُ إلى أهلي . قال أبو الجراح قالت أُمِّي : وأنا أدركتها في الحيِّ تخدمُ أهلنا .

[حديث معاوية مع ليلي في توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عطاء بن مُصْعَبِ القُرَشِيِّ عن عاصم اللَيْثِيِّ عن يونس بن حبيب الضَّبِّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال : سأل معاوية بن أبي سفيان ليلي الأخيلىّ عن توبة بن الحمير فقال : ويحك يا ليلي ؛ أكلما يقول الناسُ كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناسُ حقاً ، والناسُ شجرةٌ بغيّ يحسدون أهلَ النعمِ حيث كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبَطَ البنانِ ، حديدَ اللسانِ ، شجاً للأقرانِ ، كريمَ المخبرِ ، غفيفَ المئزرِ ، جميلَ المنظرِ . وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتُ له ؟ قالت قلتُ ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه :

[من الطويل]

بَعِيدُ الشَّرِّ لا يبلُغُ القومُ قَعْرَهُ
أَلَدٌ مُلِدٌ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهُ²

1 القماص : الوثب .

2 ألدّ : الكثير الجدل والخصومة . وملد : وصف من ألدت بفلان ، إذا عسرت عليه في الخصومة .

إِذَا حَلَّ رَكْبٌ فِي ذَرَاهِ وَظَلَّهُ لِيَمْنَعَهُمْ مِمَّا تُخَافُ نَوَازِلُهُ
 حَمَاهُمْ بَنَصْلِ السَّيْفِ مِنْ كُلِّ فَادِحٍ يَخَافُونَهُ حَتَّى تَمُوتَ خَصَائِلُهُ¹
 فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : وَيَجْحَكُ ؛ يَزْعَمُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَاهِرًا خَارِبًا² . فَقَالَتْ مِنْ سَاعَتِهَا :

مَعَاذَ إِلهِي كَانَ وَاللَّهِ سَيِّدًا جَوَادًا عَلَى الْعِلَاطِ جَمًّا نَوَافِلُهُ
 أُغْرَّ خَفَاجِيًّا يَرَى الْبُخْلَ سَبَّةً تَحَلَّبُ كَفَّاهُ النَّدى وَأَنَامِلُهُ
 عَفِيفًا بَعِيدَ الْهَمِّ صُلْبًا قَنَاتُهُ جَمِيلًا مُحِيَّاهُ قَلِيلًا غَوَائِلُهُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْجَوْعُ الَّذِي بَاتَ سَارِبًا عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ
 وَأَنَّكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَا تَوْبُ بِالْقِرَى إِذَا مَا لَيْمُ الْقَوْمِ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ
 يَبِيتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ مَنْ بَاتَ جَارَهُ وَيُضْحِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمَنَازِلُهُ

فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : وَيَجْحَكُ يَا لَيْلِ ؛ لَقَدْ جُرَّتْ بِنُوبَةِ قَدْرِهِ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَأَيْتَهُ وَخَبِرْتَهُ لَعَرَفْتَ أَنِّي مَقْصُورَةٌ فِي نَعْتِهِ وَأَنِّي لَا أَبْلُغُ كُنْهَ مَا هُوَ أَهْلُهُ . فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : مِنْ أَيِّ الرِّجَالِ كَانَ ؟ قَالَتْ :

أَتَتْهُ الْمَنَایَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُهُ
 وَكَانَ كَلِیثَ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَتَرْضَى بِهِ أَشْبَالَهُ وَحَلَائِلُهُ
 غَضُوبٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطَلَّبُ حِلْمُهُ وَسُمُّ زُعَافٍ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

قَالَ : فَأَمْرٌ لَهَا بِجَائِزَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَالَ لَهَا : خَبَّرْنِي بِأَجْوَدِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا قُلْتُ فِيهِ شَيْئًا إِلَّا وَالَّذِي فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَلَقَدْ أَجَدْتُ حِينَ قُلْتُ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ فَتَى مِنْ عُقَيْلٍ سَادَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ
 فَتَى كَانَتْ الدُّنْيَا تَهُونَ بِأَسْرِهَا عَلَيْهِ وَلَا يَنْفَكُ جَمُّ النَّصْرَفِ
 يَنَالُ عَلَيَّاتِ الْأُمُورِ بِهَوْنَةٍ إِذَا هِيَ أَعَيْتْ كُلَّ خِرْقٍ مُشْرَفٍ³

1 الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر وفي ل : فادح . الخصال : جمع خصلة ، وهي كل لحمه فيها عصب .

2 خارب : لص .

3 الهونة : الرفق والسهولة . والخرق : السخي أو الظريف في سخاوة . ومشرف : جعله له شرف .

هو الذَّوْبُ بِلْ أُرْيُ الْخَلَايَا شَبِيهُهُ
 فَيَا تَوْبُ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا نَدَى
 وَمَا نِلْتُ مِنْكَ النَّصْفَ حَتَّى ارْتَمَتْ بِكَ الـ
 فِيَا أَلْفَ أَلْفٍ كُنْتَ حَيًّا مُسَلِّمًا
 كَمَا كُنْتَ إِذْ كُنْتَ الْمُنْحَى مِنَ الرَّدَى
 وَكَمْ مِنْ لَهَيْفٍ مُحَجَّرٍ قَدْ أُجْبِتَهُ
 فَأَنْقَذْتَهُ وَالْمَوْتُ يَحْرِقُ نَابَهُ
 بِدِرْيَاقَةٍ مِنْ خَمْرٍ بَيْسَانَ قَرَفَ¹
 يُعَدُّ وَقَدْ أَمْسَيْتَ فِي تَرْبٍ نَفْنَفٍ²
 حَنَايَا بِسَهْمٍ صَائِبِ الْوَقْعِ أَعْجَفٍ³
 لِأَلْقَاكَ مِثْلَ الْقَسُورِ الْمُتَطَرِّفِ⁴
 إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ
 بِأَبْيَضٍ قَطَّاعِ الضَّرْبِيَةِ مُرْهَفٍ⁵
 عَلَيْهِ وَلَمْ يُطْعَنْ وَلَمْ يُتَسَفَّ⁶

[ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة]

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال حدثت عن القحذمي عن
 مُحَارِبِ بْنِ غُصَيْنِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ : كَانَ تَوْبَةُ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَمَرَّ بِبَنِي عُذْرَةَ ، فَرَأَتْهُ بِثِينَةَ
 فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى جَمِيلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُظْهَرَ حَبَّهُ لَهَا . فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ : مَنْ
 أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا تَوْبَةُ بِنِ الْحَمِيرِ . قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاعِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَشَدَّتْ عَلَيْهِ
 بِثِينَةَ مَلْحَقَةً مُورَسَةً⁷ فَاتَزَرَ بِهَا ، ثُمَّ صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ جَمِيلٌ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي النُّضَالِ ؟
 قَالَ نَعَمْ ، فَنَاضَلَهُ⁸ فَفَضَّلَهُ جَمِيلٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ ، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ
 جَمِيلٌ . فَقَالَ لَهُ تَوْبَةُ : يَا هَذَا إِنَّمَا تَفْعَلُ هَذَا بِرِيحِ هَذِهِ الْجَالِسَةِ ، وَلَكِنْ اهْبِطْ بِنَا الْوَادِي ،
 فَصَرَعَهُ تَوْبَةُ وَنَضَّلَهُ وَسَبَقَهُ .

[عبد الملك يسألها عن سبب حب توبة لها]

أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال : بلغني أن ليلي الأخيلى دخلت على عبد الملك
 ابن مروان وقد أسنت وعجزت ، فقال لها : ما رأى توبة فيك حين هويك ؟ قالت : ما رآه
 الناس فيك حين ولوك . فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها .

1 الذَّوْبُ : العسل . الأري : العسل أيضاً . والشوب : المخلط والمزج . والدرياقة : الخمر .

2 النفنن : المفازة .

3 وما نلت في ل : وما نيل . السهم الأعجف : الرقيق .

4 القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .

5 المحجر : المضيق عليه .

6 حرق الأنياب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيط . وتسف في الصراع : قبض بيده على
 خصمه ثم عرض له رجله فغثره .

7 مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .

8 النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

[وفود ليلي على الحجّاج وحديثه معها]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلاليّ عن أيوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له ورّقاء قال : كنتُ عند الحجّاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأةٌ تهدير كما يهدر البعيرُ النادِ¹ . قال أدخِلها . فلمّا دخلت نسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليلي ؟ قالت : إخلافُ النجوم² ، [وقلةُ الغيوم] ، وكَلَبُ البردِ³ ، وشِدّةُ الجَهْدِ ، وكنتُ لنا بعدَ الله الرّد⁴ . قال : فأخبريني عن الأرض . قالت : الأرضُ مُقشّرة⁵ ، والفِجاجُ مُعبّرة⁶ ، وذو الغنى مُختل⁷ ، وذو الحدِّ مُنقل⁸ . قال : وما سببُ ذلك ؟ قالت أصابتنا سنون⁹ مُجحفة¹⁰ مظلمة ، لم تدع لنا فصيلاً⁹ ولا رُبُعاً ، ولم تُبقِ عافطة¹⁰ ولا نافطة¹¹ ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتقدّماً . وقال في الخبر : قال الحجّاج . هذه التي تقول :

نحنُ الأَحْيَالُ لا يزالُ غلامنا حتى يَدبَّ على العصا مشهورا
تَبكي الرِّمَاحُ إذا فَقَدنَ أَكفنا جَزَعاً وتَعْرِفنا الرِّفاقُ بُحورا

ثم قال لها : يا ليلي ، أنشدينا بعض شعركِ في توبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبه في الحياةِ المعايِرُ
وما أحدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً بأخْلَدَ مَمَّنْ غيَّبته المقابرُ
فلا الحَيِّ ممّا أحدث الدهرُ مُعتَبٌ ولا المَيِّتُ إن لم يَصْبِرِ الحَيُّ ناشِرُ

1 النّاد : الشارد .

2 إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .

3 كلب البرد : شدّته .

4 الرد : الكهف والمعقل .

5 اقشعرار الأرض : تقبضها من الخل .

6 مختل : محتاج .

7 السنون : القحوط .

8 مجحفة : فاشرة تجترف المال وتذهب به . وفي الأمالي «مبلطة» بدل «مظلمة» . والمبلطة : المفقرة .

9 الفصيل : ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه للقطام .

10 العافطة : الضائنة .

11 النافطة : الماعزة .

وكلُّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بلي وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرٌ
قتيلُ بني عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا له وما كنتُ إِيَّاهم عليه أحاذرٌ
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الشام بادٍ وحاضرٌ

فقال الحجاج لحاجبه : اذهب فاقطع لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطع لسانها ، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ اقطع لسانها بالصلة والعطاء ، فارجع إليه واستأذنه . فرجع إليه فاستأمره¹ ، فاستشاط عليه وهمّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأدخلت عليه ، فقالت : كاذ وعهد الله يقطع مقولي ، وأنشدته :

حجاجُ أنت الذي لا فوقه أحدٌ إلّا الخليفةُ والمستغفرُ الصمدُ
حجاجُ أنت سينانُ الحربِ إن نهجتُ² وأنت للناسِ في الداجي لنا تقدُ

أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمداني قال : كان جدّي عند الحجاج ، فدخلت عليه امرأة برزة³ ، فانتسبت له فإذا هي ليل الأخيّية . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : كنتُ عند الحجاج . وأخبرني وكيع عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جويرية عن بشر بن عبد الله بن أبي بكر : أنّ ليلي دخلت على الحجاج ، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلما قالت :

غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

قال لها : لا تقولي «غلامٌ» ، قولي «هُمامٌ» . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زدني ، فقال : اجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جلسائه : إنّها غنمٌ . فقالت : الأميرُ أكرمُ من ذلك وأعظمُ قدرًا من أن يأمر لي إلّا بالإبل . قال . فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنّما كان أمرها بغنمٍ لا إبل .

وأخبرنا [به] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلت مكان غلامٍ همامٌ ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدنا ما قلت في توبة ، فأنشدته قولها :

1 استأمره : استشاره .
2 نهجت : سلكت .
3 المرأة البرزة : المتجاهرة الكهولة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون وهي غفيفة . والبرزة أيضاً : البارزة المحاسن .

إِنَّا تَكُنَّ الْقَتْلَى بَوَاءَ فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بِنِ عَامِرٍ
 فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانَ خَادِرٍ¹
 أَتَمَّ الْمَنَايَا دُونَ دِرْعِ حَصِينَةٍ وَأَسَمَرَ خَطْبِيَّ وَجَرْدَاءَ ضَامِرٍ
 فَنِعْمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
 كَأَنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ فَلَانِصَّ يَفْخَصْنَ الْحَصَا بِالْكَرَاكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه .
 فقالت : أيتها الرجل هل رأيت توبة قط ؟ قال لا . فقالت : أما والله لو رأيت لوددت أن كل
 عاتق² في بيتك حامل منه ؛ فكأنما فقيء في وجه أسماء حب الرمان . فقال له الحجاج : وما
 كان لك ولها ! .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المغيرة قال سمعتُ أبي
 يقول سمعتُ الأصمعيّ يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لك من
 حاجة ؟ قالت : نعم أصلح الله الأمير ، تحمّلني إلى ابن عمّي قتيبة بن مسلم ، وهو على
 خراسان يومئذ ، فحمّلها إليه ، فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية ، فلما كانت بالرّيّ
 ماتت ، فقبرها هناك . هكذا ذكر الأصمعيّ في وفاتها وهو غلط . وقد أخبرني عمّي عن
 الحزنبل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهديّ عن ابن
 أبي سعديّ عن محمد بن الحسن النخعيّ عن ابن الخصب الكاتب . واللفظ في الخبر للحزنبل ،
 وروايته أتمّ : أن ليلى الأخيلىّة أقبلت من سفر ، فمّرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج
 لها . فقالت : والله لا أبرح حتى أسلم على توبة ، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن
 تلمّ به . فلما كثر ذلك منها تركها ، فصعدت أكمة عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا
 توبة ، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت : ما عرفتُ له كذبة قط قبل هذا . قالوا : وكيف ؟
 قالت : أليس القائل :

صوت

ولو أن ليلى الأخيلىّة سلّمتْ عليّ ودوني تربةً وصفائح³

1 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 208/2 أشجع «من أسامة» و «من ليث عريسة» . وورد في المصدر نفسه 337/1 «أجرًا من ليث بخفان» وذكر بيت الشعر الوارد هنا .

2 العاتق : الشابة .

3 ودوني في ل : وفوقي .

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَّيْ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحٌ¹
وَأُعْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ

فما بأله لم يُسَلِّم عليَّ كما قال . . . وكانت إلى جانب القبر بومةً كاملةً ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل ، فنفر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفِنَتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنى في الأبيات المذكورة آنفاً حكَمُ الواديِّ لَحْنَيْنِ ، أحدهما رملٌ بالوسطى عن عمرو ، والآخرُ خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن حَبَش ، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والميلاء رَمَلَانِ بالبصرة ، وذكر أبو العنْبَس بن حمدون أنَّ الرملَ لِعُمَرَ الواديِّ .

[كان توبة شريراً كثير الغارات]

قال أبو عبيدة : كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخنعم وهمدان ، فكان يزور نساء منهن يتحدَّث إليهن ، وقال :

أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ غَرَائِرَ مَنْ هَمْدَانَ بِيضاً نُحُورُهَا
قال أبو عبيدة : وكان توبة ربّما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم ، وبين بلاد مهرة وبلاد عُقَيْلٍ مَفَازَةٌ مُنْكَرَةٌ لَا يَقْطَعُهَا الطَّيْرُ ، وكان يحمل مَزَادَ المَاءِ فيدْفِنُ منه على مسيرة كلِّ يوم مَزَادَةً ثم يُغَيِّرُ عليهم فيطلبونه فيركب بها المفازة ، وإنّما كان يتعمد حَمَارَةَ القَيْظِ وشِدَّةَ الحرِّ ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

[ليلى عند عاتكة زوجة عبد الملك]

أخبرني جرّمي عن الزبير عن يحيى بن المقدم الرّبيعي عن عمّه موسى بن يعقوب قال : دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأةً بدويّةً أنكرها ، فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا الوالهةُ الحُرّى ليلي الأُخَيْلِيَّة . قال : أنتِ التي تقولين :

أرِيقتُ جِفَانُ ابنِ الخَلِيعِ فأصبحتُ حِيَاضُ النَّدَى زَالَتْ بهنَّ المَرَاتِبُ²
فَعُفَاتُهُ لَهْفَى يطوفون حوله كما انقضَّ عرشُ البئرِ والورْدِ عاصبُ³

1 زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتييل ويصبح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

2 ابن الخليع : من آباء توبة . زالت في ل : زالت .

3 العفاة : طالبو المعروف . والهدف : الحزن والتحسر . عاصب : جامع .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أَبْقَيْتِ لنا ؟ قالت : الذي أَبْقَاه اللهُ لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نَسَباً قُرْشِيّاً ، وعيشاً رَخِيّاً ، وإمراً مُطَاعَةً . قال : أَفَرَدْتَهُ بِالكَرَمِ ! قالت : أَفَرَدْتُهُ بما أَفَرَدَهُ اللهُ به . فقالت عاتكة : إنَّها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينِ تَسْقِيها وتَحْمِيها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَعْتُها في شيء من حاجاتها . لتقدمها أعرابياً جلفاً على أمير المؤمنين . قال : فَوَبَّتْ ليلٍ فقامتُ على رجليها واندفعتُ تقول :

[من الوافر]

سَتَحْمِلُنِي وَرَحْلِي ذَاتُ وَخْدٍ	عليها بنتُ آباءِ كرام ¹
إِذَا جَعَلْتُ سَوَادَ الشَّامِ جَنْباً	وغلقتُ دونها بابُ اللُّثامِ
فليس بعائدٍ أبداً إليهم	ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظَّلامِ
أَعَاتِرُكَ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بِنَا	عَزَاءِ النَّفْسِ عَنْكُمْ واعتزامي
إِذَا لَعَلِمْتَ وَاسْتَيْقَنْتِ أَنِّي	مُشِيْعَةٌ وَلَمْ تَرَعِي ذِمَامِي
أَجْعَلُ مِثْلَ تَوْبَةٍ فِي نَدَاهُ	أَبَا الذَّبَّانِ فُوهُ الدَّهْرِ دَامِي ²
مَعَاذَ اللَّهِ مَا عَسَفْتُ بِرَحْلِي	تُعَذِّدُ السَّيْرَ لِلْبَلَدِ التَّهَامِي ³
أَقْلَتِ خَلِيفَةٌ فَسِوَاهُ أَحْجَى	بِأَمْرَتِهِ وَأَوْلَى بِاللُّثَامِ
لِشَامِ الْمَلِكِ حِينَ تُعَدُّ كَعْبٌ	ذوو الأخطارِ وَالخُطَطِ الْجِسَامِ ⁴

فقبل لها : أَيُّ الكعبين عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أخالُ كَعْباً كَكَعْبِي .

[رواية أخرى في وفودها على الحجاج]

أخبرنا اليزيدي عن الخليل بن أسد عن العُمري عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثَّقفي عن عبد الملك بن عَمير عن محمد بن الحجاج بن يوسف قال : بينا الأميرُ جالسٌ إذ استَوذِنَ ليلي . فقال الحجاج : وَمَنْ ليلي ؟ قيل : الأَخيليةُ صاحبةُ توبة . قال : أَدْخِلُوهَا . فدخلتُ امرأةً طويلةً دَعَجَاءَ العَيْنين حَسَنَةً المِشْيَةِ إلى الفوه⁵ ما هي ، حَسَنَةُ الثَّغْرِ ، فسَلَّمْتُ فَرَدَّ الحجاجُ عليها ورحَّبَ بها فدَنَّتْ ، فقال الحجاجُ ، دَرَاكِ ضَعُ لها وسادةٌ يا غلام ، فجلستُ . فقال : ما أعمَلَكِ إلينا ؟ قالت : السلامُ على الأمير ، والقضاءُ لحقه ، والتعرضُ لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومك ؟

1 الوخد : ضرب من السير .

2 أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدة بخره .

3 عسفت : سارت وخبطت .

4 كعب : من آباء ليلي .

5 الفوه : سعة الفم .

قالت : تركتهم في حال خِصْبٍ وأمنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكلأ . وأمّا الأمنُ فقد أمنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أنشدك ؟ فقال : إذا شئتِ فقلت :

[أَحْجَاجُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ غَايَةً
أَحْجَاجُ لَا يُقَلُّ سِلَاحُكَ إِنَّمَا الـ
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً
شَفَاها مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بها
سَقَاها دِمَاءُ المَارِقِينَ وَعَلَّها
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزًّا كَثِيبَةً
أَعَدَّ لها مِصْقُولَةً فَارِسِيَّةً
أَحْجَاجُ لَا تُعْطَى العُصَاةُ مُنَاهِمُ
وَلَا كُلَّ حَلَّافٍ تَقَلَّدَ بَيْعَةً
يُقَصِّرُ عنها مَنْ أَرَادَ مَدَاها]
مَنَايا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تراها
تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِها فَشَفَاها
غُلامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاها
إِذَا جَمَحَتْ يَوْمًا وَخِيفَ أَذاها
أَعَدَّ لها قَبْلَ النُّزولِ قِراها¹
بِأَيْدِي رِجالٍ يَحْلُبُونَ صِراها²
وَلَا اللَّهُ يُعْطِي للعُصَاةِ مُناها
فَأَعْظَمَ عَهْدَ اللَّهِ ثُمَّ شِراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنقِذٍ : لله بلادها ما أشعرها ! . فقال : ما لي بشعرها علم . فقال : عَلَيَّ بَعْبِيَّةُ بن مَوْهَبٍ وكان حاجبه ، فقال : أنشديهِ فأنشدته : فقال : عُبيدة : هذه الشاعرة الكريمة ، قد وجب حقها . قال : ما أغناها عن شفاعتك ! يا غلامُ مرُّ لها بخمسمائة درهم ؛ واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خَزّ ، وأدخلها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقل لها : حلّيتها . فقالت : أصلح الله الأمير . أضرّ بنا العريفُ في الصدقة ، وقد خربت بلادنا ، وانكسرت قلوبنا ، فأخذ خيارَ المال . قال : اكتبوا لها إلى الحَكَم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً³ ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته . فقال ابن مَوْهَبٍ : أصلح الله الأمير ، أصلها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتها [هند] بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجصاص فكتبه عني ، ثم حدّثني عن حمّاد الراوية قال : لما فرغتُ ليلي من شعرها أقبل الحجّاج على جلسائه فقال لهم : أندرون من هذه ؟ قالوا : لا ؛ والله ما رأينا امرأةً أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً . قال : هذه ليلي

1 الرز : الصوت تسمعه من بعيد .

2 الصرى هنا : بقية اللبن . والصرى : اللبن يبقى فيتغير طعمه . يحلبون صراها في ل : يحسون غذاها .

3 النجيب : الكريم .

صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلي أرأيت من توبة أمراً تَكْرَهينه أو سألك شيئاً يُعاب ؟ قالت : لا والله الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط . فقال : إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شَبَّه عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : كنت عند الحجاج فدخلت عليه ليل الأحييلية ، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلما قالت :

غلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي همامٌ .

صوت

[من الخفيف]

سألني الناسُ أينَ يعمدُ هذا قلتُ آتي في الدارِ قرماً سرّياً

ما قطعتُ البلادَ أسري ولا يمّ حمتُ إلاّ إياك يا زكريّا

كم عطاءٍ ونائلٍ وجريلٍ كان لي منكم هنيئاً مرّياً

عروضه من الخفيف ، الشَّعْرُ لِلأُقَيْشِرِ الأَسَدِيِّ . والغناء لِلدَحْمَانِ ، وله فيه لحنانٍ ، أحدهما خفيفٌ ثقيلٌ من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثقيلٌ أوّلٌ بالنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنّه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشامي أنّ لحن الأبجر خفيفٌ ثقيلٌ ، وأنّ لحن ابن بلوع في الثالث ثاني ثقيل . وليحيى بن واصل ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى .

[189] - ذكر الأقيشر¹ وأخباره

[نسه]

الأقيشرُ: لَقَبٌ [غلب عليه]²؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرُ³، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار. وكان يُكنى أبا مُعْرِض، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عِدَّة، منها قوله: [من المتقارب]

فإنَّ أبا مُعْرِضٍ إِذ حَسَا من الرَّاحِ كَأَسَا على المُنْبِرِ
خَطِيبٌ لَيْبٌ أَبُو مُعْرِضٍ فإنَّ لَيْمٌ في الخَمْرِ لم يَصْبِرِ

وَعُمَرُ عُمراً طويلاً، فكان أَقَعَدَ بني أُسَيْدٍ نَسَباً، وما أَخْلَقَهُ بأن يكون وُلِدَ في الجاهليَّة ونشأ في أوَّل الإسلام؛ لأنَّ سِمْكَ بن مَخْرَمَةَ الأَسديَّ صاحبَ مسجدِ سِمْكَ بالكوفة بناه في أيام عمر، وكان عُثْمانيّاً، وأهلُ تلك المَحَلَّة إلى اليوم كذلك. فيُرْوَى أهلُ الكوفة أنَّ عليَّ بن أبي طالب، صلواتُ الله عليه، لم يُصَلِّ فيه، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسِمْكَ الذي بناه هو سِمْكَ بن مَخْرَمَةَ بن حُمَيْن بن بَلْث بن عمرو بن مُعْرِض بن عمرو بن أُسَيْدٍ، والأقيشر أَقَعَدُ⁴ نَسَباً منه. وقال الأقيشر في ذكر مسجد سِمْكَ شعراً.

أخبرني محمد بن الحسن الكِنديُّ الكوفيُّ قال أخبرني الحسن بن عَلِيٍّ العَنزِيُّ عن محمد بن معاوية، وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية. قال: الأقيشرُ من رَهْطِ خُرَيْمِ بن فاتك⁵ الأَسديِّ. وخُرَيْمٌ إنَّما نُسِبَ إلى جَدِّ أبيه فاتك، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شداد] ابن عمرو بن فاتك الأَسديِّ، وفاتك ابن قُليب بن عَمْرٍو بن أُسَيْدٍ.

[شعره في بني دودان]

والأقيشر هو المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أُسَيْدٍ. قال: وهو القائل لَمَّا بنى سِمْكَ بن مَخْرَمَةَ مسجده الذي بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبني أُسَيْدٍ، وهو في خِطَّة بني نَصْر بن قُعَيْنٍ:

1 انظر في أخباره: الشعر والشعراء 2/559-562 والخزانة 2: 279-282 والإصابة 6: 180 والمؤتلف

56 والمرزباني 369-370. وقد صنع ديوانه الدكتور محمد علي دقه، بيروت 1997.

2 ل: به.

3 الأقيشر: وصف من القشر وهو شدة الحمرة.

4 ل: أبعد.

5 خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدرًا.

عَضَيْتُ دُودَانَ مِنْ مَسْجِدِنَا وَبِهِ يَعْرِفُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ
 لَوْ هَدَمْنَا غُدُوَّةَ بُنْيَانِهِ لِأَنَّمَحَتْ أَسْمَاؤُهُمْ طُولَ الْأَبْدِ
 اسْمُهُمْ فِيهِ وَهُمْ جِيرَانُهُ وَاسْمُهُ الدَّهْرَ لَعَمْرُو بْنِ أَسَدٍ
 كُلَّمَا صَلَّوْا قَسَمْنَا أَجْرَهُ فَلَنَا النُّصْفُ عَلَى كُلِّ جَسَدٍ¹

فحلّف بنو دودان ليضربنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا :
 وما هو يا فاسق ؟ قال قلت :

وَبَنُو دُودَانَ حَيٌّ سَادَةٌ حَلَّ بَيْتُ الْمَجْدِ فِيهِمْ وَالْعَدَدُ

فتركوه .

[كان خليعاً ماجناً مدمناً]

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجمّع عن المدائنيّ قال ، وأخبرني أبو أيوب المدائنيّ عن
 محمد بن سلام قال : كان الأقيشر كوفيّاً خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر ، وهو الذي يقول
 لنفسه :

فَإِنَّ أَبَا مُعْرُضٍ إِذْ حَسَا مِنْ الرَّاحِ كَأَسَا عَلَى الْمُنْبَرِ
 خَطِيبٌ لَيْبٌ أَبُو مُعْرُضٍ فَصَارَ خَلِيعاً عَلَى الْمَكْبَرِ²
 أَحَلَّ الْحَرَامَ أَبُو مُعْرُضٍ فَإِنَّ لَيْمَ فِي الْخَمْرِ لَمْ يَصْبِرِ
 يُجَلِّ اللَّئَامَ وَيُلْحِي الْكِرَامَ وَإِنْ أَقْصَرُوا عَنْهُ لَمْ يُقْصِرِ³

[يهجو عبساً لمناداته بلقبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وأخبرني عبد الوهاب بن
 عبّيد الصّحّاف الكوفيّ عن قَعْنَبِ بْنِ مُخْرَزِ الْبَاهِلِيِّ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : أَنَّ الْأُقَيْشِرَ مَرَّ يُرِيدُ الْحَيْرَةَ ،
 فَاجْتَازَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْسٍ ، فَناداه أحدُهُمْ : يَا أُقَيْشِرَ ، وَكَانَ يَغْضَبُ مِنْهَا ، فَجَرَّهُ الْأَشْيَاخُ ،
 وَمَضَى الْأُقَيْشِرُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ : قِفْ مَعِي ، فَإِذَا أَنْشَدْتَ بَيْتاً فَقُلْ لِي : وَلَمْ
 ذَلِكَ ، ثُمَّ انصَرَفَ ، وَخَذَ هَذَيْنِ الدَّرَاهِمِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَصِيرُ مَعَكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتَ يَا أَبَا مُعْرُضِ
 وَلَا أَرْزُوكَ شَيْئاً ، قَالَ : فافْعَلْ . فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ الْقَوْمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ تَأَمَّلَهُمْ وَقَدْ
 عَرَفَ الشَّابَّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ :

أَتَدْعُونِي الْأُقَيْشِرَ ذَلِكَ اسْمِي وَأَدْعُوكَ ابْنَ مُطْفِئَةِ السَّرَاجِ

1 فلنا في ل : فلها .

2 المكبر : الكبير في السن .

3 يُجَلِّ في ل : يجب .

فقال له الرجل : ولمَ ذاك ؟ فقال :

تُنَاجِي خِدْنَهَا بِاللَّيْلِ سِرًّا وَرَبُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا تُنَاجِي
قال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ : فَلَقَّبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ابْنَ مُطْفِئَةِ السَّرَاحِ .

[تهاجيه مع أبي الضحاك التميمي]

وقال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ أَخْبَرَنَا بِهِ الْيَزِيدِيُّ عَنِ الْخَرَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ
الْجَوَابَاتِ ، وَلَمْ يَرَوْهُ الْبَاقُونَ : كَانَ الْأَفِيشِرُ يَكْتَرِي بَغْلَةً أَبِي الْمَضَاءِ الْمُكَارِي فِيرَكِبُهَا إِلَى
الْخَمَّارِينَ بِالْحَيْرَةِ . فَرَكِبُهَا يَوْمًا وَمَضَى لِحَاجَتِهِ ، وَعِنْدَ أَبِي الْمَضَاءِ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ يُكْنَى أَبَا
الضَّحَّاكِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : الْأَفِيشِرُ . فَأَخَذَ طَبَقَ الْمِيزَانِ وَكَتَبَ فِيهِ : [من الوافر]

عَجِبْتُ لَشَاعِرٍ مِنْ حَيِّ سَوْءٍ ضَّيَّلَ الْجِسْمَ مِيطَانٍ هَجِينِ

وقال لأبي المضاء : إذا جاء فأقرئه هذا . فلما جاء أقرأه . فقال له الأفيشر : ممن هو ؟ قال :
من بني تميم . فكتب الأفيشر تحت كتابه :

فَلَا أَسَدًا أَسْبُ وَلَا تَمِيمًا

وَلَكِنَّ التَّمِيمِيَّ حَالِ بِنِي

فهرب إلى الكوفة فلم يزد على هذا .

وقال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : فَجَاءَ التَّمِيمِيُّ فَقَرَأَ مَا كَتَبَ ، فَكَتَبَ تَحْتَهُ : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِي حُشًّا لِحَاجَتِهِ وَجْهَ الْأَفِيشِرِ حَشًّا غَيْرُ مَمْنُوعٍ²

فلما قرأه قال : اللهم إني أستعديك عليه ، وكتب تحته :

إِنِّي أَنَا فِي مَقَالٍ كُنْتُ آمَنُهُ

عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو الضَّحَّاكِ كُنَيْتُهُ

وَلَمْ تَبْتَ أُمُّهُ إِلَّا مُطَاحِنَةً

يَنْسَابُ مَاءَ الْبَرَايَا فِي اسْتِهَا سَرِيًّا

مِنْ ثَمَّ جَاءَتْ بِهِ وَالْبَطْرُ حَنَّكَه

فلما جاءه جزع ومشى إليه بقوم من بني تميم ، فطلبوا أن يكفَّ ففعل . وأما عبد الله بن

1 مضرطة العجين : كناية عن أنها خادم .

2 الحش : بيت الخلاء .

3 سرىا : سائلا .

4 حنكه : أحكمه . واليسروع : دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد .

خَلَفَ فذَكَرَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ أَنَّ الْأُقَيْشِرَ قَالَ هَذَا فِي مَسْكِينٍ .
وَالشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْغِنَاءُ يَقُولُهُ الْأُقَيْشِرُ فِي زَكَرِيَّا بْنِ طَلْحَةَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفَيَّاضُ ، وَكَانَ
مَدَّاحًا لَهُ .

[عبد الملك يعجب بشعره]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْعَنْزِيِّ عَنْ [مُحَمَّدِ بْنِ] مَعَاوِيَةَ قَالَ : غَنَّتْ جَارِيَةٌ عِنْدَ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِشَعْرِ الْأُقَيْشِرِ :

قَرَّبَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ وَحَيَّا	زَكَرِيَّا بْنَ طَلْحَةَ الْفَيَّاضِ
مَعْدُنُ الضِّيْفِ إِنْ أَنَاخُوا إِلَيْهِ	بَعْدَ أَيِّنِ الطَّلَاحِ الْأَنْقَاضِ ¹
سَاهَمَاتُ الْعَيُونِ خَوْصٌ رَذَايَا	قَدْ بَرَاهَا الْكَلَالُ بَعْدَ أَيَّاضِ ²
زَادَهُ خَالِدُ ابْنِ عَمِّ أَبِيهِ	مَنْصِبًا كَانَ فِي الْعُلَاذَا أَنْتَقَاضِ
فَرَعُ تَيْمٍ مِنْ تَيْمٍ مُرَّةً حَقًّا	قَدْ قَضَى ذَاكَ لِابْنِ طَلْحَةَ قَاضِ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلجَارِيَةِ : وَيَحَلِّكَ ! لِمَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : لِلأُقَيْشِرِ . قَالَ : هَذَا الْمُدْحُ لَا عَلَى
طَمَعٍ وَلَا فَرْقٍ ، وَأَشْعُرُ النَّاسِ الْأُقَيْشِرِ .

[الكميت يثنى على شعره]

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلَفٍ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْكُمَيْتَ بْنَ زَيْدٍ لَقِيَ الْأُقَيْشِرَ فِي
سَفَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيَّنَ تَقْصِدُ يَا أَبَا مُعْرُضٍ ؟ فَقَالَ :

سَالَنِي النَّاسُ أَيَّنَ يَقْصِدُ هَذَا قَلْتُ آتِي فِي الدَّارِ قَرَمًا سَرِيًّا
وَذَكَرَ بَاقِيَ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْكُمَيْتُ يَسْتَعِيدُهُ إِيَّاهَا مَرَارًا ، ثُمَّ قَالَ :

مَا كَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّكَ أَشْعُرُ النَّاسِ .

[كان عينياً وزعم الفحولة]

أَخْبَرَنِي عَمِّيُّ عَنِ الْكُرَانِيِّ عَنِ ابْنِ سَلَامٍ قَالَ : كَانَ الْأُقَيْشِرُ عَيْنِيًّا ، وَكَانَ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ،
وَكَانَ كَثِيرًا مَا كَانَ يَصِفُ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ . فَجَلَسَ إِلَيْهِ يَوْمًا رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَنْشَدَهُ
الْأُقَيْشِرُ :

1 معدن : اسم من عدن بالمكان إذا أقام به . الأين : التعب . والطلائح : جمع طليح وطليحة ، وهو الذي أعياه

السير . والأنقاض : جمع نقض وهو المهزول من السير .

2 ساهمات العيون : متغيراتها . وخصوص : غائرات العيون ، الواحد : أخوص وخصوص . ورذايا : مهزولات ،
والواحد رذي ورذية .

ولقد أروحُ بِمُشْرِفِ ذِي شَعْرَةَ عَسِرِ الْمَكْرَةِ مَاؤُهُ يَتَفَصَّدُ¹
مَرِحٌ يَطِيرُ مِنَ الْمِرَاحِ لُعَابُهُ وَتَكَادُ جِلْدَتُهُ بِهِ تَتَقَدَّدُ

ثم قال للرجل : أَتُبْصِرُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَمَا وَصَفْتُ . قَالَ : فِرْسًا . قَالَ : أَفَكُنْتَ لَوْ رَأَيْتَهُ رَكَبْتَهُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ وَأَثْنِي عِطْفَهُ . فَكَشَفَ عَنْ أَيْرِهِ وَقَالَ : هَذَا وَصَفْتُ ، فَقُمْ فَارْكَبْهُ . فَوَثَبَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : قَبْحَكَ اللَّهُ مِنْ جَلِيسٍ ؛ سَائِرَ الْيَوْمِ .
[يشرب بعد خروجه في جنازة]

ونسختُ من كتاب عبد الله بن خلفٍ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : مَاتَتْ بِنْتُ زِيَادِ الْعُصْفُرِيِّ ، فَخَرَجَ الْأَقَيْشِرُ فِي جِنَازَتِهَا ، فَلَمَّا دَفَنُوهَا انصَرَفَ . فَلَقِيَهُ عَابِسٌ مَوْلَى عَائِذِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي غَدَاءِ وَطِلَاءٍ² أَتَيْتُ بِهِ مِنْ طَيْرِنَابَاذٍ³ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فغَدَّاهُ وَسَقَاهُ ، فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ :

فَلَيْتَ زِيَادًا لَا يَزَلْنَ بَنَاتُهُ يَمْتَنُ وَأَلْقَى كُلَّمَا عِشْتُ عَابِسًا
فَذَلِكَ يَوْمٌ غَابَ عَنِّي شَرُّهُ وَأَنْجَحْتُ فِيهِ بَعْدَ مَا كُنْتُ آيسَا

[أخذه الشرط من حانة فرشاهم]

ونسخت من كتابه : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو قَالَ : شَرِبَ الْأَقَيْشِرُ فِي بَيْتِ خَمَّارٍ بِالْحَيْرَةِ ، فَجَاءَهُ الشَّرْطُ لِأَخْذِهِ ، فَتَحَرَّرَ مِنْهُمْ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ : لَسْتُ أَشْرَبُ ، فَمَا سَبِيلُكُمْ عَلَيَّ ! قَالُوا : قَدْ رَأَيْنَا الْعَسَّ⁴ فِي كَفِّكَ وَأَنْتَ تَشْرَبُ . قَالَ : إِنَّمَا شَرِبْتُ مِنْ لَبَنِ لِقْحَةٍ لِصَاحِبِ الدَّارِ ، فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى أَخَذُوا مِنْهُ دَرَاهِمِينَ . فَقَالَ :

إِنَّمَا لِقِحْتُنَا بَاطِيَةً فَإِذَا مَا مُزِجَتْ كَانَتْ عَجَبٌ⁵
لَبْنٌ أَصْفَرٌ صَافٍ لَوْنُهُ يَنْزِعُ الْبَاسُورَ مِنْ عَجَبِ الذَّنْبِ
إِنَّمَا نَشْرَبَ مِنْ أَمْوَالِنَا فَسَلُّوا الشَّرْطِيَّ مَا هَذَا الْعَضْبُ

1 ديوانه ص 61 رقم 15 وفي ديوان الحماسة لأبي تمام 356/4 :

ولقد غدوت بمشرفٍ يافوخه عسر المكرة ماؤه يتفصد

مرح يمج من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقدد

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

4 العس : القدح العظيم .

5 اللقحة : الناقة الحلوب .

[عبد الملك يقول إنه شاعر بني أسد]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال : دخل وفدُ بني أسدٍ على عبد الملك ابن مروان ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بني أسد ؟ قالوا : إنَّ فينا شعراءَ ما يرضى قومهم أن يفضّلوا عليهم أحداً . قال لهم : فما فعل الأقيشير ؟ قالوا : مات . قال : لم يمّت ، ولكنّه مشغولٌ بعيشه ، وما أبعدُ أن يكون شاعرُكم إلاّ أنّه يُضيع¹ نفسه . أليس هو القائل : [من السريع]

يا أيّها السائل عمّا مضى من علم هذا الزمنِ الذهابِ
إن كنتَ تبغي العِلْمَ أو أهله أو شاهداً يُخبرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

[قال في جار طحان لم يقرضه]

وذكر عبدُ الله بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جاراً للأقيشير طحاناً كان يُنسى² الناسَ يُكنى أبا عائشة . فأتاه الأقيشير يسأله فلم يُعطه ، فقال له : [من المتقارب]

يُريدُ النساءَ ويأبى الرجالَ فما لي وما لأبي عائشة
أدامَ له الله كدَّ الرجالِ وأكله ابتته عائشة
فأعطاه ما أراد واستغفاه من أن يزيد شيئاً .

[يهجو بني هجم ثم يكف]

نسختُ من كتاب عبّيد الله بن محمد اليزيديّ بخطه : قال الهيثم بن عديّ حدثني عَطَافُ بن عاصمِ بن الحدّانِ قال : مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأقيشير ، فقال له : [من الطويل]

أبا مُعْرَضٍ كُنْ أَنْتَ إِنْ مِتُّ دافني إلى جَنبِ قَبْرِ فِيهِ شِلْوُ الْمُضَلَّلِ
فعلّي أنْ أنجو من النارِ إنَّها تُضْرَمُ للعبدِ اللّئيمِ المُبْخَلِ
بذلك أوصاها الإلهُ ولم تزلْ تُحْسُ بأوصالٍ وتُرَبِّ وجندلِ³
وأنتِ بحمدِ الله إن شئتِ مُفْلِتِي بحزْمِكَ فاحزُمِ يا أقيشيرُ واعجَلِ

فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميمٍ ثم أحد بني الهُجَيمِ بن عمرو بن تميمٍ . فقال الأقيشير :

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفَكِفُوا عن تَعْمُدِي بذُلِّ فإني لستُ بالمتذللِ

1 ل : يضع .

2 ينسىء الناس : يريد ينسىء الناس الدين أي يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

3 حش النار : أوقدها . الأوصال : المفاصل ، والجدل : الحجارة .

أيهزاً بي العبدُ المهْجِمي ضلَّةً
 بداهيّةٍ ذهبياء لا يَسْتَطِيعُهَا
 وبالله لولا أنّ حلِمي زاجري
 فكفُّوا رماكم ذو الجلالِ بخزية
 فأنتم لئامُ الناس لا تُنْكِرُونَهُ
 ومثلي رمى ذا التدرأ المتضلل¹
 شماريخُ من أركان سَلْمَى وَيذُبُل²
 تركتُ تميماً ضحكةً كلَّ محفلٍ
 تُصَبِّحُكُمْ فِي كلِّ جَمْعٍ وَمَنْزِلٍ
 والأُمُكُم طُراً حُرَيْثُ بن جَنْدَلٍ
 فصار إليه شيوخُ من بني المهْجِيمِ واعتدروا إليه واستكفوه فكفّ .

[شرب على غناء مع مقعد وأعمى]

أخبرني الأخصش قال حدثني أبو الفيّاض بن أبي شُرَاعَةَ عن أبيه قال : شرب الأقيشر بالحيرة في بيتٍ فيه خيَاطٌ مُقَعَّدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٌّ مُطْرِبٌ ، فطرب الأقيشر ، فسقاهم من شربه ، فلما انتشروا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم ، وقفز الخيَاطُ المُقَعَّدُ يرقص على ظلعه³ .
 يجهد في ذلك كلَّ جَهْدٍ . فقال الأقيشر :

ومُقَعَّدٌ قومٍ قد مشى من شرابنا
 شراباً كريح العنبرِ الوَرْدِ ريحُه
 من الفتَيَاتِ العُرِّ من أرضِ بابلٍ
 لها من زجاجِ الشامِ عُنُقٌ غريبة
 ذخائرُ فوعونَ التي جُيِّتَ له
 إذا ما رآها بعد إنقاء غَسَلِهَا
 وأعمى سَقَيْنَاهُ ثلاثاً فأبصرا
 ومَسْحوقِ هِنْدِيٍّ من المسكِ أذفراً⁴
 إذا شَفَّهَا الحاني من الدَّنِّ كَبِيراً⁵
 تأنق فيها صانعٌ وتخييراً
 وكلُّ يُسَمَّى بالعَتِيقِ مشهراً
 تدور علينا صائمُ القومِ أظفراً

[قال في تفرق الندامى]

أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني سَوَّار قال حدثني أبي قال : كان الأقيشر صاحبَ شرابٍ وندامى ، فأشخص الحجاجُ بعضَ ندمائه إلى بعض [النواحي] ، ومات بعضهم ، ونسك بعضهم ، وهرب بعضهم ؛ فقال في ذلك :

غَلَبَ الصَّبْرُ فاعترتني هُمُومٌ
 لفراقِ الثقاتِ من إخواني

1 ذو تدرأ : أي ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة .

2 الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل : جيلان .

3 الظلع : العرج .

4 المسك الأذفر : البالغ الغاية في الجودة .

5 الحاني : بائع الخمر .

مات هذا وغاب هذا وهذا دائبٌ في تلاوة القرآنِ
ولقد كان قبل إظهاره النسب لك قديماً من أظرف الفتیانِ

[شعره في بغل أبي المضاء]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن العنزي قال قال ابن الكلبى حدثني سلمة بن عبد سواع عن أبيه قال: كان الأقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة، ودرهمين للشراب، ودرهماً للطعام. وكان له جار يكتنى أبا المضاء له بغل يكرهه، وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة، حتى يأتي بيت الخمار فينزل عنده ويربطه بليجامة وسرجه، فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء، ثم يجلس فيشرب حتى يمسي، ثم يركبه وينصرف. فقال في ذلك:

يا بَغْلُ بَغْلَ أَبِي المِضاءِ تَعَلَّمَنْ أني حلفتُ ولليمين نُدُورُ
لَتُعَسِّفَنَّ وإن كَرِهْتَ مَهامِهاً فيما أُحِبُّ وكلُّ ذاك يسيرُ¹
بالرغمِ يا ولدَ الخمارِ قطعَها عمدًا وأنت مُذَكَّلٌ مصبورُ
حتى تزور مُسمِّعاً في داره وترى المُدامَةَ بالأكُفِّ تدورُ
لا يَرفعون بما يسوءُك نَعْرَةً وإذا سَخِطَتْ فحَطَبُ ذاك صغِيرُ

[خدعته امرأة بأنها أم حين الخمار]

قال: فأتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره، ودخلت الدار امرأة عبادية²، فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجة وأنا امرأته، فما تريد؟ قال: نبيذاً. قالت بكم؟ قال: بدرهمين. قالت: هلُمَّ درهميك وانتظرنى. قال لا. قالت: فذلك إليك، ومضت وتبعها، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته. فلما طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار، قالوا: وما يجلسك؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأة محتالة يقال لها أم حنين من العباديين. فعلم أنه قد خدع، فانصرف إلى خماره فأخبره بالقصة وقال له: أنسيتي اليوم³ فأسقيني ففعل. وأنشأ الأقيشر يقول:

لم يُعَرِّرْ بذاتِ خُفِّ سِوانا بعد أُختِ العِبادِ أمَّ حَنِينِ
وَعَدَدَتنا بدرهمين نبيذاً أو طِلاءِ مُعَجَّلاً غيرَ دَينِ

1 عسف المفازة: أي قطعها بغير قصد ولا هداية.

2 عبادية: نسبة إلى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.

3 الإنساء والنسيء: التأخير في الدين وفي العمر.

ثم أَلوتُ بالدرهمين جميعاً يا لَقَوْمِي لِصِيعَةِ الدرهمين
 وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بنِ خَلْفٍ عن أبي عمرو الشَّيبانيِّ وزاد فيه : أن الخَمَارَ كان يسمَّى
 حُنَيْنٍ ، وأنَّ المرأةَ المحتالةَ قالت له : إنَّها أمُّ حُنَيْنِ الخَمَارِ الذي كان يُعامله حتى أخذتِ
 الدرهمين ثم هربتُ منه ، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التي تقدَّمتُ ، وبعدها : [من الخفيف]

عاهدتُ زوجَها وقد قال إنِّي	سوف أَعِدُّو لحاجتي ولدَني
فدَعَتُ كالِحِصانٍ أبيضَ جَلداً	وافرَ الأيِّرِ مُرْسَلِ الخُصْبَتَيْنِ
قال ما أُجْرُ ذا هُدَيْتِ فقالت	سوف أُعْطيك أُجْرَه مرَّتَيْنِ
فأبدِ الآنَ بالسُّفاحِ فلما	سافحتَه أرضتَه بالأخريَيْنِ
تلَّها للجبينِ ثُمَّ امتطَّها	عالمُ الأيِّرِ أُنْحَجُ الحالينِ ¹
بينما ذاكَ منهما وهي تحوي	ظهرَه بالبَنانِ والمِعصَمينِ
جاءَها زَوْجُها وقد شامَ فيها	ذا انتصابٍ مُوثَّقِ الأخدَعينِ ²
فَتَأَسَّى وقالَ وَيَلَّ طويلاً	لِحُنَيْنِ من عارٍ أمُّ حُنَيْنِ

قال : فجاء حُنَيْنُ الخَمَارِ فقال له : يا هذا ما أردتُ بهجائي وهجاء أُمِّي ؟! . قال : أخذتُ
 مِنِّي درهمين ولم تُعْطِنِي شِراباً . قال : والله ما تعرفك أُمِّي ولا أخذتُ منك شيئاً قطُّ ، فانظُرْ إلى
 أُمِّي فإن كانت هي صاحبتك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرف غيرَ أُمِّ حُنَيْنِ ، ما
 قالت لي إلا ذلك ، ولا أهجو إلا أُمَّ حُنَيْنِ وابنها ، فإن كانت أُمَّك فأياها أعني . وإن كانت أُمُّ
 حُنَيْنِ أُخْرَى فأياها أعني . فقال : إذا لا يفرِّقُ الناسُ بينهما . قال : فما عَلَيَّ إذا ! أترى درهميَّ
 يَضِيَعانِ ! فقال له : هلُمَّ إذا أغرَمَهما لك وأقم ما تحتاج إليه ، لا بارَكَ اللهُ لك ؛ ففعل .

[استكبه العريان بن الهيثم من ملحه]

قال عبد الله وحدثني أبو عمرو قال : كان العريان بن الهيثم النَّخعيَّ صديقاً للأقيشر ، فقال
 له : يا أقيشر إنِّي أريد أن أمتدَّ إلى الشام فأكتبني³ من مُلْحِك فأكتبه . فخرج إلى الشام فأصاب
 مالاً ، فبعث إلى الأقيشر بخمسين درهماً ، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوه إذ
 وَضَع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأقيشر : [من الكامل]

وسألَني يومَ الرَّحِيلِ قصائداً فَمَلَأْتُهُنَّ قصائداً وكتاباً

1 تلها للجبين : صرعها . أفصح الحالين : متباعد ما بينها .

2 الأخدعان : عرقان في جاني العتق .

3 الإلكاب : الإملاء .

إِنِّي صَدَقْتُكَ إِذْ وَجَدْتُكَ صَادِقًا وَكَذَّبْتَنِي فَوَجَدْتَنِي كَذَابًا
وَفَتَحْتُ بَابًا لِلخِيَانَةِ عَامِدًا لَمَّا فَتَحْتَ مِنَ الخِيَانَةِ بَابًا

وكان أبو العُريان على الشُّرطة ، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه . وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألَّا يُشهره ، فأخذها وفعل .
[يهجو رجلاً من حضرموت]

قال أبو عمرو : وخطب رجلٌ من حضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبِهَا وَأُمَّهَاتِهَا ، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها . فقال له : مِن [أين] أنت ؟ قال : من حَضْرَمَوْتِ . فأنشأ يقول :

حَضْرَمَوْتُ فَتَشْتُ أَحْسَابِنَا وَإِلَيْنَا حَضْرَمَوْتُ تَنْسِيبُ
إِخْوَةُ القِرْدِ وَهُمْ أَعْمَامُهُ بَرِئْتُ مِنْكُمْ إِلَى اللَّهِ العَرَبِ

[يقول لعمته إما الصلاة أو الرضوء]

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن أبي أيوب المدنيِّ قال قال أبو طالب الشاعر حدَّثني رجلٌ من بني أسدٍ قال : سَمِعْتُ عَمَّةَ الأقيشر تقول له يوماً : اتَّقِ اللَّهَ وَقُمْ فَصَلِّ ، فقال : لا أُصَلِّي . فأكثر عليه ، فقال : قد أبرمتني ، فاختراري خَصْلَةً من خَصْلَتَيْنِ : إمَّا أَنْ أُصَلِّيَ وَلَا أُطَهَّرَ ، وإمَّا أَنْ أُطَهَّرَ وَلَا أُصَلِّيَ . قالت : قَبْحَكَ اللَّهُ ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء .
[خاف شرطياً فسقاه من ثقب الباب]

قال أبو أيوب : وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ شَرِبَ يوماً فِي بَيْتِ خَمَّارٍ بِالْحَيْرَةِ ، فَجَاءَ شُرْطِيُّ مِنْ شُرْطِ الأَمِيرِ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ ، فَغَلَقَ البَابَ دُونَهُ . فناداه الشُّرْطِيُّ اسْقِنِي نَبِيذًا وَأَنْتَ آمِنٌ . فقال : وَاللَّهِ مَا آمَنُكَ ، وَلَكِنْ هَذَا ثَقْبٌ فِي البَابِ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ وَأَنَا أُسْقِيكَ مِنْهُ ، ثُمَّ وَضَعَ لَهُ أَنْبُوبًا مِنْ قَصَبٍ فِي الثَّقْبِ وَصَبَّ فِيهِ نَبِيذًا مِنْ دَاخِلِ والشُّرْطِيُّ يَشْرَبُ مِنْ خَارِجِ البَابِ حَتَّى سَكِرَ . فقال الأقيشر :

سَأَلَ الشُّرْطِيُّ أَنْ نَسْقِيَهُ فَسَقَيْنَاهُ بِأَنْبُوبِ القَصَبِ
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِنَا فَسَلُّوا الشُّرْطِيَّ مَا هَذَا الغَضْبُ

[أعطاه قيس بن محمد مالا مرارا ثم منعه فهجاه]

أخبرني عمِّي عن الكُرَّانِيِّ عَنِ قَعْنَبِ بنِ المُحَرِّزِ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنِ خَلْفٍ عَنِ أَبِي أَيُوبِ المَدِينِيِّ عَنِ قَعْنَبِ بنِ الهَيْثِمِ بنِ عَدِيِّ قَالَ : كَانَ قَيْسُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الأشعثِ ضَرِيرَ البَصْرِ ، فَأَتَاهُ الأقيشرُ فَسَأَلَهُ ، فَأَمَرَ قَهْرْمَانَهُ¹ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِمِائَةَ دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ : لَا أُرِيدُهَا جَمَلَةً ، وَلَكِنْ مِرَّ القَهْرْمَانِ أَنْ

يُعطيني في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمٍ حتى تَنفَدَ . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرايه ، ودرهماً لدايئةٍ تحمله إلى بيوت الخمارين . فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الرابعة فسأله . فقال له قيسٌ : لا أبا لك ! كأنك قد جعلتَ هذا خراجاً علينا . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

ألم ترَ قيسَ الأكمه ابنَ محمد
يقول ولا تلقاه للخيرِ يفعلُ
رأيتك أعمى العينِ والقلبِ مُمسِكاً
وما خيرُ أعمى العينِ والقلبِ يبخلُ
فلو صمَّ تمتَ لعنةُ الله كلِّها
عليه وما فيه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشير لنجوتُ منه .

[كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن العنزيِّ عن محمد بن معاوية قال : اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ ، فقالوا : نجعل بيننا أولَ من يطلُّ علينا . فطلُّع الأقيشر عليهم وهو سكران . فقال بعضهم لبعض : انظروا من حكمننا . فقالوا : يا أبا معرضٍ قد حكمناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

إذا صليتُ خمساً كلَّ يومٍ
فإنَّ الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك بربِّ الناس شيئاً
فقد أمسكتُ بالحبْلِ الوثيقِ
وهذا الحقُّ ليس به خفاً
ودعني من بُنيات الطَّرِيقِ¹

[مدح غريب لمجوسٍ أعطاه مهر زوجته]

قال محمد بن معاوية : وتزوج الأقيشر ابنة عمِّ له يقال لها الرِّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسأهم فلم يُعطوه شيئاً ؛ فأتى ابن رأس البغل وهو دُهقان الصِّين وكان مجوسياً ، فسأله فأعطاه الصِّداق . فقال الأقيشر : [من المتقارب]

كفاني المجوسيَّ مَهْرَ الرِّبابِ
فدئى للمجوسيّ خالي وعمِّ
شهدتُ بأنك رطبُ المشاشِ
وأنَّ أباك الجوادُ الخِضَمُّ²
وأنك سيّدُ أهلِ الجحيمِ
إذا ما تردّيتَ فيمن ظلمَ
تُجاوِرُ قارونَ في قعرها
وفرعونَ والمكتسى بالحكمِّ

1 بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . وهي مثل : أي عليك بمعظم الأمر ودع الروغان مجمع الأمثال للميداني 473/1 .

2 فلان لين المشاش : إذا كان طيب التحيزة عفيفاً عن الطمع .

فقال له المجوسي: وَيَحْك! سألتَ قومَكَ فلم يُعطوك وجعنتي فأعطيتك ، فجزيتني ، هذا القول ولم أُفَلتْ من شِعْرِكَ وشْرِك! قال: أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل! .
[ذهب إلى عكرمة بن ربعي فلم يعطه فهجاه]

ثم جاء إلى عِكرمة بن رِبعي التميمي فلم يُعْطِه ، فقال فيه : [من المتقارب]
سألتُ رِبعيةَ مَنْ شَرُّها أباَ ثم أماً فقالوا لِمَ
فقلتُ لأَعْلَمَ مَنْ شُرُكُم وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمةَ
فقالوا لعِكرمةَ المُخزِياتُ وما ذا يرى الناسُ في عِكرمةَ
فإن يَكُ عبداً زكا ماله فما غيرُ ذا فيه من مكرمةَ
[شرب بما معه وبثيابه]

قال ابن الكلبي: وشرب الأقيشير في حانة¹ خمّار حتى أنفد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقَتْ² فلم يَبْقَ عليه شيء ، وجلس في تَبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِهِ مستدفئاً به . فمرَّ رجلٌ به يَنْشُدُ ضالّةً ، فقال : اللهمَّ ارْدُدْ عليه واحفظ علينا . فقال له الخمّار : تَخِنتُ عينُك ؛ أي شيء يحفظ عليك ربك ؟ قال : هذا التبن لا تأخذهُ فأموتُ من البرد . فضحك الخمّار وردّ عليه ثيابه وقال : اذهبْ فاطلُبْ ما تشرب به ، ولا تجعني بثيابك فإنني لا أشتريها بعد ذلك .
[حواره مع شرطبي وهو سكران]

قال ابن الكلبي: واجتاز الأقيشير برجلٍ يقال له هشامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْثٍ وهو سكران ، فدعا به فقال له : أنت سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفْرَجَلاً ، ثم قال :

يقولون لي انكّه شربتُ مُدامةً فقلتُ كذبتم بل أكلتُ سفرجلاً³
فضحك منه ثم قال : فإن لم تكن سكران فأخبرني كم تصلي في كل يوم . فقال : [من الوافر]
يسألني هشامٌ عن صلاتي صلاةَ المسلمين فقلتُ خمسُ
صلاةَ العصرِ والأولى ثمانٍ مُواترةً فما فيهنّ لبسُ
وعند مغيبِ قرْنِ الشمسِ وترٌّ وشَفَعٌ بعدها فيهنّ حبسُ
وغُدوةً اثنتانِ معاً جميعاً ولما تبدُّ للرائين شمسُ

1 ل : حانوت .

2 العلق هنا : ضد الفك .

3 نكه فلان : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه واستنكهه : شم ريح فمه .

وبعدهما لوقتها صلاةٌ لِنَسْكِ بِالضُّحَاءِ إِذَا نَبَسُ¹
 أَحْصَيْتُ الصَّلَاةَ أَيَا هَشَامًا فَذَاكَ مُكَدَّرُ الْأَخْلَاقِ جَبَسُ²
 تَعَوَّدَ أَنْ يُلَامَ فَلَيْسَ يَوْمًا بِحَامِدِهِ مِنَ الْأَقْوَامِ إِنْسُ³
 قال : فضحك هشام وقال : بلى قد أخبرتنا يا أبا معرٍض ، فأنصرف راشداً .

[استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أَبِي عبيدة قال : قَدِمَ رجلٌ من بني سَلُولٍ على قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ بكتاب عامله على الرِّيِّ وهو المُعَلِّي بن عمرو المُحَارِبِيَّ . فرآه على الباب قُدَامَةَ بنِ جَعْدَةَ بنِ هُبَيْرَةَ المخزوميِّ وكان صديقاً لِقُتَيْبَةَ ، فدخل عليه فقال له : بِيَابِكِ أُمُّ الْعَرَبِ ، سَلُولِي رَسُولُ مُحَارِبِيٍّ إِلَى بَاهِلِيٍّ . فْتَبَسَّمَ قُتَيْبَةُ تَبَسُّمًا فِيهِ غَيْظٌ . وكان قدامة بن جعدة يُتَهَمُ بِشْرَبِ الْخَمْرِ ، وكان الأقيشر يُنادمه . فقال قتيبة : ادعوا لي مرداس بن جذام الأَسْدِيَّ فدُعِيَ . فقال له : أنشدني ما قال الأقيشر في قدامة بن جعدة وهو بالحيرة . فأنشده [قوله] :

رُبَّ نَدْمَانٍ كَرِيمٍ مَاجِدٍ سَيِّدِ الْجَدِّيِّنَ مِنْ فَرَعِيٍّ مُضَرٍّ⁴
 قَدْ سَقَيْتُ الْكَأْسَ حَتَّى هَرَّهَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَدْرٌ³
 قَلْتُ قُمْ صَلِّ فَصَلَّى قَاعِدًا تَتَغَشَّاهُ سَمَادِيرُ السَّكْرِ⁴
 قَرَنَ الظُّهْرَ مَعَ الْعَصْرِ كَمَا تُقْرَنُ الْحَقَّةُ بِالْحِقِّ الذِّكْرِ⁵
 تَرَكَ الْفَجَرَ فَمَا يَقْرَؤُهَا وَقَرَأَ الْكَوْتَرَ مِنْ بَيْنِ السُّورِ

قال : فتغير لون وجه القُرَشِيِّ وخجل . فقال له قتيبة : هذه بتلك ، والباديء أظلم⁶ .

[استنشد عبد الملك أبياته في الخمر]

أخبرني الأَخْفَشُ عن محمد بن الحسن بن الحُرُونِ قال حَدَّثَنَا الْكَسْرَوِيُّ عن الأصمعيِّ قال : قال عبد الملك للأقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر ، فأنشده قوله : [من الطويل]
 تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوْجَهُ أَحْيَاهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبُ

1 نَبَسَ : من معانيها دعوة الناقة للحلب ، ومنها ما يفيد العمل ، ومنها صوت الزجر للدابة للسوق . أو عند سوق الغنم إلى الماء .

2 الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللثيم .

3 هرها : كرهها .

4 السمادير هنا : شيء يترأى للإنسان من ضعف بصره عند السكر ، جمع سمدر .

5 الحققة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .

6 مثل ورد في مجمع الأمثال 496/3 «هذه بكل والبادي أظلم ، قاله الفرزدق حين سمع إجابة جرير على هجائه له قاله أولاً .

كَمَيْتٌ إِذَا فُضَّتْ فِي الكَأْسِ وَرَدَةٌ لها في عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ
فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا أبا مُعْرِضٍ ؛ وَلَقَدْ أَجَدْتَ وَصَفَهَا ، وَأَظْنُكَ قَدْ شَرِبْتَهَا . فَقَالَ : وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَيَرِينِي مِنْكَ مَعْرِفَتُكَ بِهَذَا .
[قصة له مع بعض ندمائه في حانة]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابن الكلبي عن رجلٍ من الأزد قال :
كان الأقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيعطونه ، فأتي رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم ،
فأخذها وتوجه إلى الحانة ودفعها إلى صاحبها وقال له : أقيم لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك ،
وانضم إليه رُفقاء له ، فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم
من غدا فاحتملوه ، فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب
الحانة : أصددنا إلى عُرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنا لم نأت اليوم . فلما جاء الأقيشر أعلمه ما
قالوه له . فعلم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهنٍ ، فطرح إليه ثيابه وقال له :
أقيم لي ما أحتاج إليه ففعل . فلما أخذ فيه الشراب أنشأ يقول : [من الخفيف]

يا خليلي استقياني كاسا ثم كأساً حتى أخير ناعسا
إن في العرقة التي فوق رأسي لأناساً يخادعون أناسا
يشربون المعتق الراح صيرفاً ثم لا يرفعون بالزور راسا

فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بأبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له : إما أن تصعد إلينا أو
ننزل إليك ، فصعد إليهم .
[قصته مع عمه بعدما أعطاه بشر بن مروان]

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال :
مدح الأقيشر بشر بن مروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمَنُ بن خريم بن فاتك
الأسدي ، فقال أيمَنُ : هذا والله كلامٌ حسنٌ من جوفٍ حربٍ . فأجابه بالبيت المذكور .
وقال أبو عمرو أيضاً في خبره : فلما صار الأقيشر إلى منزله بعث عمه فأخذ منه الألف الدرهم
وقال : والله لأخليك تفسدها وتشرب بها الخمر . قال : فتصنع بها ماذا ؟ قال : أكسوك
واكسو عيالك وأعد لك قوت عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له : [من الطويل]

أبلغ أبا مروان أن عطاءه أزاغ به من ليس لي بعيال

قال : ومن ذلك ؟ فأخبره الخير . فأمر صاحب شُرطته أن يحضر عمه ويتزعم منه الألف
الدرهم ويسلمها إليه ، وقال : خذها ونحن نقوم لعيالك بما يصلحهم .

[مدح خمارة بشر داعر فسرت به]

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : مر الأقيشر بخمارة بالحيرة

يقال لها دومة ، فنزل عندها فاشترى منها نبيداً ، ثم قال لها جوددي لي الشراب حتى أجد لك المدح
ففعلت . فأنشأ يقول :

ألا يا دوم دام لك النعيمُ وأسمرُ ملءُ كفك مستقيمُ
شديدُ الأسرِ يَبِضُ حالباه يُحَمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ¹
يُرَوِّيه الشرابُ فيزدهيه وينفخُ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال : فسرت به الخمارة وقالت : ما قيل في أحسن من هذا ولا أسر لي منه .

[مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان
فاتك بن فضالة بن شريك الأسدي كريماً على بني أمية ، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان
قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزبير ، فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه ، وأن
يسلموا مضعباً إذا لقيه ويتفرقوا عنه . وله يقول الأقيشر في هذه الوفاة :

[من الكامل]

وقد الوفودُ فكنْتَ أفضلَ وافِدِ يا فاتكُ بنَ فضالةَ بنِ شريكِ

[انكسر المنبر من تحت الوالي التميمي فهجا قومه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السُّكَّرِيِّ قال حدثني ابن حبيب قال : ولي الكوفة
رجلٌ من بني تميم يقال له مطرٌ² ؛ فلما علا المنبر انكسرت الدرجة من تحته فسقط عنها ؛ فقال
الأقيشر :

[من الكامل]

أبني تميمٍ ما لِمَنبرِ مُلكِكُم ما يَسْتَقِرُّ قرارُهُ يَتَمَرَّمُ³
إنَّ المنابرَ أنكرتُ أستاذكم فادعُوا خزيمَةَ يَسْتَقِرُّ المنبرُ

[ينهاجى مع قريظة بن قرظة]

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذثان قال : مرَّ رجلٌ
من محاربٍ يقال له قريظة بن قريظة بالأقيشر الأسدي وهو في مجلسٍ من مجالس بني أسد ،
فسلم على الأقيشر وكان به عارفاً . فقال له القوم : من هذا يا أبا معرض ؟ وكان مخموراً ،
فقال :

[من الطويل]

ومن لي بأن أسطيع أن أذكر اسمَه وأعيا عقالاً أن يطيق له ذكرا

قال : فضحك القوم وقالوا : سبحان الله ؛ أي شيء تقول ؟ فقال : اسمه ونسبه أعظم من

1 الأسر : شدة الخلق .

2 وهو مطر بن ناجية البربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري وقد ورد هذا الاسم في شعر
للأقيشر ، الشعر والشعراء : 560/2 . انظر ديوانه ص 71 رقم 23 .

3 ديوانه ص 71 رقم 23 وفي الشعر والشعراء 560/2 : لا يستقرُّ قعوده يتمرمر . ويتمرمر : يهتز ويضطرب .

أَنْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِهِمَا فِي يَوْمٍ ، فَإِنْ شَتَّمْتُمْ سَمِيئَةَ الْيَوْمِ وَنَسَبْتُهُ غَدًا ، وَإِنْ شَتَّمْتُمْ نَسَبَهُ الْيَوْمِ وَسَمِيئَةَ غَدًا . قَالُوا : هَاتِ اسْمَهُ الْيَوْمِ . فَقَالَ : قُرَيْظَةَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ابْنُ يَقْظَةَ . فَقَالَ الْأَقْيَشِيرُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ وَأَصَبْتَ ، وَلَقَدْ أَثْقَلَنِي اسْمُهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ أَنْ أَقُولَ نَعَمْ . فَبَلَغَ قُرَيْظَةَ قَوْلُهُ وَكَانَ شَاعِرًا فَقَالَ :

[من الطويل]

لِسَانُكَ مِنْ سُكْرٍ ثَقِيلٍ عَنِ التَّقَى وَلَكِنَّهُ بِالْمُخْزِيَّاتِ طَلِيقُ
وَأَنْتَ حَقِيقٌ يَا أَقْيَشِيرُ أَنْ تُرَى كَذَاكَ إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُفِيقٍ¹
تَسَفُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ صِرْفًا تَخَالُهَا جَنَى النَّحْلِ يُهْدِيهِ إِلَيْكَ صَدِيقُ

فَبَلَغَ الْأَقْيَشِيرُ قَوْلَ الْمُحَارِبِيِّ وَكَانَ يُكْنَى أَبُو الذِّيَالِ ، فَأَجَابَهُ فَقَالَ :

[من الطويل]

عَدِمْتُ أَبُو الذِّيَالِ مِنْ ذِي نَوَالَةٍ لَهُ فِي بِيوتِ الْعَاهِرَاتِ طَرِيقُ
أَبَا الْخَمْرِ عَيْرَتٌ أَمْرًا لَيْسَ مُقْلِعًا وَذَلِكَ رَأْيِي لَوْ عَلِمْتَ وَثِيقُ
سَأَشْرِبُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِنْ أُمْتُ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا زَفْرَةٌ وَشَهِيقُ

[أعجب الرشيد بشعره في التوبة]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الرَّشِيدَ سَمِعَ لَيْلَةً رَجُلًا يَغْنِي² :

[من البسيط]

إِنْ كَانَتْ الْخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ وَقَدْ مُنِعَتْ وَحَالَ مِنْ دُونِهَا الْإِسْلَامُ وَالْحَرْجُ
فَقَدْ أَبَا كَرُهَا صِرْفًا وَأَشْرَبُهَا أَشْفِي بِهَا غَلْتِي صِرْفًا وَأَمْتَرَجُ³
وَقَدْ تَقَوْمُ عَلَى رَأْسِي مُغْنِيَةٌ لَهَا إِذَا رَجَعَتْ فِي صَوْتِهَا غُنْجُ
وَتَرْفَعُ الصَّوْتِ أحيانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطِنُّ ذُبَابُ الرَّوْضَةِ الْهَزْجُ

قَالَ : فَوَجَّهَ فِي أَثَرِ الصَّوْتِ مَنْ جَاءَهُ بِالرَّجْلِ وَهُوَ يُرْعَدُ ، فَقَالَ : لَا تُرْعَغُ فَإِنَّمَا أَعْجَبَنِي حُسْنُ صَوْتِكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَغْنَيْتَ بِهَذَا الشَّعْرَ إِلَّا وَأَنَا قَدْ تَبْتُ مِنْ شَرْبِ النَّبِيذِ ، وَهَذَا شَعْرٌ يَقُولُهُ الْأَقْيَشِيرُ فِي تَوْبَتِهِ مِنَ النَّبِيذِ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِهِ ؟ قَالَ : خَشْيَةُ اللَّهِ . وَإِنِّي فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ ظَبْيَانَ :

[من البسيط]

جَاءُوا بِقَاقِرَّةٍ صَفْرَاءَ مُتْرَعَةٍ هَلْ بَيْنَ ذِي كِبَرَةٍ وَالْخَمْرِ مِنْ نَسَبِ⁴

1 في هذا البيت إقواء .

2 ديوانه ص 58 رقم 12 عن الأغاني .

3 في ديوان أبي محجن :

فقد أبأكرها ربا وأشربها صرفا وأطرب أحيانا فأمترج

4 القاقرة : الصغيرة من القوارير .

بئس الشرابُ شراباً حينَ تَشْرَبُهُ يوهي العظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ
 إِنِّي أَخَافُ مَلِيكِي أَنْ يُعَذِّبَنِي وفي العشيِّرة أن يُزْرِي على حَسْبِي
 فقال له الرشيد : أنتَ وما اخترتَ أَعْلَمُ ، فأعِدِ الصوتَ ، فأعادَه . وأمر بإحضار المغنين
 واستعادَه ، وأمرهم بأخذهِ عنه فأخذوه ، ووصله وانصرف ، وكان صوتَ الرشيدَ أياماً .
 هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عُثْر بن شَبَّة في هذا الخبر أن الأبيات للأفيشر ، ووجدتها
 في شعر أبي مِحْجَنٍ التَّفْهِي له لما تاب من الشراب .
 [خرج لغزو الشام فأنفق ثمن حماره في الفجور]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب قال : كان القُبَاعُ ، وهو
 الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، قد أخرج الأفيشِرَ مع قومه لقتال أهل الشام ، ولم يكن
 عند الأفيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ ، فلما عبرَ جسرَ سُوراء¹ فوصل لقرية يقال لها قَيْن تَوَارِي
 عند حَمَارِ نَبْطِي يُبْرِز زوجته للفجور ، فباع حِمَارَه وجعل يُفقهه هناك ويشرب بئس منه ويفجر
 إلى أن قفل الجيش ، وقال في ذلك :

خرجتُ من المِصرِ الحَوَارِيَّ أهله بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعَل
 إلى جيشِ أهلِ الشَّامِ أُغْزِيَتْ كارهاً سَفَاهاً بلا سيفِ حديدٍ ولا نَبَلٍ²
 ولكنْ بِتَرْسٍ ليس فيه حِمَالَةٌ ورُوحٍ ضَعِيفِ الرُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ
 حَبَانِي به ظَلُمُ القُبَاعِ ولم أَجِدْ سوى أمرِه والسَّيرِ شيئاً من الفِعْلِ
 فأزمتُ أمرِي ثم أصبحتُ غَازِيَاً وسَلَّمْتُ تسليمَ الغُرَاةِ على أهلي
 وقلتُ لَعَلِّي أن أرى ثمَّ رَاكِبَاً على فرسٍ أو ذا مَتَاعٍ على بَعْلِ
 جَوَادِي حِمَارٍ كان حيناً لِظَهْرِهِ إِكافٌ وإشناق المَزَادَةِ والحبلِ
 وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه قوائِمُ سَوءٍ حين يُزَجَّرُ في الوَحْلِ
 إذا ما اتَّحَى في الماءِ والوَحْلِ لم تَرَمْ قوائِمُه حتَّى يُوَحَّرَ بالحِمْلِ
 أنادي الرِّفَاقَ بَارِكَ اللهُ فيكمُ رُوَيْدِكُمْ حتَّى أجوزَ إلى السَّهْلِ
 فسيرنا إلى قنين يوماً وليلَةً كأنَّا بَغَايا ما يَسِرْنَ إلى بَعْلِ
 إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلًّا سَاحَةٍ سوى يابس الأنهارِ أو سَعْفِ النَّخْلِ

1 سورا : قرية بالعراق من أرض بابل ، وقد نسبوا إليها الخمر . وسوراء : موضع قرب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها .

2 أغزاه : حملة على الغزو .

مَرَرْنَا عَلَى سُرَّاءٍ نَسْمَعُ جَسْرَهَا يَطُّ نَقِيضًا عَنْ سَفَائِنِهِ الْفَضْلِ¹
 فَلَمَّا بَدَأَ جَسْرُ السَّرَّاءِ وَأَعْرَضَتْ لَنَا سَوْقُ فُرَاغِ الْحَدِيثِ إِلَى شُغْلِ
 نَزَلْنَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَبَاءِ حَلَالٍ بَرِغَمِ الْقَلْطَمَانِ وَمَا نَفْلِ²
 يُشَارِطُهُ مَنْ شَاءَ كَانَ بَدْرَهُمْ عَرُوسًا بِمَا بَيْنَ السَّبِيئَةِ وَالنَّسْلِ
 فَاتَّبَعْتُ رُمَحَ السَّوِّءِ سَمِيَةَ نَصْلِهِ وَبَعْتُ حِمَارِي وَاسْتَرَحْتُ مِنَ الثَّقْلِ
 تَقُولُ ظَبَايَا قَلِّ قَلِيلًا أَلَا لِيَا فَقَلْتُ لَهَا إِصْوَى فَإِنِّي عَلَى رَسْلِ
 مَهْرَتِ لَهَا جَرْدِيْقَةَ فَتَرَكْتُهَا بِمَرَهَا كَطَرْفِ الْعَيْنِ سَائِلَةَ الرَّجْلِ
 وَمَا يُغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِ الْأَقْيَشِيرِ : [من البسيط]

صوت

لَا أَشْرَبْنُ أَبَدًا رَاحًا مُسَارِقَةً إِلَّا مَعَ الْغُرِّ أَبْنَاءَ الْبَطَارِقِ
 أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبِ قَرَعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهِ الْأَبَارِقِ³
 الْغَنَاءَ لِحْنَيْنِ هَزَجٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لِعَمْرِ الْوَادِي رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ هِشَامِي . وَفِيهِ
 ثَقِيلٌ أَوَّلُ يُنْسَبُ إِلَى حُنَيْنٍ وَعُمَرُ وَحَكْمٌ جَمِيعًا . وَهَذَا الْغَنَاءُ الْمَذْكُورُ مِنْ قَصِيدَةِ لِلْأَقْيَشِيرِ
 طَوِيلَةٌ ، أَوَّلُهَا : [من البسيط]
 إِنِّي يَذْكُرْنِي هَنَدًا وَجَارَتَهَا بِالطَّفِّ صَوْتُ حَمَامَاتٍ عَلَى نَبِيٍّ⁴

صوت

دَعَانِي دَعْوَةٌ وَالخَيْلُ تَرْدِي فَلَا أُدْرِي أَبَاسْمِي أَمْ كَنَانِي
 وَكَانَ إِجَابَتِي إِيَّاهُ أَنِّي عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِي
 الشَّعْرَ لَابِنِ الْغَرِيْزَةِ النَّهْشَلِي . وَالْغَنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّي رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِي . وَقَدْ جَعَلَ
 الْمُغَنُّونَ مَعَهُ هَذَا الْبَيْتَ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي قَصِيدَتِهِ ، وَلَا أُدْرِي أَهْوَلَهُ أَمْ لَغِيْرَهُ : [من الوافر]
 أَلَا يَا مَنْ لَذَا الْبَرْقِ الْيَمَانِيَّ يَلُوْحُ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانٍ⁵

1 يَطُّ : يَصَوْتُ . وَالنَّقِيْضُ : الصَّوْتُ .

2 الْبَاءُ : النِّكَاحُ .

3 التَّلَادُ : الْمَالُ الْقَدِيمُ مِنْ تَرَاثٍ وَغَيْرِهِ . وَالنَّشَبُ : الْمَالُ الثَّابِتُ كَالدَّارِ وَنَحْوِهَا . أَوْ هُوَ الْمَالُ الْأَصِيلُ مِنَ النَّاطِقِ

وَالصَّامِتِ . الْقَوَاقِيزُ : ضَرْبٌ مِنَ الرِّوَاظِيمِ وَهُوَ الْكُوْسُ الصَّغِيرَةُ .

4 الطَّفُّ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ . النَّبِيْقُ : حَرْفٌ مِنَ حُرُوفِ الْجِبَلِ ، وَأَرْفَعُ مَوْضِعٌ فِيهِ .

5 الْبَانِي هُنَا : الدَّخَالُ بِأَهْلِهِ . وَكَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانٍ مِثْلُ : يَضْرِبُ فِيمَا يَبْقَى لَيْلَهُ وَلَا يَزُولُ .

[190] - أخبار ابن الغريزة ونسبه

[نسبه]

كثيرُ بن الغريزة التميميُّ أحدُ بني نهشلي . والغريزةُ أمه . وهو مخضرمٌ ، أدرك الجاهليَّة والإسلام ، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقولُه ابنُ الغريزة في غزاةِ غزاها الأقرعُ بن حابسٍ وأخوه بالطَّالقان¹ وجوزجان² وتلك البلادِ ، فأصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالقانِ فرثاهم ابنُ الغريزة .

[قصيدته التي يرثي فيها قتلى يوم الطالقان]

أخبرني الصُّوليُّ عن الحزَنبَلِ عن ابنِ أبي عمرو الشَّيبانيِّ عن أبيه قال : بعثَ عُمرُ بن الخطَّابِ الأقرعُ بن حابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطَّالقانِ وجوزجانِ وتلك البلادِ ، فأصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالقانِ ، فقال ابنُ الغريزة النَّهشليُّ وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم :

سقى مُزناً السَّحابِ إذا استهلَّتْ	مَصارعَ فتيَّةٍ بالجوزجانِ
إلى القَصْرَيْنِ من رُستاقِ حُوطِ	أبادهُمُ هناكَ الأقرعانِ ³
وما بي أنْ أكونَ جَزَعْتُ إلاَّ	حينَ القلبِ للبرقِ اليمانيِّ
ومَحْبُورٍ بِرُوثِنَا يُرَجِّي الـ	لقاءً ولَنْ أراه ولن يراني
ورُبَّ أخٍ أَصابَ الموتُ قبلي	بَكَيْتُ ولو نُعيْتُ له بَكَاني
دعاني دعوةً والخيلُ تردي	فما أدري أباسمي أم كَناني ⁴
فكان إجابتِي إياهُ أنِّي	عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العنانِ ⁵
وأيُّ فتى دَعَوْتُ وقد تَوَلَّتْ	بهنَّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ ⁶

1 الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

2 جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

3 القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقرها . يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

4 ردت الفرس تردي : رجمت الأرض بخوافرها ، أو هو ضرب من السير بين العدو والمشى .

5 خوَّار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .

6 يقال : طرَّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه .

وَأَيَّ فَتَى إِذَا مَا مُتْ تَدْعُو يُطَرِّفُ عَنْكَ غَاشِيَةَ السَّنَانِ
فَإِنْ أَهْلِكَ فَلَمْ أَكُ ذَا صُدُوفٍ عَنِ الْأَقْرَانِ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ¹
وَلَمْ أُدْلِجْ لِأَطْرُقِ عِرْسَ جَارِي وَلَمْ أَجْعَلْ عَلَى قَوْمِي لِسَانِي²
وَلَكِنِّي إِذَا مَا هَاجُونِي مَنِيحُ الْجَارِ مُرْتَفِعُ الْبِنَانِ
وَيَكْرَهُنِي إِذَا اسْتَبَسَلْتُ قِرْنِي وَأَقْضِي وَاحِداً مَا قَدْ قَضَانِي
فَلَا تَسْتَبْعِدَا يَوْمِي فَإِنِّي سَأُوشِكُ مَرَّةً أَنْ تَفْقِدَانِي
وَيُدْرِكُنِي الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَإِنْ أَشْفَقْتُ مِنْ خَوْفِ الْجَنَانِ
وَتَبْكِينِي نَوَائِحُ مُغُولَاتٍ تُرْكَنَ بَدَارِ مُعْتَرِكِ الزَّمَانِ³
حَبَائِسُ بِالْعِرَاقِ مُنْهِنَهَاتٍ سَوَاجِي الطَّرْفِ كَالْبَقْرِ الْهِيْجَانِ⁴
أَعَاذَلْتِي مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي وَلِلرَّشْدِ الْمِيَّانِ فَاهْدِيَانِي
وَعَاذَلْتِي صَوْتُكُمَا قَرِيبٌ وَنَفْعُكُمَا بَعِيدُ الْخَيْرِ وَاوِي
فَرُدَّا الْمَوْتَ عَنِّي إِنْ أَتَانِي وَلَا وَأَيُّكُمَا لَا تَفْعَلَانِ

صوت

[من الكامل]

دَارٌ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ مَا بِهَا غَيْرُ الْوُحُوشِ خَلَتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا⁵
ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَيْمِ مَا بِهِ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويعين الأخطل عليه . ويروى «رُبْعٌ لِقَانِصَةِ الْغَرَائِقِ» وهو الصحيح هكذا ، ويُعْنَى «دَارٌ لِقَاتِلَةِ» لَأَنَّهُ يَقُولُ فِي آخِرِ الْبَيْتِ «خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا» . والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقبيل بالنصر عن عمرو بن بانه وابن المكِّي . وفيه لمُخَارِقِ رَمَلٌ مِنْ جَمِيعِ أَغَانِيهِ .

1 الصّدوف : الإعراض .

2 الإدلاج : السير من أول الليل .

3 معترك : في ل : مغولة .

4 نهنه فلان دمهه : كفه . وسواجي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .

5 الغرائق والغرائيق : جمع غرنوق وغرنوق وغرنيق وهو الشاب الناعم .

[191] - أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني: اسمه ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية، أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيَّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة. وكان نصرانياً، وعلى ذلك مات.

[قصته مع الحر بن يوسف]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السُّكْرِيَّ قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال: كان أعشى بني تغلب يُنادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم. فشرى يوماً في بُستانٍ له بالموصل، فسكى الأعشى فنام في البستان. ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه فَبَتَّه. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه، فلطمه خصي منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحر. فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن أبي سعد، فاقتحما الحائط¹ وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

كأنِّي وابن أدعج إذ دخلنا على قرشيك الورع الجبان²
هزبراً غابة وقصاً جماراً فظلاً حوله يتناهشان³
أنا الجشمي من جشم بن بكر عشيّة رعت طرفك بالبنان
أي لطمتك. وقوله «أنا الجشمي» أي مثلي يفعل ذلك بمثلك.

فما يسطيع ذو ملك عِقَابِي إذا اجترمت يدي وجنى لِسَانِي
عشيّة غاب عنك بنو هاشم وعثمان أسها وبنو أبان
تروح إلى منازلها قریش وأنت مخيم بالزرقان

1 الحائط: البستان.

2 الورع: الضعيف الجبان.

3 وقص عنقها: كسرهما ودقها.

والزَّرْقَان : قريةٌ كانت للحُرِّ بسِنْجَار¹ .

[مدح مدركا الكِنَانِي فأساء ثوابه فهجاه]

قال ابن حبيب : مدح أَعْشَى بني تَغْلِبَ مُدْرِكُ بن عبد الله الكِنَانِي أحد بني أَقْيَشِيرِ بن جَذِيمَةَ بن كَعْبِ فأساء ثوابه ؛ فقال الأَعْشَى :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَمْدَحُ مُدْرِكًا لَكَالْمُتَبَتِّي حَوْضًا عَلَى غَيْرِ مَنْهَلٍ
أَمْرًا الْهَوَى دُونِي وَفَيْلَ مِدْحَتِي وَلَوْ لَكَرِيمٍ قُلْتَهَا لَمْ تُفَيْلٌ²

[شعره في شمعة بن عامر]

قال ابن حبيب : كان شَمْعَلَةُ بن عامرِ بن عَمْرٍو بن بَكْرِ أَخُو بني فائِدٍ وهم رَهطُ الفرسِ نصرانيًّا وكان ظريفًا ، فدخل على بعض خلفاء بني أُمَيَّة ، فقال : أَسْلِمُ يا شَمْعَلَةُ . قال : لا والله أَسْلِمُ كارهاً أبداً ، ولا أَسْلِمُ إلاَّ طائِعاً إذا شئتُ . فغضب فأمر به ففُطِعت بَضْعَةٌ من فَخْذِهِ وشَوِيَتْ بالنار وأُطعمها . فقال الأَعْشَى بني تَغْلِبَ في ذلك :

[من الطويل]

أَمِنْ حُدَّةٍ بِالْفَخْذِ مِنْكَ تَبَاشَرْتُ عُدَاكَ فَلَإِ عَارٌّ عَلَيْكَ وَلَا وَرْزُ³
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَرَّحَهُ لَكَالذَّهْرِ لَا عَارٌّ بِمَا فَعَلَ الذَّهْرُ

[قال حين منعه عمر بن عبد العزيز]

وقال ابن حبيب قال أبو عمرو : كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أَعْشَى بني تَغْلِبَ ، فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز الخِلافةَ وَفَدَّ إليه ومدحه فلم يُعْطِه شيئاً ، وقال : ما أرى للشُعراء في بيت المال حقاً ، ولو كان لهم فيه لهم حقٌّ لَمَا كان لك ؛ لأنك امرؤُ نصرانيٌّ . فانصرف الأَعْشَى وهو يقول :

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ عَاشَ الْوَلِيدُ حَيَاتَهُ إِمَامًا هُدَى لَا مُسْتَزَادُ وَلَا نَزْرُ
كَأَنَّ بَنِي مَسْرُوانَ بَعْدَ وَفَاتِهِ جَلَامِيدُ لَا تَنْدَى وَإِنْ بَلَّهَا الْقَطْرُ

[شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان]

وقال ابن حبيب عن أبي عمرو : كانت بين بني شيبان وبين تَغْلِبَ حروبٌ ، فعاون مالكُ بن مَسْمَعِ بن شيبان في بعضها ثم قعد عنهم . فقال أَعْشَى بني تَغْلِبَ في ذلك :

[من الطويل]

1 سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .

2 فيله : قبحه وخطأه .

3 الحُدَّة : القطعة من اللحم .

بني أمنا مهلاً فإن نفوسنا
وترعى بلا جهل قرابة بيننا
جزى الله شيباناً وتيماً ملامةً
أبا مسمع من تنكير الحق نفسه
أوقدت نار الحرب حتى إذا بدا
نزعته وقد جرّدتها ذات منظر
السنا إذا ما الحرب شبّ سعيها
أجارتنا حلّ لكم أن تناولوا
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا
وحتى ترى عين الذي كان شامتاً

تُميتُ عليكم عتبتها ومصالها
وبينكم لَمَّا قَطَعْتُمْ وصالها
جزاء المسيء سعيها وفعالها
وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها
لنفسك ما تجني الحروب فهاها
قبيح مهبين حيث ألق حلالها¹
وكان صفيح المشرقي صلالها²
محارمها وأن تميزوا حلالها
صدور العوالي بيننا ونصالها³
مزاحف عقرى بيننا ومجالها⁴

صوت

[من الطويل]

ويفرح بالمولود من آل برمك
وتبسط الآمال فيه لفضله
الشعر لأبي النضير . والغناء لإسحاق ،
مجموع إسحاق . وقال حبش : فيه لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالنصر عن عمرو بن بانه من
من مجموع إسحاق . وقال حبش : فيه لإبراهيم الموصلي ثقيل آخر بالوسطى ولقضييب
وبراقش جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

1 الحلال هنا : متاع الرحل .

2 الصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرقي : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران ،
وذكر أنها في أماكن أخرى .3 تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح . الواحدة عالية . والتصال : جمع نصل وهو حديدة
السهم والرمح .

4 المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف . وعقرى : جمع عقير .

[192] - أخبار أبي النضير ونسبه

أبو النضير اسمه عُمَرُ بن عبد الملك ، بصريٌّ ، مولى لبني جُمَحَ .
 أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مَهْرُويه عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ عن إسحاق بن خَلْفِ
 الشاعر قال : قلت لأبي النضير بن أبي إلياس : لمن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيى
 اللّاحِقِيُّ أنَّ اسمه الفضلُ بن عبد الملك .
 [انقطع إلى البرامكة فأغنوه]

شاعرٌ من شعراء البصريين ، صالحُ المذهبِ ، ليس من المعدودين المتقدمين ولا من
 المولّدين الساقطين . وكان يغني بالبصرة على جوارٍ له مولّدات ، ويظهرُ الخلاعة والمجون
 والفسق . ويُعاشِرُ جماعةً ممن يُعرَفُ بذلك الشأن . وكان أبانُ اللّاحِقِيُّ يُعاشِرُه ثم تصارَما ،
 وهجاه وهجا جوارِيه وافترقا على قَلِي ، ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات .
 [قال إسحاق الموصليّ إنه أظرف الناس]

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قيل لي من أظرفُ
 من رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه ، لقلتُ : أبو النضير .
 [دخل على الفضل بن يحيى فهنّاه بمولود ارتجالاً]

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مزيّد عن حمّاد
 عن أبيه قال : وُلِدَ للفضّل بن يحيى مولودٌ ، فوفّد عليه أبو النضير ولم يكن عرف الخبر فبيدّه له
 تهنّئة ، فلمّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنّونه نثرًا ونظمًا قال ارتجالاً : [من الطويل]
 وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكِ بُغَاةُ النَّدى وَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالنَّصْلِ
 وَتَنْبِسُطُ الْأَمَالِ فِيهِ لِفَضْلِهِ

ثم أرتجّ عليه فلم يدر ما يقول . فقال الفضل يلقّنه :

ولا سيّما إن كان من وُلِدِ الْفَضْلِ

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا ، وأمر لأبي النضير بصلية .

[نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه]

وأخبرني حبيب بن نصر عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني بعض الموالى
 قال : حضرت الفضل بن يحيى وقد قال لأبي النضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا : [من الطويل]

إذا كنتُ من بَعْدَادَ فِي رَأْسِ فَرَسَخٍ وَجَدْتُ نَسِيمَ الْجُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكِ
لقد ضَيِّقَتْ عَلَيْنَا جِدًّا . قال : أَفَلْجَلَّ ذلِكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ ضاقَتْ عَلَيَّ صِلَتُكَ وضاقَتْ عَنِّي
مكافأتُكَ وأنا الذي أقول :

تشاغلَ النَّاسُ بِنِيازِهِمْ وَالفَضْلُ فِي بُنيانِهِ جَاهِدُ
كلُّ ذَوِي الفَضْلِ وَأهلِ النُّهى لِلْفَضْلِ فِي تَدبيرِهِ حامدُ
وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأوَّلَ كما بلغ الأَميرَ ، وإِنما قلتُ :

إذا كنتُ من بَعْدَادَ مُنْقَطِعَ الثَّرَى وَجَدْتُ نَسِيمَ الْجُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكِ
فقال الفضلُ : إِنما أَخَرْتُ عَنكَ لأمازِحِكَ ، وأمرَ له بثلاثين ألفَ درهمٍ .
[كسب إلى عنان وكان يهواها فأجابته]

أخبرني ابن عَمَّارٍ عن أبي إسحاق الطَّلحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يَهْوَى
عِنانَ جاريةِ النَّاطِفيّ ، وكتبَ إليها :

إنَّ لي حاجةً فَرَأَيْكَ فيها لَكَ نَفْسِي الفِدا مِنْ الأوصابِ
وهيَ لَيسَتْ مِمَّا يُبَلِّغُه غَيرُ
غَيرَ أَنِّي أَقولُها حينَ أَلقا
فأجابته وقالت :

أنا مشغولةٌ بَمَنْ لستُ أهوا
فإذا ما أردتُ أَمراً فأسِرُّ
هُ وقلبي مِنْ دونه في حِجابِ
هُ ولا تجعلنَّه في كتابِ
قال : وقال أبو النضير فيها :

صوت

أنا واللهُ أهواكِ وَأهواكِ وَأهواكِ
وأهوى قُبلةً مِنْكَ على بَرْدِ ثَنائِكَ
وأهوى لَكَ ما أهوى لِنَفْسِي وكَفَى ذاكِ
فهلْ يَنْفَعُنِي ذلِ كِ يوماً حينَ أَلقاكِ
أنا واللهُ أهواكِ وما يَشعُرُ مولاكِ
فإيّاكِ بأنْ يَعَدَّ مِمَّ إيّاكِ وإيّاكِ

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالنصر عن الهشاميّ .

[عابت مكتومة المغنية حين طلبت منه صوتاً]

حدَّثنا ابن عمَّار عن الطَّلحيِّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النُّضير يُعني غناءً صالحاً ،
فغني ذات يوم صوتاً كان استفاده بيغداد . فقالت له قينةٌ كانت بيغداد يقال لها مكتومةُ :
أطرح عليّ هذا الصوتَ يا أبا النُّضير . فقال : لا تطيبُ نفسي به مُحايباً ، ولكنِّي أبيعك إياه .
قالت : بكمِّ ؟ قال : برأس مالِهِ . قالت : وما رأسُ مالِهِ ؟ قال : ناكني فيه الذي أخذتهُ منه .
فغطَّت وجهها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدِّمارُ .

[شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام]

أخبرني ابن عمَّار عن الطَّلحيِّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : قال أبو النُّضير ، وفيه غناءٌ
لإبراهيم :

[من المتقارب]

صوت

أَيصحو فوَأدكَ أمَّ يَطْرَبُ وكيف وقد شَحَطتُ زِينُ
جرى الناسُ قبلَ أبي جعفرِ زماناً فلم يُدرَ مَنْ غَلَبُوا
فلَمَّا جرى بأبي جعفر بنو تغَلِب سَبَقَت تغَلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفر الذي عناه أبو النُّضير هو عبدُ الله بن هشام بن عمرو التَّغَلبيّ
الذي يذكره العتَّابيُّ في شعره ورسائله ، وكان جواداً سخياً . وكان ابنُ هشامٍ وليَّ السُّنْد ،
وفيه يقول أبو النُّضير :

[من الطويل]

ألا أيُّها الغيثُ الذي سَحَّ وبَّله كأنك تحكي راحةَ ابنِ هشامِ
كأنك تحكيها ولكنَّ جودَه يدومُ وقد تأتي بغيرِ دوامِ
وفيك جهامٌ ربَّما كان مُخلفاً وراحتهُ تغدو بغيرِ جهامِ¹

[كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض]

أخبرني ابن عمَّار عن الطَّلحيِّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النُّضير يزعمُ أنَّ الغناء على
تقطيع العَروض ، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئاً بالغناء حتى
تعاطى أن يُعني ، وكان إبراهيم الموصليُّ يُخالفه في ذلك ويقول : العَروض مُحدَثٌ ،
والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه :

[من الوافر]

سَكَتُ عن الغِناء فلا أماري بصيراً لا ولا غيرَ البصيرِ

1 الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذي هراق ماءه .

مخافة أن أُجَنَّنَ فيه نَفْسِي كما قد جُنَّ فيه أبو النُّضِيرِ

[قاطعه أبان اللاحق وقال شعراً يهجوهُ]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوبٍ قال حدّثني أبو طَلْحَةَ الخُزَاعِيّ عن اللَّاحِقِيّ قال : كان جدِّي أَبَانُ يَشْرَبُ مع إِخْوَانٍ له على شاطئ دجلة بعد مُصَارَمَتِهِ أبا النُّضِيرِ ، وكان القوم أَصْدِقَاءَ له ولأبي النضير ، فذكروه . فقال جدِّي : إن حَضَرَ انصرفتُ ، فأمسكوا جدِّي فيه :

رُبَّ يَوْمٍ بِشَطِّ دِجْلَةَ لَدُّ	وَلِيَالٍ نَعِمْتُ فِيهَا لِذَاذِ
غَيْبَةٍ لَمْ تَطُلْ عَلَيَّ وَمَاذَا	خَيْرُ قُرْبِ الْمَطْرَمِذِ الْمَلَاذِ ¹
تَرَكَ الْأَشْرِبَاتِ لَيْسَ بَعَاطِ	لِرِسَاطُونِهَا وَلَا الرَّاقِيَاذِ ²
وَحَكَى الْأَحْمَقَ الَّذِي لَيْسَ يَدْرِي	أَنَّ خَيْرَ الشَّرَابِ هَذَا اللَّذَاذِ ³
ضَلَّ رَأْيِي أَرَاهُ ذَلِكَ كَمَا ضَدَّ	سَلَّ غُورًا لِأَذْوَا بَشَرٍّ مَلَاذِ
أَنْتَ أَعْمَى فِيمَا ادَّعَيْتَ كَمَا لَسُدَّ	تَ إِصْوَغِ الْأَلْحَانِ بِالْأُسْتَاذِ
كَانَ ذَنْبًا أَتُوبُ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ	هَ اخْتِيَارِيكَ صَاحِبًا وَاتِّخَاذِي
إِنَّ لِلَّهِ صَوْمَ شَهْرَيْنِ شُكْرًا	أَنَّ قَضَى مِنْكَ عَاجِلًا إِنْقَاذِي
لَا لِدَيْنٍ وَلَا لِذُنْبِي وَلَا يَصُدُّ	لُحُ فِي عِلْمٍ مَا ادَّعَى بِنَفَاذِ

[يسأل حماد عجرد عن مجلس شرايه]

حدّثني ابن عَمَّارٍ عن الطَّلْحِيّ عن أَبِي سُهَيْلٍ قال : كتب أبو النُّضِيرِ إلى حَمَّادِ عَجْرَدٍ يسأل عن حاله في الشراب وشربه إياه ومن يعاشر عليه . فكتب إليه حَمَّادٌ : [من السريع]

أَبَا النُّضِيرِ اسْمَعْ كَلَامِي وَلَا	تَجْعَلْ سِوَى الْإِنْصَافِ مِنَ الْكَا
سَأَلْتَ عَنِّ حَالِي ، وَمَا حَالُ مَنْ	لَمْ يَلْقَ إِلَّا عَابِدًا نَاسِكَا
يَظْهَرُ لِي ذَا فَمَتَى يَفْتَرِصُ	شَيْئًا تَجِدُهُ عَادِيًا فَاتِكَا ⁴

يعني حُرَيْثُ بن عمرو . وكان حَمَّادٌ نزل عليه ، وكان حُرَيْثُ هذا مشهوراً بالزُّنْدَقَةِ ، وكذلك حَمَّادٌ هذا كان مشهوراً بها ، فنزل عليه لذلك .

1 المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنع الذي لا تصح مودته .

2 العاطي : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل .

3 اللذاذ : مصدر لذت الشيء لذاعة أي وجدته لذياً .

4 افترض الشيء : انتهزه وأصابه واعتنمه .

[كُتِبَ إِلَى حَمْدَانَ اللَّاحِقِيَّ يَشْكُو إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ يَحْيَى وَيَهْجُوهُ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُورِيَّةَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْخَزَاعِمِيِّ عَنْ أَبِي يَحْيَى اللَّاحِقِيِّ قَالَ :
كَتَبَ أَبُو النَّضِيرِ إِلَى عَمِّي حَمْدَانَ بْنِ أَبَانَ . وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ، يَشْكُو إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ يَحْيَى الزِّيَادِيُّ
وَكَانَ عَرَبَدًا عَلَيْهِ وَشْتَمَهُ :

أَقْرَبَ حَمْدَانَ سَلَامَ الـ	لَهُ مِنْ فَضْلٍ وَقُلُّ لَهْ
يَا فَتَى لَسْتُ بِحَمْدِ الـ	لَهُ أَحْشَى أَنْ أُمَّلَهُ
ذَاكَ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَنْتَ	هَلَهُ الظَّرْفَ وَعَلَهُ
وَذُرَا بَيْتَ رَقَاشِ	وَعَلَاهَا قَدْ أَحَلَّهُ ¹
إِنَّ شَتَمَ السُّفْلَةَ الْكَشْ	حَانَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ضَلَّهُ ²
وَلَوْ أَنَّ الْقَلْبَ هَاجَى	عُمَرَا يَوْمًا لَعَلَّهُ ³
ذَاكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ	زَى ابْنَ يَحْيَى وَأَذَلَّهُ
مَنْ يُهَاجَى رَجُلًا يَسْ	تَوَعَّبُ الْجُرْدَانَ كُلَّهُ ⁴
مَا يَسِيلُ الْأَيْرُ إِلَّا	أَدْحَلَ الْأَيْرَ وَبَلَّهُ
وَإِذَا عَايَنَ أَيْرًا	وَإِفِي الْفَيْشَةَ غَلَّهُ
هَذِهِ قِصَّةٌ مَنْ قَدْ	جَعَلَ الْمُرْدَانَ شَعْلَهُ

[أَنشَدَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ شِعْرًا فِي امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا وَطَلَّقَهَا]

حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ أَبِي الْعِيَاءِ عَنْ أَبِي النَّضِيرِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ :
هَلْ أَحَدَّثْتَ بَعْدِي شَيْئًا . قُلْتُ : نَعَمْ ، قُلْتُ أَيْبَاتًا فِي امْرَأَةٍ تَزَوَّجْتُهَا وَطَلَّقْتُهَا لِغَيْرِ عِلَّةٍ إِلَّا
بُغْضِي لَهَا ، وَإِنَّهَا لِيِبِضَاءُ بَضَّةٌ ، كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ فِضَّةٌ . فَقَالَ لِي : وَمَا قُلْتَ فِيهَا ؟ فَقُلْتُ
قُلْتُ :

رَحَلْتُ سَكِينَةَ بِالطَّلَاقِ فَارْحَتْ مِنْ غُلِّ الْوَتَاقِ⁵

- 1 جَدَّ حَمْدَانَ الْأَعْلَى كَانَ مَوْلَى لِبْنِي رَقَاشَ ، وَنَسَبَهُ حَمْدَانَ بْنِ أَبَانَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ لَاحِقِ بْنِ عَمْرِ مَوْلَى بَنِي رَقَاشَ .
- 2 الْكَشْحَانُ : الدِّيُوْتُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ .
- 3 غَلَّةٌ هُنَا : وَضْعُ الْغُلِّ فِي عُنُقِهِ أَوْ يَدِهِ .
- 4 الْجُرْدَانُ : قَضِيبُ ذَوَاتِ الْحَافِرِ أَوْ هُوَ عَامٌ .
- 5 أَرَاخُ فُلَانٌ : وَجَدَ رَاحَةً .

رحلتُ فلمْ تَأَلَمْ لها نفسي ولم تَدَمَعْ مآقي
لو لم تَبِنِ بَطْلَاقِهَا لأبنتُ نفسي بالإباقِ
وشِفَاءِ ما لا تَشْتَهِيهِ هِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ

فقال : يا غلام ، الدواة والقِرطاس ، فأتيتُ بهما ، فأمرني فكتبتُ له الأبيات ، ثم قلتُ له :
أنتَ والله تُبغِضُ بنتَ أبي العباس الطُّوسيِّ . فقال : اسكُتْ أخزأك اللهُ ! ثم ما لبث أن طَلَّقَهَا .

صوت

[من الكامل]

ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقدأؤها شَرِقَتْ بعَبْرَتِهَا وطال بُكاؤها
ذَكَرَتْ عَشِيرَتِهَا وفُرْقَةً بَيْنِهَا فطوتُ لذلك غُلَّةً أَحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَر العَبْلِيِّ . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائِدِ ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجْرَى
الوَسْطَى عن ابن المَكِّيِّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبْهُ إلى أحَدٍ ، وقيل إنَّه من
منحولٍ يحى إلى أبي سعيدٍ .

[193] - أخبار العبلي ونسبه

[من مخزومي الدولتين]

اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عدي، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قريش، ومن مخزومي الدولتين، وله أخبارٌ مع بني أمية وبني هاشم تُذكر في غير هذا الموضع.

[سب نسبه إلى العبلات]

ويقال له عبد الله بن عمر العبلي، وليس منهم؛ لأن العبلات من ولد أمية الأصغر ابن عبد شمس. سُموا بذلك لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن حارث بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهؤلاء يقال لهم براجم بني تميم، وكادت لعبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر، وعبد أمية ونوفلاً، وأمه من بني عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العبلات، ولهم جميعاً عقب. أما أمية الأصغر فإنهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أمية، منهم علي بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثريا صاحبة ابن أبي ربيعة. وأما بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثير. وعبد العزى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء. وإنما أدخلهم الناس في العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والإسلام وكثر أشرفهم، فجعل سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة، فسَمَوْهم أمية الصغرى، ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم.

وعلي بن عدي جدُّ هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. وله يقول شاعر بني ضبة لعنة الله عليه:

[من الرجز]

يا رَبِّ أَكُتِبَ بِعَلِيٍّ جَمَلَةٌ ولا تُبَارِكُ فِي بَعِيرٍ حَمَلَةٌ

إِلَّا عَلِيٌّ بِنَ عَدِيِّ لَيْسَ لَهُ

[مال إلى بني هاشم أيام الأمويين ثم خرج على المنصور]

فأما عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ويذم بني أمية، ولم يكن منهم إليه صنْعٌ جميلٌ، فسَلِمَ بذلك في أيام بني العباس ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن.

[لم يعطه هشام فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مُصعبِ الزبيري قال: العبلي عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، ويكنى أبا عدي، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أمية. وقسم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز،

فلم يُعْطِه شيئاً . فقال : [من الطويل]

حَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لِيَتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
فَأَفُوزُ الْغَدَاةَ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ وَأَبِيعُ الْأَبَ الشَّرِيفَ بُلُومٍ

[استقدمه المنصور واستنشدته فغضب عليه]

فلَمَّا اسْتُخْلِفَ الْمَنْصُورُ كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُوجِّهَ بِهِ إِلَيْهِ فَفَعَلَ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي مَا قَلْتَ فِي قَوْمِكَ ، فَاسْتَعْفَاه . فَقَالَ : لَا أُعْفِيكَ . فَقَالَ : أَعْطِنِي الْأَمَانَ فَأَعْطَاهُ ، فَأَنْشَدَهُ :

[من الكامل]

مَا بِالْ عَيْنِكَ جَائِلًا أَقْدَاؤَهَا شَرِّقَتْ بِعَبْرَتِهَا فَطَالَ بُكَاءُهَا
حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

فَبِنِوَأُمِّيَةِ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى شَرَفًا وَأَفْضَلُ سَاسَةِ أَمْرَاؤِهَا

فَقَالَ لَهُ : أَخْرَجَ عَنِّي لَا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ ! فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَلْفَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ قَدْ خَرَجَ فَبَايَعَهُ .

[أكرمه السفاح وردَّ حرمة وأمواله]

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنِ الْعُمَرِيِّ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَدِيٍّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَبْلِيُّ مَجْفُورًا فِي أَيَّامِ بَنِي مَرْوَانَ وَكَانَ مَنْقَطَعًا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الدَّوْلَةُ إِلَيْهِمْ لَمْ يُتَّقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ فِي قَتْلِهِمْ جِدًّا إِلَّا مَنْ هَرَبَ وَطَارَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَخَافَ أَبُو عَدِيٍّ أَنْ يَقَعَ بِهِ مَكْرُوهٌ فِي تِلْكَ الْفُورَةِ فَتَوَارَى ؛ وَأَخَذَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حُرْمَةَ وَمَالَهُ ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى أَبَا الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي غَمَارِ النَّاسِ مَتَنَكِّرًا وَجَلَسَ حَجْرَةً¹ حَتَّى تَقَوَّضَ² الْقَوْمَ وَتَفَرَّقُوا ، وَبَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مَعَ خَاصَّتِهِ . فَوَثَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَدِيٍّ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : [من الوافر]

أَلَا قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالسُّتَارِ سُقِّيتِ الْعَيْثُ مِنْ دِمَنِ قِفَارِ³

فَهَلْ لَكَ بَعْدَنَا عِلْمٌ بِسَلْمِي وَأَتْرَابٌ لَهَا شِبْهُ الصُّوَارِ⁴

أَوَانِسُ لَا عَوَاسُ جَافِيَاتُ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا عَوَارِي

وَفِيهِنَّ ابْنَةُ الْقَصَوِيِّ سَلْمِي كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمَةُ الْإِزَارِ⁵

1 حجرة : ناحية .

2 تقوَّضَ القوم إذا أنفضوا وانصرفوا .

3 الستار : اسم لعدة مواضع .

4 الصُّوَارُ : القطيع من البقر .

5 القصوي : نسبة إلى قصي .

تَلَوْتُ خِمْارَهَا بِأَحْمَ جَعْدِي تُضِلُّ الْفَالِيَاتُ بِهِ الْمَدَارِي¹
 بَرَهْرَهَةً مُنْعَمَةً نَمَّتْهَا أَبُوْتُهَا إِلَى الْحَسْبِ النَّضَارِ²
 فَدَعَّ ذِكْرَ الشَّبَابِ وَعَهْدَ سَلْمِي فَمَا لَكَ مِنْهُمَا غَيْرُ ادِّكَارِ
 وَأَهْدِي لَهَا شِمَّ غُرَزِ الْقَوَافِي تَنْخَلُهَا بَعْلَمٍ وَاخْتِيَارِ³
 لَعَمْرُكَ إِنِّي وَلِزُومِ نَجْدِي وَلَا أَلْقَى حِيَاءَ بَنِي الْخِيَارِ⁴
 لِكَالْبَادِي لِأَبْرَدٍ مُسْتَهْلٍ بِحَوْبَاءِ كَبْطَنِ الْعَيْرِ عَارِ⁵
 سَأْرَحَلُ رِحْلَةً فِيهَا اعْتِرَامٌ وَجِدُّ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارِ
 إِلَى أَهْلِ الرِّسُولِ غَدَتُ بِرَحْلِي عُدَافِرَةٌ تَرَامِي بِالصَّحَارِي⁶
 تَوْمُ الْمَعَشَرَ الْأَبْرَارِ تَبْغِي فَكَأَكَّا لِلنِّسَاءِ مِنَ الْإِسَارِ
 أَيَا أَهْلَ الرِّسُولِ وَصِيْدٍ فَهْرٍ وَخَيْرِ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْجِمَارِ
 أَتُوْخِذُ نِسْوَتِي وَيُحَازُ مَالِي وَقَدْ جَاهَرْتُ لَوْ أَغْنَى جِهَارِي
 وَأَذَعُرُ أَنْ دُعِيْتُ لَعَبْدِ شَمْسٍ وَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْحَرَمِ الصَّوَارِي⁷
 بِنَصْرَةٍ هَاشِمٍ شَهْرَتْ نَفْسِي بَدَارِي لِلْعِدَا وَبَغِيرِ دَارِي
 بِقُرْبِي هَاشِمٍ وَبِحَقِّ صَهْرٍ لِأَحْمَدَ لَفَّه طَيْبُ النَّجَارِ
 وَمَنْزَلِ هَاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مَكَانَ الْجَيْدِ مِنْ عُليَا الْفَقَارِ

فقال له السفاح : مَنْ أَنْتَ ؟ فانتسب له . فقال له : حَقٌّ لَعَمْرِي أَعْرِفُهُ قَدِيمًا وَمَوَدَّةً لَا
 أَجْحَدُهَا ، وَكُتِبَ لَهُ إِلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ بِإِطْلَاقِ مَنْ حَبَسَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَرَدَّ أَمْوَالَهُ عَلَيْهِ وَإِكْرَامِهِ ،
 وَأَمْرَهُ لَهْ بِنَفَقَةٍ تُبَلِّغُهُ الْمَدِينَةَ .

[وفد على عبد الله بن حسن وأجاره هو وابناه وزوجه]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي عن موسى بن

- 1 تلوْتُ : تلفَّ . والأحْم : الأسود . والجعد من الشعر : وهو ما فيه التواء وتقضب . والفاليات : من فلا الرأس .
- 2 البرهرة : البيضاء ، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه .
- 3 تنخلها : تخيرها .
- 4 الحياء : العطاء .
- 5 البادي : الخارج إلى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير .
- 6 العدافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .
- 7 الصواري : جمع صائرة وهي العاطفة أو الميلة .

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال : قال سعيد بن عقیبة الجهنني :
 إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبي
 عديِّ الأمويِّ الشاعر ، فقال : أعلمُ أبا محمد . فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد
 ظهرتُ المسوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما
 بأربعمائة دينار ، وهند بنت أبي عبيدة أمهما بمائتي دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .
 [استنشد عبد الله بن حسن بما رثي به قومه ثم أكرمه هو وأهله]

وأخبرني جریمي عن الزبير ، وأخبرني الأخفش عن المبرِّد عن المغيرة بن محمد المهلبی عن
 الزبير عن سليمان بن عیاش السعدي قال : جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العيلي إلى سويقة¹
 وهو طريد بني العباس ، وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس ،
 فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة ، فاستنشد عبد الله شيئاً من شعره فأنشده . فقال
 له : أريد أن تُشيدني شيئاً مما رثيت به قومك ، فأنشده : [من المتقارب]

تقول أمامة لما رأت	نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلة نومي على مضجعي	لدى هجعة الأعين النعس
أبي ما عراك ؟ فقلتُ الهمومُ	عرون أباك فلا تبلسي ²
ععرون أباك فحبسنه	من الذل في شر ما محبس
لفقد العشيرة إذ نالها	سهم من الحدث المبس
رمتها المنون بلا نصل	ولا طائشات ولا نكس ³
بأسهمها الخالسات النفوس	متى ما اقتضت مهجة تخلس
فصرعاهم في نواحي البلا	د تلقى بأرض ولم ترمس
كريم أصيب وأثوبه	من العار والذام لم تدنس
وآخر قد طار خوف الردى	وكان الهمام فلم يحسس
فكم غادروا من بواكي العيو	ن مرضى ومن صيبة بؤس
إذا ما ذكرنهم لم تنم	لحر الهموم ولم تجلس

1 سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

2 عرون في ل : منعن . الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

3 النصل : جمع ناصل ، وهو هنا السهم الذي سقط نصله ، والناصل أيضاً : ذو النصل . سهم نكس : هو الذي
 ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس .

يُرْجَعْنَ مِثْلَ بُكَاءِ الْحَمَا مِ فِي مَا تَمَّ قَلِقَ الْمَجْلِسِ¹
 فِذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَاعْلَمِي وَلَا تَسْأَلِنِي فَتَسْتَنْجِسِي²
 وَأَشْيَاءٌ قَدْ ضَيَّفَنِي بِالْبِلَادِ وَلَسْتُ لَهْنَ بِمُسْتَحْلِسِ³
 أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلَى كُدَى وَقَتْلَى بِكُثُوفَةٍ لَمْ تُرْمَسِ⁴
 وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِاللَّابِتِي مِنْ مَنْ يَتْرِبُ خَيْرُ مَا أَنْفَسِ
 وَبِالزَّائِبِينَ نَفُوسٌ ثَوْتُ وَقَتْلَى بِنَهْرٍ أَبِي فُطْرُسِ
 أَوْلَكَ قَوْمٌ تَدَاعَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مَنْ زَمَنَ مُتْعَسِ
 أَذَلَّتْ قِيَادِي لِمَنْ رَامَنِي وَالزَّرَقَتِ الرَّغَمَ بِالْمَعْطَسِ⁵
 فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

قال: فلما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن. فقال له عمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام: أتبكي على بني أمية وأنت تريد ببني العباس ما تريد! . فقال: والله يا عم لقد كنا نَقَمْنَا على بني أمية ما نَقَمْنَا، فما بنو العباس إلا أقلُّ خَوْفًا لله منهم، وإنَّ الحُجَّةَ على بني العباس لأوجبُ منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر. فوثب حسن وقال: أعودُ بالله من شرك، وبعث إلى أبي عديِّ بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثت إليه أمهما هند بخمسين ديناراً، وكانت منفعته بها كثيرة. فقال أبو عديِّ في ذلك: [من الوافر]

أقام نَوِيَّ بَيْتِ أَبِي عَدِيٍّ بِخَيْرِ مَنَازِلِ الْجِيرَانِ جَاراً⁶
 تَقَوَّضَ بَيْتَهُ وَجَلَا طَرِيداً فَصَادَفَ خَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَاراً⁷
 وَإِنِّي إِنْ نَزَلْتُ بَدَارَ قَوْمٍ ذَكَرْتُهُمْ وَلَمْ أَذُمَّمْ جَوَاراً

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلا أعطيتموه خمسين ديناراً أُخْرَى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أُخْرَى عن هند.

1 قلق المجلس: اضطراب من فيه من الحزن.

2 استنحس فلان الأخبار: طلبها وتبعها بالاستخبار.

3 ضيفني: نزلن بي. والمستحلس للشيء: الملازم له.

4 بكثوة في ل: بيكة.

5 الرغم: التراب. والمعطس: الأنف.

6 التوي: الضيف.

7 جلا عن بلاده: خرج.

[ولايته الطائف ثم فراره إلى اليمن]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن أبي أيوب المديني قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال : قدم أبو عدي الطائفي والياً من قبل محمد بن عبد الله بن حسن¹ أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعراب من مزينة وجهينة وأسلم فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العمري حتى بايع ، وكان مع أبي عدي أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر الصديق ، فقدمها بين أذان الصبح والإقامة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة ، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج ، فركب [الحسن] البحر ، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه إلى اليمن . فذلك حين يقول : [من الكامل]

هيجت للأجزاع حول عراب	واعتاد قلبك عائد الأطراب
وذكرت عهد معالم يلبى الثرى	هيئات تلك معالم الأحباب ²
هيئات تلك معالم من ذاهب	أمسى بحوضي أو بحقل قباب ³
قد حل بين أبارق ما إن له	فيها من اخوان ولا أصحاب ⁴
شطت نواه عن الأليف وساقه	لقرى يمانية حمام كتاب ⁵
يا أخت آل أبي عدي أقصري	وذري الخضاب فما أو أن خضاب
أتخضين وقد تخرم غالباً	دهر أضربها حديد الناب
والحرب تعرك غالباً بجرانها	وتعض وهي حديدة الأنياب ⁶
أم كيف نفسك تستلد معيشة	أو تنقعين لها الكد شراب

[أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكي]

وذكر العباس بن عيسى العقبلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن عقبة الجهني قال : حضرت عبد الله بن عمر المكني أبا عدي الأموي ينشيد عبد الله بن حسن قوله :

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوة لم ترمس⁷

1 ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور .

2 الثرى في ل : السرى .

3 حوضي وحقل قباب : موضعان .

4 الأبارق : جمع أبرق ، وهو غليظ فيه حجارة وطين ورمل مختلفة .

5 حمام كتاب : قدره وقضاؤه .

6 عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

7 بكثوة في ل : بمكة .

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خدّه .

[قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاها قتل بني أمية]

وقد أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أبي سعيد مولى فائد قال : لما أتانا قتل عبد الله بن علي من قتل من بني أمية كنت أنا وفتى من ولد عثمان وأبو عدي العيلي متوارين في موضع واحد ، فلججني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته ، ولحق صاحبي كما لحقني ، فبكينا طويلاً ، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا ، فقال كل واحد منا بعضها غير مُحصلٍ [ما] لكل واحد منا فيها ، قال : ثم أنشدنيها ، فأخذتها من فيه : [من المتقارب]
تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع الأنفس

[كره سب بني أمية علياً]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال : كان أبو عدي الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبّه على المنابر ، ويُظهر الإنكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه ، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك :

شردوا بي عند امتداحي علياً	ورأوا ذلك في داء دويّاً
فوربّي لا أبرح الدهر حتى	تختلي مهجتي بجبي علياً ¹
وبنيه أحبّ أحمد إني	كنت أحببتهم بجبي النيا
حُبّ دين لا حُبّ دُنيا وشراً	حُبّ حُبّ يكون دُنياوياً
صاغني الله في الدُّوابة منهم	لا زيماً ولا سنيداً دعيّاً ²
عدويّاً خالي صريحاً وجدّي	عبدُ شمس وهاشمُ أبويّاً
فسواء علي لستُ أبالي	عَبْشَمِيّاً دُعَيْتُ أم هاشميّاً

[فضل هشام بن مخزوم عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُتيبي عن أبيه قال : وفد أبو عدي الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

عبدُ شمس أبوك وهو أبونا	لا نناديك من مكانٍ بعيدٍ
والقربات بيننا واشجات	مُحكّماتُ القوي بجبلٍ شديدٍ

فأنشده إياها ، وأقام بيابه مدةً حتى حضر بابه وفودُ قريشٍ فدخل فيهم ، وأمر لهم بمال

1 تختلي : تقطع .

2 الزنيم : الدعي بالملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

فضّل فيه بني مخزوم أحواله ، وأعطى أبا عديّ عطيةً لم يرضها ، فانصرف وقال : [من الخفيف]
 حَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لِيَتَّبِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
 فَأَفُوزَ الْغَدَاةَ فِيهِمْ بِسَهْمٍ وَأَيَّحَ الْأَبَ الْكَرِيمَ بُلُومٍ
 غَنَى فِي الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ اللَّذَيْنِ أَوْلَهُمَا :

عبدُ شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام :

[من الخفيف]

ليتي من كنودَ بالغورِ عُودي	بصقَاءِ الهوى مِنْ أُمِّ أُسَيْدٍ
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا	عَهْدَةَ فَارِجِي بِهِ ثُمَّ زَيْدِي
قد تولّى عصرُ الشبابِ فقيداً	رُبَّ جَارٍ يَبِينُ غَيْرَ فَقِيدٍ
خَلَقَ الثُّوبُ مِنْ شَبَابٍ وَلَيْسَ	وَجَدِيدُ الشَّبَابِ غَيْرُ جَدِيدٍ
فاسرِ عَنْكَ الهمومَ حينَ تداعتُ	بِعَلَاةٍ مِثْلَ الْفَنِيقِ وَخُودٍ ¹
عَتْرَيْسٍ تُوفِي الزَّمَامَ بِفَعْمٍ	مِثْلَ جِذَعِ الْأَشْأَةِ الْمَجْرُودِ ²
وارمِ جَوْزَ الْفَلَا بِهَا ثُمَّ سُمِّهَا	عَجْرِيَّ النَّجَاءِ بِالتَّوْحِيدِ ³
وهشاماً خليفةَ الله فاعمُدْ	وَاصْرِمَنْ مِرَّةَ الْقَوِيِّ الْجَلِيدِ ⁴
تَلَقَّهُ مُحَكَّمِ الْقَوِيِّ أَرِيحِيًّا	ذَا قَرَى عَاجِلٍ وَسَيَّبِ عَتِيدِ ⁵
مَلِكاً يَشْمَلُ الرِّعِيَّةَ مِنْهُ	بِأَيَادٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ خُمُودٍ
أخضرُ الرَّبْعِ وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ	أَفِيحُ الْمُسْتَرَادِ لِلْمُسْتَرِيدِ ⁶

- 1 أسر عنك الهموم : ألقها عنك . سرور الثوب : إذا ألقته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب . العلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثير الوخد وهو السرعة في السير .
- 2 العتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثرة اللحم الجواد الجريفة . الأشاء : النخلة الصغيرة . والمجروح : المقشور .
- 3 جوز كل شيء وسطه . والفلا : واحدة فلاة . والنجاء : السرعة والعجرفة والعجرفة في السير : السرعة . والتوحيد : حمل الدابة على الوخد .
- 4 المرة : قوة الخلق وشدته .
- 5 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . العتيد : الحاضر المهيأ .
- 6 أفيح الستراد للمستريد : واسع المطلب للطالب . وفتح المستراد : يراد به الكرم واتساع الجود .

ذكرتُ ناقتي البِطاحَ فحنتُ
 قلتُ بعضَ الحنينِ يا ناقتي سيري
 فأغدتُ في السَّيرِ حتى أتتكم
 قد براها السرى إليك وسيري
 وطوى طائد العرائك منها
 وأتتكم حُذْبَ الظُّهورِ وكانت
 واطمأنتُ أرضَ الرِّصافةِ بالخضِ
 نزلتُ بامرئٍ يرى الحمدَ غنماً
 بذل العُدلَ في القِصاصِ فأضحى
 من بني النَّضْرِ من ذُرِّ مَنبِتِ النَّضْرِ
 فهو كالقَلْبِ في الجِوانِحِ منها
 بين مَرَّوانَ والوليدِ فَبِخْ بَخْ
 لو جرى الناسُ نحوَ غايةِ مجدٍ
 لَعَلَّاهُمْ بِسابِغينِ من المجرِ
 إنَّكُمْ مَعْشَرُ أبى الله إلا
 لم يَرَ اللهُ مَعْشَرًا من بني مَرَّ
 قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بحارٌ
 أَرِيحِيُّونَ ماجدونَ حِضْمُو

حينَ أنْ وَرَكَتْ قَبورَ ثمودِ¹
 نحوَ بَرَقٍ دعا لغيثِ عميدِ
 وهي قوداءُ في سَواهِمَ قُودِ²
 تحتَ حَرِّ الظُّهيرةِ الصَّيخُودِ³
 غَوَلُ بِيَدِ تَجْتأُهَا بعدَ بِيَدِ⁴
 مُسَمَّاتٍ مَمَرَّها بالكَدِيدِ⁵
 بَ ولم تُلَقِ رَحَلُها بالصَّعِيدِ
 باذِلٍ مُتَلَفٍ مُفِيدٍ مُعِيدِ
 لا يَخافُ الضَّعيفُ ظَلَمَ الشَّدِيدِ
 بِرَ بأورَى زَنَدٍ وأكرمِ عودِ
 واسطُ سِرِّ جِذْمِها والعديدِ⁶
 للكريمِ المَجِيدِ غيرِ الرِّهيدِ
 لِرِهانِ في المَحْفِلِ المشهودِ
 بِدِ على الناسِ طارِفِ وتلديدِ⁷
 أنْ تفوزوا بِدَرِّها المحشودِ
 وإنْ أُولى بِالْمُلُوكِ والتسويدِ
 وبِهايلِ للقُرومِ الصَّيدِ⁸
 نَ حُماةٌ عندَ أَرِدادِ الجُلُودِ⁹

1 يقال ورَكَ الجبل : إذا جاوزه . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام .

2 القوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة في السير .

3 الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .

4 الطائد : الثابت ، وفي ل : صائد . والعرائك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغَوَلُ البيد : بعدها .

5 الحذب : جمع حذباء وهي من الدواب التي بدت حراققتها . المسلمات : التي أعظم الكلاً أسنمتها . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

6 الجِذْمُ : الأصل . وسر الجذم : صريجه وخالصة .

7 بسابغين في ل : بسامقين .

8 البهايل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قَرَم وهو هنا السيد العظيم .

9 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء . اررداد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدة .

يَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالرَّأْيِ وَالْحَزَّ
 أَهْلُ رِفْدٍ وَسُودٍ وَحَيَاءٍ
 وَيَرُونَ الْجَوَارَ مِنْ حَرَمِ اللّٰهِ
 لَوْ بِمَجْدِ نَالِ الْخُلُودِ قَبِيلٌ
 يَا ابْنَ خَيْرِ الْأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ
 عَبْدُ شَمْسٍ أَبُوكَ وَهُوَ أَبُوْنَا
 ثُمَّ جَدِّي الْأَذْنَى وَعَمُّكَ شَيْخِي
 فَالْقَرَابَاتُ بَيْنَنَا وَاشْجَاتٌ
 فَأَثْبِنِي ثَوَابَ مِثْلِكَ مِثْلِي
 إِنَّ ذَا الْجَدِّ مَنْ حَبَّوتَ بُوْدٌ
 وَيَحْسَبُ امْرِيءٍ مِنَ الْخَيْرِ يُرْجَى
 [يندب فرقة بني أمية]

وَأَمَّا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

[من الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِكَ جَائِلًا أَقْدَاؤُهَا

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندب بينهم¹ ، وفيها يقول :

[من الكامل]

وَاعْتَادَهَا ذِكْرُ الْعَشِيرَةِ بِالْأَسَى
 شَرِكُوا الْعِدَا فِي أَمْرِهِمْ فَتَفَاقَمَتْ
 ظَلَّتْ هُنَاكَ وَمَا يُعَاتَبُ بَعْضُهَا
 إِلَّا بِمُرْهَفَةِ الظُّبَاتِ كَأَنَّهَا
 وَيُعَسَّلُ زُرْقٌ يَكُونُ خِضَابُهَا
 فَبِذَاكُمْ أَمْسَتْ تَعَاتَبُ بَيْنَهَا
 فَصَبَّاحُهَا نَابُ بِهَا وَمَسَاوُهَا
 مِنْهَا الْفُتُونُ وَفُرَّقَتْ أَهْوَاؤُهَا
 بَعْضًا فَيَنْفَعُ ذَا الرَّجَاءِ رَجَاؤُهَا
 شُهْبٌ تَقَلُّ ، إِذَا هَوَتْ ، أَخْطَاؤُهَا²
 عَلَّقَ النَّحُورَ إِذَا تَقْفِضُ دِمَاؤُهَا³
 فَلَقَدْ خَشِيتُ بَانَ يُحَمُّ فَنَاوُهَا⁴

1 أي يندب فرقتهم .

2 مرهفة الظبات : السيوف .

3 العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازه . والزرقة في النصال شدة صفاتها .

4 يحم : يقضي .

ماذا أوملُ إن أميةٌ ودعتُ
 أهلُ الرياسةِ والسياسةِ والندى
 غيثُ البلادِ همُ وهمُ أمراؤها
 فلئن أميةٌ ودعتُ وتتابعتُ
 ليودعن من البرية عزمها
 ومن البلية أن بقيت خلافهم
 لهفي على حرب العشيرة بينها
 هلاً نهى نهى العوي عن التي
 وتقى وأحلام لها مضرية
 لما رأيت الحرب توفد بينها
 نوهت بالملك المهيم دعوة
 ليرد ألفتها ويجمع أمرها
 فأجاب ربي في أمية دعوتي
 وحبا أمية بالخلافة إنهم
 فبنو أمية خير من وطىء الثرى
 وبقاء سگان البلاد بقاؤها
 وأسود حرب لا يخيم لقاؤها¹
 سرج يضيء دجى الظلام ضياؤها
 لغواية حميت لها خلفاؤها²
 ومن البلاد جمالها ورجاؤها
 فرداً تهيجك دورهم وخلاؤها
 هلاً نهى جهالها حلماؤها
 يخشى على سلطانها غوغاؤها
 فيها إذا تدمى الكلام دواؤها
 ويشب نار وقودها إذكاؤها
 ورواح نفسي في البلاء دعاؤها³
 بخيارها فخيرها رخصاؤها
 وحى أمية أن يهد بناؤها
 نور البلاد وزينها وبهاؤها
 شرفاً وأفضل ساسة أمراؤها⁴
 وهي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته .

صوت

[من البسيط]

مهلاً ذريني فإنني غالني خلقي
 وقد أرى في بلاد الله متسعاً
 ما عَضَنِي الدهرُ إلا زادني كرمًا
 ولا استكنتُ له إن خان أو خدعا
 الشعر لأبي جلدَةَ اليشكريِّ من قصيدة يمدح بها مِسْمَعُ بن مالك بن مِسْمَعِ ، والغناء
 لعلوية رملٌ بالوسطى عن عمرو .

1 خام : نكص وجبن وضعف .

2 التابع : التهافت والإسراع إلى الشيء ولا يكون التابع إلا في الشر .

3 الرواح هنا : الارتياح والاستراحة .

4 الثرى في ل : الحصى .

[194] - أخبار أبي جلدة ونسبه

[نسبه]

أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حُجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، ومن ساكني الكوفة . وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

[كان مع الحجاج ثم صار حرباً عليه]

أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العباس الزبيدي وقرأته عليه قال حدثني عمي عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب ، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال : كان أبو جلدة اليشكري من أخص الناس بالحجاج ، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج . فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سيرة أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أبيت به مقطوعاً . فلما كان يوم الزاوية¹ خرج أبو جلدة بين الصفيين ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

[من الطويل]

فقل للحواريات ييكن غيرنا	ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح ²
بكين إلينا خشية أن تبيحها	رماح النصارى والسيوف الجوارح
بكين لكيما يمنعوهن منهم	وتأبى قلوب أضمرتها الجوائح
وناديتنا : أين الفرار وكنتم	تغارون أن تبدو البرى والشائح ³
أسلمتمونا للعدو على القنا	إذا انتزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائر ليلية	ولا عزب عزت عليه المنايح

قال : فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشددوا شدة تضعع لهم عسكر الحجاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرة له ، فجعل يقتل الناس

1 الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

2 الحواريات : نساء الأمصار .

3 البرى هنا : الخلائيل . واحدها برة . والشائح جمع لوشاح .

بقيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب كما أحسنت في العفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته . فقال له : وكيف ويلك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحدّ ، فأسيرٌ ولا تقتل ، ثم قال : أو آمنٌ : فقال : أولى لك¹ ! ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمنَ النَّاسَ جميعاً . قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي : فبلغني أنّ الحجاج قال يوماً لجلسائه ما حرّض عليّ أحدٌ كما حرّض أبو جلدّة ؛ فإنه نزل على سرّحة في وسَطَ عسكر لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلّح فوجه والناس ينظرون إليه . فقالوا له : ما لك ويلك أجنبت ؟ ما هذا الفعل ! قال : كلّكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته . فشتّموه وحملوا عليّ ، فما أنساهم وهو يقدّمهم ويرتجز : [من الرجز]

نحن جَلَيْنَا الخَيْلَ من زَرْنَجَا ما لك يا حجاجُ مِنَّا مَنْجَى²
لُتُبَعَجَنَ بالسِّوْفِ بَعْجَا أو لَتَفَرَّنَ فذاك أَحجَى³

فوالله لقد كاد أهلُ الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيد بنصره .

قال وقال أبو جلدّة يومئذٍ : [من الوافر]

أيا لهفي ويا حزني جميعاً ويا غمّ الفؤادِ لِمَا لَقِينَا
تركنا الدّينَ والدُّنْيَا جميعاً وخالَيْنَا الحلائِلَ والبَيْنَا
فما كنّا أناساً أهلَ دينٍ فنصيرَ للبلَاءِ إذا يُلِينَا
ولا كنّا أناساً أهلَ دُنْيَا فمنعها وإن لم نرجُ دِينَا
تركنا دُورنَا لَطَغامِ عك⁴ وأنباطِ القُرى والأشعْرِينَا⁴

[ذم القعقاع بن سويد]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدّة مع القعقاع بن سويد المنقريّ بسجستان ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه :

[من الوافر]

سَتَعَلِمُ أنّ رأيك رأيُ سَوءٍ إذا ظلَّ الإمارةَ عنك زالا

1 أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .

2 زرنج : قصبة سجستان .

3 البعج : الشق . أحجى : أجدر وأخلف .

4 عك : قبيلة . وطغام : أوغاد . الأشعرون : جمع أشعري نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة في اليمن .

وراح بنو أبيك ولست فيهم بذِي ذِكْرٍ يَزِيدُهُمْ جَمَالاً¹
هناك تَذَكَّرُ الأَسْلَافَ مِنْهُمْ إِذَا اللَّيْلُ الْقَصِيرُ عَلَيْكَ طَالَا

فقال له القَعْقَاعُ : وَمَتَى يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ ؟ قال : إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّمَاءِ مُرَبِّعَةً . فَلَمَّا غَزَلَ وَحُبِسَ أَخْرَجَ رَأْسَهُ لَيْلَةً فَنَظَرَ ، فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى السَّمَاءَ إِلَّا بِقَدْرِ تَرْبِيعِ السَّجْنِ ، فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَذَرْنِيهِ أَبُو جَلْدَةَ .
[مدح مسمع بن مالك ورثاه]

قال : وَوَلِيَّ مِسْمَعُ بْنُ مَالِكِ سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ مُكْتَبُ أَبِي جَلْدَةَ بِهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَتَلَقَاهُ وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

[من البسيط]

بانتُ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا	وَلَيْتَ وَصَلًّا لَهَا مِنْ حَبْلِهَا رَجَعَا
شَطَطَتْ بِهَا غُرْبَةٌ زَوْرَاءَ نَازِحَةٍ	فَطَارَتِ النَّفْسُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا قَطَعَا ²
مَا قَرَّتِ الْعَيْنُ إِذْ زَالَتْ فَيَنْفَعَهَا	طَعْمُ الرُّقَادِ إِذَا مَا هَاجَعَ هَجَعَا ³
مَنَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَوْحِ تَعِيشَ بِهِ	وَقَدْ أَكُونُ صَاحِبِ الصَّدْرِ فَاَنْصَدَعَا
غَدْتُ تَلُومَ عَلَى مَا فَاتَ عَاذَلْتِي	وَقَبْلَ لَوْمِكِ مَا أَغْنَيْتِ مَنْ مَنَعَا
مَهْلًا ذَرِينِي فَإِنِّي غَالِي خُلُقِي	وَقَدْ أَرَى فِي بِلَادِ اللَّهِ مُتَسَعَا ⁴
فَخَرِي تَلِيدٌ وَمَا أَنْفَقْتُ أُخْلِفَهُ	سِيبُ إِلَالِهِ وَخَيْرُ الْمَالِ مَا نَفَعَا
مَا عَصَنِي الدَّهْرُ إِلَّا زَادَنِي كَرَمًا	وَلَا اسْتَكْنَتْ لَهُ إِنْ خَانَ أَوْ خَدَعَا
وَلَا تَلِينُ عَلَى الْعِلَاتِ مَعْجَمَتِي	فِي النَّائِبَاتِ إِذَا مَا مَسَّنِي طَبَعَا ⁵
وَلَا تُلِينُ مِنْ عَوْدِي غَمَائِرُهُ	إِذَا الْمُغَمَّرُ مِنْهَا لَانَ أَوْ حَضَعَا ⁶
وَلَا أُخَاتِلُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ	وَلَا أَقُولُ لَشَيْءٍ فَاتَ مَا صَنَعَا
إِنِّي لِأَمْدَحَ أَقْوَامًا ذَوِي حَسَبِ	لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي أَقْوَالِهِمْ قَدَعَا ⁷
الطَّيِّبِينَ عَلَى الْعِلَاتِ مَعْجَمَةً	لَوْ يُعَصِّرُ الْمِسْكَ مِنْ أَطْرَافِهِمْ نَبَعَا

1 بذِي ذِكْرٍ فِي ل : بِذِي ذَخِر .

2 غُرْبَةُ زَوْرَاءَ : بَعِيدَةٌ .

3 زَالَتْ : فَارَقَتْ .

4 غَالِي هُنَا : حَبَسَنِي .

5 الْمَعْجَمَةُ : الْقُوَّةُ وَالصَّلَابَةُ ؛ الطَّبَعُ : الضَّعْفُ وَالخَوَرُ .

6 الْغَمَائِرُ : جَمْعُ غَمِيْرَةٍ مِنَ الْغَمْرِ ، وَالْغَمِيْرَةُ : الْعَيْبُ .

7 الْقَدَعُ : الْفَحْشُ فِي الْكَلَامِ .

بني شهابٍ بها أعني وإنهم
 قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم
 توفي مِسْمَعُ بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلْدَةَ يرثيه :
 [من البسيط]

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزياً
 يا مِسْمَعُ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتُ
 يا مِسْمَعاً لِعِراقٍ لا زعيمَ لها
 تلكَ العيونُ بحيثِ المصرِ سادمة
 قد وسدوك يميناً غيرِ موسدة
 كنتَ الشَّهابَ الذي يُرمى العُدوَّ به
 قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلْفُ
 إحدَى النَّوائبِ بالأقوامِ واختلفوا
 بمن تُرى يُؤمنُ المُستَشْرِفُ النُّطْفُ¹
 تبكيك إذ غالك الأكَفانُ والجُرْفُ
 وبذلِ جودِ لما أودى بك التلْفُ
 والبَحْرُ منه سِجالُ الجُودِ تغترفُ

[كان ينادم شقيق بن سليط واستقل أخاه ثعلبة فهجاه]

قال ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيِّ قال : كان أبو جِلْدَةَ يُنادم شقيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْلِ
 السَّدُوسِيِّ أخوا سِطَّامِ بن سَلِيطِ ، وكان لها أخٌ يقال له ثعلبةُ بن سَلِيطِ وكان ثقيلاً بخيلاً
 مُبَغِّضاً وكان يُطْفَلُ عليهم ويُؤذِيهم . فقال فيه أبو جِلْدَةَ :
 [من الوافر]

أحبُّ على لَذاذتنا شقيقاً
 له غَمٌّ على الجُلُساءِ مؤذٍ
 وأبغضُ مثلَ ثعلبةِ الثَّقِيلِ
 نوافِلُهُ إذا شربوا قليلُ

[قال شعراً في مسمع حين خصَّ عشيرته بالمال]

قال ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيِّ : وفرَّقَ مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة
 عطايا كثيرةً وقربهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلْدَةَ :
 [من الطويل]

إذا نلتَ مالاً قلتُ قيسٌ عَشيرَتِي
 وإن كانتِ الأخرى فبكرُ بن وائلٍ
 هُنالكَ لا نَمشي الضَّرَاءُ إليكمُ
 عسى دولةُ الذُّهَلِيِّنِ يوماً وَيَشْكُرُ
 تجورُ علينا عامداً في قِضائِكَا
 بزَعَمِكَ يُخشي داوئها بدوائِكَا
 بَنِي مِسْمَعٍ إنا هناكَ أولُكَا²
 تَكُرُّ علينا سِغَةً من عِطائِكَا³

قال : فبعث إليه مِسْمَعُ فترضاه ووصله وفرَّق في سائرِ بطون بكر بن وائل على جِذْمِينِ ،

1 المستشرف : الظالم . والنطف : المريب .

2 الضراء : الشجر الملتف .

3 الدولة : العقبة في الحرب .

جذمٍ يقال له الذُّهْلانُ ، وجِذْمٌ يقال له اللُّهَازِمُ . فالذُّهْلانُ : بنو شَيْبَانَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَشْكُرَ بنِ وائِلٍ ، وبنو ضَبَيْعَةَ بنِ رَبِيعَةَ . واللُّهَازِمُ : قَيْسُ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وَتَيْمُ اللَّاتِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعِجْلُ بنِ لُجَيْمٍ ، وَعَنْزَةُ بنِ أُسَدِ بنِ رَبِيعَةَ . قال الفرزدق :

وأرضى بِحُكْمِ الحَيِّ بَكْرِ بنِ وائِلٍ إِذَا كانَ فِي الذُّهْلَيْنِ أَوْ فِي اللُّهَازِمِ
قال : وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة . وأمّا حَنيفَةُ فلم تدخلْ في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وَسَطِ دارِ مُضَرَ ، وكانوا لا ينصرون بَكْرًا ولا يستنصرونهم . فلَمَّا جاءَ الإسلامُ ونزلَ الناسُ مع بني حَنيفَةَ ومع بني عِجْلِ بنِ لُجَيْمٍ فَتَلَهَزُوا ودخلَ معهم حلفاءُهم بنو مازنِ بنِ جُدَيِّ بنِ مالِكِ بنِ صَعْبِ بنِ عليٍّ ، فصاروا جميعاً في اللُّهَازِمِ . وقال موسى بن جابر الحَنَفِيُّ السُّحَيْمِيُّ بعد ذلك في الإسلام :

وجدنا أبانا كان حَلَّ بَيْلِدَةٍ سُوِيَّ بَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ²
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا العَشِيرَةُ كُلُّهَا أَقَمْنَا وَحَالَفْنَا السِّيَوفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمْتَنَا بَعْدُ فِي يَوْمِ وَقَعَةٍ وَلَا نَحْنُ أَعْمَدْنَا السِّيَوفَ عَلَى وَتِرٍ

[كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه]

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابيِّ قال : كان لأبي جِلْدَةَ بسجستان جَارٌ يقال له سيفٌ من بني سَعْدٍ ، وكان يشرب الخمر ويُعَرِّدُ على أبي جِلْدَةَ ، فقال يهجوهُ :

قُلْ لِدَوِي سَيْفٍ وَسَيْفٍ أَسْتُمُّ أَقَلَّ بَنِي سَعْدٍ حَصَادًا وَمَزْرَعًا
كَأَنَّكُمْ جِعْلَانُ دَارِ مِقَامَةٍ عَلَى عَذِرَاتِ الحَيِّ أَصْبَحْنَ وَقُوعًا³
لقد نال سيفٌ في سِجِسْتَانَ نُهْزَةً تَطَاوَلَ مِنْهَا فَوْقَ ما كانَ إِصْبَعًا
أَصَابَ الزُّنَا والخَمَرَ حَتَّى لَقِدَ نَمَتْ لَهُ سُرَّةٌ تُسْقَى الشَّرَابَ المُشْعَشَعًا⁴
فلولا هَوَانُ الخَمْرِ ما ذُقْتَ طَعْمَهَا وَلَا سُقْتَ إِبريقًا بِكَفِّكَ مُتْرَعًا⁵
كما لم يَذُقْهَا أَنْ تَكُونَ عَزِيزَةً أَبوكَ وَلَمْ يُعْرَضْ عَلَيْهَا فَيَطْمَعَا
وكان مكانَ الكلبِ أَوْ مِنْ ورائِهِ إِذَا ما المُغْنِي لِلذَّادَةِ أَسْمَعَا

1 ل : مصعب .

2 يقال : مكان سوي . وسواء : إذا كان وسطاً بين الفريقين .

3 العذرة : الغائط .

4 الشراب المشعشع : المزوج بالماء .

5 ورد في تكملة شعر الأخطل : سُتت : والسوف : الشم .

[القعقاع يهدده بالعزل حين أرجف به]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولى سجستان على بُسْت¹ والرُحج² ، فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم ، وكتب القعقاع إليه يتهدده ؛ فكتب إليه أبو جلدة :

يُهددني القعقاعُ في غير كنهه
كأنَّ وإياكم إذا الحربُ بيننا
تُرى كمصايح الدياجي وجوهنا
هناك السُعودُ السانحاتُ جرت لنا
وما أنت يا قعقاعُ إلا كمن مضى
أظنَّ بغال البردِ تسري إليكم
والأ فبالبسال يا لك إن سرت
فعمالنا أوفى وخير بقيّة
وما لبني عميرو علي هوادة

قال : فلما انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجّه برسول إلى أبي جلدة ، وقال : انظر ، فإن كان كتب هذا الكتاب بالعادة فاعزله ، وإن كان كتبه بالليل فأقرره على عمله ولا تعزله ولا تضربه . وكان أبو جلدة صاحب شراب ، فقال للرسول : والله ما كتبه إلا بالعشي . فسأله البيهقي على ذلك فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال ، فأقره على عمله وانصرف عنه .

[شيب بينت دمقان فأهدى ليرك ذكرها]

قال ابن حبيب : ومرّ أبو جلدة بقصر من قصور بُسْت ينزله رجل من الدهاقين ، فرأى ابنته تُشرف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول :

إن في القصر ذي الخبا بذر تم
ولعاً بالخلوق يارج منه
حسن الدلّ للفؤاد مضييا
ريح رند إذا استقل ميبيا⁶

1 بُسْت : مدينة بين سجستان وغزنيان وهرارة من نواحي كابل .

2 الرُحج : كورة ومدينة من نواحي كابل .

3 الورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب .

4 الهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل .

5 غمز القنّاة : عصرها وتلينها ، وهي كناية عن عدم الانقياد .

6 الخلق : ضرب من الطيب . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

يَلْبَسُ الْخَزَّ وَالْمَطَارِفَ وَالْقَدَّ زَ وَعَصْبًا مِنَ الْيَمَانِي قَشِيْبَا
وَرَأَيْتُ الْحَبِيْبَ يُرْزُ كَفًّا مَا رَاهُ الْمُحِبُّ إِلَّا خَضِيْبَا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان ، فأهدى له وبره وسأله ألا يذكر ابنته في شعرٍ بعد ذلك .
[هتف بمسمع بن مالك حين لم يمنعه قومه في ضميم]

قال ابن حبيب : ولحق أبا جلدة ضميم من بعض الولاة ، فهتف بقومه فلم يقدرُوا على منعه
منه ولا معونته رهبةً للسُّلطان ، فهتف بأعلى صوته : يا مِسمَعُ بن مالك ، يا أمير بن أحمَر ، ثم
أنشأ يقول :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ سَرَاةَ قَوْمِي سُكُوتًا لَا يَثُوبُ لَهُمْ زَعِيمُ
هَتَفْتُ بِمِسمَعٍ وَصَدَى أَمِيرٍ وَقَبْرِ مَعْمَرٍ تَلِكِ الْقَرُومُ¹

قال : فأبكى جميع من حضر ، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه . قال :
وأمير بن أحمَر رجلٌ من بني يَشْكُر ، وكان سيِّداً جواداً ، وفيه يقول زيادُ الأعجمُ : [من السريع]
لَوْلَا أَمِيرٌ هَلَكْتُ يَشْكُرٌ وَيَشْكُرٌ هَلَكَى عَلَى كُلِّ حَالٍ

قال ابن الأعرابي : كان أميرُ بن أحمَر والياً على خراسان في أيام معاوية .
ومُعَمَّرُ الذي عناه أبو جلدة معمر بن شُمَيْر بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صريم ، وكان
أميرَ سِجِسْتَان ، وكان سيِّداً شريفاً .

[خطب خليعة بنت صعب فأت وتزوجت غيره فقال شعراً]

وقال : خطب أبو جلدة امرأةً من بني عجلٍ يقال لها خليعة² بنت صعب ، فأبت أن
تتزوجه وقالت : أنت صعلوكٌ فقيرٌ لا تحفظ مالك ولا تلقني شيئاً إلا أنفقته في الخمر ،
وتزوجت غيره . فقال أبو جلدة في ذلك :

صوت

لَمَّا خَطَبْتُ إِلَى خَلِيْعَةَ نَفْسَهَا قَالَتْ خَلِيْعَةُ مَا أَرَى لَكَ مَالَا
أَوْدَى بِمَالِي يَا خَلِيْعُ تَكْرُمِي وَتَحْرُقِي وَتَحْمُلِي الْأَثْقَالَا
إِنِّي وَجَدْتُكَ لَوْ شَهِدْتِ مَوَاقِفِي بِالسُّفْحِ يَوْمَ أُجْلِلُ الْأَبْطَالَا
سَيْفِي ، لَسَرَّكَ أَنْ تَكُونِي خَادِمًا عِنْدِي إِذَا كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَا

الغناء لإبراهيم الموصلي ثانياً ثقيلاً بالوسطى عن الهشامي من كتاب علي بن يحيى .
[ضرب بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضربوا]

قال أبو سعيد السُّكْرِي وعمر بن سعيد صاحب الواقدي : إنَّ أبا جلدة كان في قريةٍ من

1 الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

2 ل : خليعة .

قُرِي بُسْتُ يُقَالُ لَهَا الْخَيْرَانُ وَمَعَهُمُ عَمْرُو بْنُ صُوحَانَ أَخُو صَعُصَعَةَ فِي جَمَاعَةٍ يَتَحَدَّثُونَ وَيَشْرِبُونَ ، إِذْ قَامَ أَبُو جِلْدَةَ لِيَبُولَ فَضَرَطَ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْبَطْنِ ، فَتَضَاكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ : لِأَضْرِبَنَّ مَنْ لَا يَضْرِبُ فِي مَجْلِسِهِ هَذَا ضَرْبَةً بَسِيفِي ، أَمْنِي تَضْحَكُونَ لَا أُمَّ لَكُمْ ! فَمَا زَالَ حَتَّى ضَرَطُوا جَمِيعاً غَيْرَ عَمْرُو بْنِ صُوحَانَ . فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ لَا تَضْرِبُ وَلَكِ بَدَلُهَا عَشْرُ فَسَوَاتٍ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ أَوْ تُفْصِحَ بِهَا ! فَجَعَلَ عَمْرُو يَجْتَنِي وَيَنْحَنِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا ، فَتَرَكَهُ . وَقَالَ أَبُو جِلْدَةَ فِي ذَلِكَ :

أَمِنْ ضَرَطَةِ بِالْخَيْرَانِ ضَرَطَتْهَا تَشَدَّدَ مِنِّي دَارَةٌ وَتَالِينُ¹
فَمَا هُوَ إِلَّا السَّيْفُ أَوْ ضَرَطَةٌ لَهَا يَثُورُ دُخَانٌ سَاطِعٌ وَطَيْنُ

قال : ولعمرو بن صوحان يقول أبو جلدَةَ الْيَشْكُرِيُّ وطالت صُحْبَتُهُ إِيَّاهُ فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ

بشيء : [من البسيط]

صَاحِبْتُ عَمراً زَمَاناً ثُمَّ قَلْتُ لَهُ الْحَقُّ بِقَوْمِكَ يَا عَمْرُو بْنَ صُوحَانَ
فَإِنْ صَبَّرْتُ فَإِنَّ الصَّبْرَ مَكْرُمَةٌ وَإِنْ جَزَعْتَ فَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا

[هجا زياداً الأعجم لهجو بني يشكر]

قال ابن سعيد وحدثني أبو صالح قال : بلغ أبا جلدَةَ أَنَّ زِيَاداً الْأَعْجَمَ هَجَا بَنِي يَشْكُرَ ،

فقال فيه : [من الكامل]

لَا تَهْجُ يَشْكُرُ يَا زِيَادُ وَلَا تَكُنْ غَرَضاً وَأَنْتَ عَنِ الْأَذَى فِي مَعَزِلِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا مَا حُصِّلُوا خَيْرٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَيْكَ الْأَعْزَلِ
لَوْلَا زَعِيمُ بَنِي الْمُعَلَّى لَمْ نَبْتَ حَتَّى نُصَبِّحَكَ بِجَيْشِ جَحْفَلِ
تَمْشِي الضَّرَاءَ رِجَالَهُمْ وَكَانَهُمْ أَسَدُ الْعَرِينِ بِكُلِّ عَضْبٍ مُنْصَلِ²
فَاحْدَرُ زِيَادُ وَلَا تَكُنْ ذَا تُدْرَأَ عِنْدَ الرِّجَالِ وَنُهْزَةً لِلخُتْلِ³

[مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقاً له]

وقال ابن حبيب : كان سليمان بن عمرو بن مرثد الْبَكْرِيُّ صديقاً لأبي جلدَةَ ، وكان

فارساً شجاعاً ، وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره ؛ وفيه يقول أبو جلدَةَ : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ مُرْتَاداً نَدِيماً مُكْرَرًا نَمَاهُ سَرَاةً مِنْ سَرَاةِ بَنِي بَكْرِ

1 بالخيزران في ل : الجبروان .

2 العضب : السيف القاطع . والمنصل : اسم للسيف .

3 ذو تدراً : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . النهزة : الفرصة . والختل : جمع خاتل .

فلا تَعُدْ ذا العَلْيَا سُلَيْمَانَ عامداً
 كريمًا على عِلَاتِهِ يَبْذُلُ النَّدَى
 مُعْتَقَةً كَالْمِسْكِ يَذْهَبُ رِيحُهَا الـ
 وتترك حاسي الكأسِ منها مُرْتَحاً
 تلوحُ كَعَيْنِ الدَّيْكِ يَنْزُو حَبَابُهَا
 فِتْلِكَ إِذَا نَادَمْتُ مِنْ آلِ مَرْثِدِ
 يُغْنِيكَ تَارَاتٍ وَطَوْرًا يَكْرُهَا
 تَعَوَّدُ أَلَّا يَجْهَلَ الدَّهْرَ عِنْدَهَا
 وَإِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ مَرْثِدِ
 فَهَمَّتْهُ بَذْلُ النَّدَى وَإِنَّا الْعُلَا
 وَفِي الْأَمْنِ لَا يَنْفَكُ يَحْسُو مُدَامَةً
 تَجِدُ مَا جَدًّا بِالْجُودِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ
 وَيَشْرِبُهَا صَهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
 زُكَّامٌ وَتَدْعُو الْمَرْءَ لِلْجُودِ بِالْوَفْرِ
 يَمِيدُ كَمَا مَادَ الْأَثِيمُ مِنَ السُّكْرِ
 إِذَا مُزِجَتْ بِالْمَاءِ مِثْلَ لَطْفِ الْجَمْرِ
 عَلَيْهَا نَدِيمًا ظَلَّ يَهْرَفُ بِالشَّعْرِ¹
 عَلَيْكَ بِحَيَّاكَ الْإِلَهَ وَلَا يَدْرِي
 وَأَنْ يَبْذُلَ الْمَعْرُوفَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 تَأَلَّى يَمِينًا أَنْ يَرِيشَ وَلَا يَبْرِي²
 وَضُرِبَ طَلَى الْأَبْطَالِ فِي الْحَرْبِ بِالْبُتْرِ³
 إِذَا مَا دَجَا لَيْلٌ إِلَى وَضَحِ الْفَجْرِ

قال : فلما بلغت سليمان هذه الأبيات قال : هجاني أخي وما تعمّد ، لكنه يرى أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو ، ويشربونها كما يشربها . وبلغ قوله أبا جلدة فاتاه فاعتذر إليه ، وحلف أنه لم يتعمّد بذلك ما يكرهه ويُنكره . قال : قد علمتُ بذلك وشهدتُ لك به قبل أن تعتذر ، وقيل عُذْرَه .

[سأل الحَضِين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه]

وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدة الحَضِين بن المنذر الرِّقَاشِيَّ شيئاً فلم يُعْطِه إِيَّاهُ ، وقال : لا أُعْطِيهِ مَا يَشْرَبُ بِهِ الْخَمْرُ . فقال أبو جلدة يهجوهُ :

يا يَوْمَ بُوَسٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ
 بِالنَّحْسِ لَا فَارَقَتْ رَأْسَ الْحَضِينِ
 إِنَّ حَضِينًا لَمْ يَزَلْ بِاخْتِلَاءِ
 مُذْ كَانَ بِالْمَعْرُوفِ كَزَّ الْيَدِينِ
 فبلغ الحَضِين قولُ أبي جلدة ، فقال يُجيبه :

عَضَّ أَبُو جِلْدَةَ مِنْ أُمِّهِ
 بَطْرًا طَوِيلًا غَاشِيًا رَأْسَهُ
 مُعْتَرِضًا مَا جَاوَزَ الْأَسْكَنِينَ⁴
 أَعْقَفَ كَالْمِنْجَلِ ذَا شُعْبَتَيْنِ

1 الهرف : الهذيان ، والهرف : مجاوزة القدر في المدح والثناء .

2 تألَّى : حلف . يقال رشت فلاناً ، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه . وبراہ : هزله وأضعفه . وهو مثل .

3 الطلَى : الأعناق . والبتَر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع .

4 الأسكان : جانب الفرج وهما قذاته .

[من الطويل]

إليكَ أبا ساسانَ غيرُ مُسَدِّدٍ¹
ولا خائفٌ بثَّ الأحاديثِ في غَدٍ
فلم أطلبِ المعروفَ عندَ المُصَرِّدِ²
لَقُمْتَ بحاجاتي ولم تَبَدِّدِ
وكنْتَ قصيرَ الباعِ غيرَ المُقَلِّدِ
من اللومِ يا ابنَ المُسْتَدَلِّ المُعَبِّدِ

وقال أبو جِلدة في حُضَيْنٍ أيضاً :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أُسَيْدُ حاجتي
فلا عالمٌ بِالغَيْبِ مِنْ أَيْنَ ضُرُّهُ
فليتَ المنايا حَلَقَتْ بي صُرُوفُها
فلو كنت حُرّاً يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرِ
تَجَهَّمْتَنِي خَوْفَ القَرَى واطَّرَحْتَنِي
ولم تَعُدْ ما قد كنتَ أهلاً لِمِثْلِهِ

[تهدهه بنو رقاش لهجائه الحُضَيْنِ فقال شعراً]

قال : فبلغَ أبا جِلدة أن بني رقاش³ تهَدَّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْنِ بنَ مُنْذِرِ ،

[من الطويل]

فقال :

وكلَّ رقاشيُّ على الأرضِ في الحَبْلِ
فبئسَ محلُّ الضيفِ في الزَمَنِ المَحَلِ
أذَلَّ على وَطءِ الهَوَانِ مِنَ النَعْلِ
سبيلاً ولا وُقِّتُ للخيرِ والفضلِ
مَبَاحِيلُ بالأزوادِ في الخُصْبِ والأزْلِ⁴
عِظالِ الكِلَابِ في الدُّجْنَةِ والوَبْلِ⁵
فَأخوَرُ عِيداناً مِنَ المَرخِ والأثْلِ⁶
إذا خَطَرَتْ حَرْبٌ مَراجِلُها تَغْلِي

تَهَدَّدَنِي جَهلاً رَقاشِ وليتني
فياستِ حُضَيْنِ واستِ أُمِّ رَمَتْ بهِ
وإنَّ أنا لَم أَتْرَكَ رَقاشِ وجمَعَهُمْ
فشَلَّتْ يداي وأتبعْتُ سوى الهدى
عِظامُ الخُصَى نُطُّ اللُحَى مَعْدِنُ الخِنا
إذا أَمِنوا ضِرَاءَ دَهْرٍ تَعاطَلُوا
وإنَّ عَضَّهُمْ دَهْرٌ بِنَكْبَةِ حادِثِ
أُسودُ شَرَى وَسَطُ النَّدِيِّ تَعالِبِ

[شعره في دهقانة كان يختلف إليها]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيُّ المعروف بالحزَنبَلِ
عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيِّ عن أبيه قال : عَشِقَ أبو جِلدة اليَشْكُريُّ دِهْقانَةَ يَبُستَ وكان
يختلف إليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها :

[من الطويل]

1 أبو ساسان : كنية الحُضَيْنِ بنِ المنذر .

2 التصريد : قلة العطاء .

3 رقاش : مبنية على الكسر .

4 نط جمع أنط وهو القليل شعر اللحية . المعدن اسم مكان من عدن أي أقام . الأزل : الضيق والشدة .

5 التعاظل : الملازمة في السفاد .

6 المرخ والأثل : ضربان من الشجر .

وكأسٍ كأنَّ المسكَ فيها حسوتها
 أغرُّ كأنَّ البدرَ سنَّةً وجهه
 يضيءُ دجى الظلِّماءِ رونقُ خده
 وتديانٍ كالحقَّينِ والمتنِّ مدمج
 وبطنٍ طواه الله طياً ومنطق
 به تَبَلَّتني واستبَّتني وغادرتُ
 أبيتُ بها أهدي إذا الليلُ جنَّني
 فمنْ مبلغُ قومي الدُّنا أنْ مهجتي
 وعهدي بها ، واللهُ يُصلِّحُ بالها ،
 فما بالها ضنَّتْ عليَّ بوذها

ونازعَنيها صاحبٌ لي ملوم¹
 له كفلٌ وافٍ وفرعٌ ومبسم²
 وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ
 وجيدٌ عليه نسقُ درٍّ منظمُ
 رخيماً وردفٌ نيطُ بالحقوِ مقام³
 لظيُّ في فؤادي نارها تَصْرَمُ
 وأصبحُ مبهوراً فما أتكلُّمُ
 تبينُ ، لمن بانَتْ ألا تتلوم⁴
 تجودُ على مَنْ يشتهيها وتنعِمُ
 وقلبي لها يا قوم عانٍ متيمُ

قال : فلما بلغها الشعرُ سألتُ عن تفسيره ففسَّر لها . فلما انتهى المُفسِّرُ إلى هذين البيتين الأخيرين غضبتُ فقالت : أنا زانيةٌ كما زعم ؟ إن كلمته كلمةٌ أبداً . أو كلُّما اشتهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحِي إذا ! أي أنا إذا زانية . فصرمته ، فلم يقدر عليها وعذَّب بها زماناً ، ثم قال فيها لما يعس منها :

صحا قلبي وأقصرَ بعد عيِّ
 بأنَّ قصدَ السبيلِ فباع جهلاً
 وخاف الموتَ واعتصمَ ابنُ حُجرٍ
 وقدماً كان مُعترِماً جموحاً
 وأقلعَ بعد صبوته وأضحى
 ويدعو الله مجتهداً لكيما

طويلٍ كان فيه من العواني
 برشِدٍ وارتجى عُقبى الزمانِ
 من الحُبِّ المبرِّحِ بالجنانِ⁵
 إلى لذاته سلسَ العنانِ⁶
 طويلَ الليلِ يهرفُ بالقرانِ
 ينالُ الفوزَ من عُرفِ الجنانِ

[قال شعراً في يزيد بن المهلب ثم اتصل منه]

قال ابن حبيب قال أبو عبيدة : كان يزيد بن المهلب يُتهم بالنساء . فقال فيه أبو

- 1 ملوم : يلومه الناس كثيراً .
- 2 سنة الوجه : دائرته أو صورة أو الجبهة والجبينان . المبسم : الثغر .
- 3 نيط بالحقو : علق به . والحقو : الكشح . وردف مقام : سمين .
- 4 القوم الدنا : الأقربون . التلوم : التلبث والانتظار .
- 5 حجر : من آباء الشاعر .
- 6 الاعترام هنا الشراسة والبطر .

جلدة :

[من الطويل]

إذا اعتكرتُ ظلماءَ ليلي وتومتُ
 عيونُ رجالٍ واستلثوا المضاجعاً¹
 سما نحوَ جارِ البيتِ يستامُ عرسه
 يزيدُ ديباً للمعانة قابعاً²
 وإن أمكنته جارةُ البيتِ أو رنتُ
 إليه أتاها بعد ذلك طائعا
 فشاعتِ الآياتُ ورواها الناسُ لقتادةَ بنِ مُعربٍ . فقال أبو جِلدة :

أبا خالدٍ رُكِنِي وَمَنْ أَنَا عَبْدُهُ
 لقد غالني الأعداءُ عمداً لِتَغَضَبَا
 فَإِنْ كُنْتُ قَلْتُ اللَّذُ أَتَاكَ بِهِ الْعِدَا
 فَشَلَّتْ يَدِي الْيُمْنَى وَأَصْبَحْتُ أَعْضَبَا³
 وَلَا زِلْتُ مَحْمُولاً عَلَيَّ بَلِيَّةُ
 وَأَمْسَيْتُ شِلْواً لِلسَّبَاعِ مُتْرَبَا⁴
 فَلَا تَسْمَعَنَّ قَوْلَ الْعِدَا وَتَبَيَّنْ
 أبا خالدٍ عُدْرًا وَإِنْ كُنْتَ مُغَضَبَا
 [سئل عنه البعث فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجو به]

وقال ابن حبيب : قال رجلٌ للبعيث : أيُّ رجلٍ هو أبو جِلدة ؟ فقال : قتادةُ بنِ مُعربٍ
 أعرفُ به حيث يقول :

[من السريع]

إِنَّ أبا جِلدةَ من سُكْرِهِ
 لا يعرفُ الحقَّ من الباطلِ
 يزداذُ غَيًّا وانْهِمَكاً ولا
 يسمعُ قولَ الناصحِ العاذلِ
 أعيأ أبوه وبنو عمِّه
 وكان في الذرّوةِ مِن وائلِ
 فليته لم يكُ من يشكُرُ
 فبئسَ خِذْنُ الرجلِ العاقلِ
 أعمى عن الحقِّ بصيرٌ بما
 يعرفه كلُّ فتى جاهلِ
 يُصبحُ سكرانٌ ويُمسي كما
 أصبحَ ، لا أسقي من الوابلِ
 شدَّ ركابَ الغيِّ ثم اغتدى
 إلى التي تجلبُّ من بابلِ
 فالسجُنُ إن عاش له منزِلُ
 والسجُنُ دارُ العاجزِ الخاملِ
 [شعره يناقض به قتادة بن معرب]

[من السريع]

وقال أبو جِلدة يُجيبه :

قُبِحتَ لو كنتِ امرءاً صالحاً
 تعرّفُ ما الحقُّ من الباطلِ

1 اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .

2 يستام عرسه : يطلب زوجته . القيع : تغطية الرأس بالليل لريية .

3 الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .

4 المترّب : الملتطخ بالتراب .

كَفَفْتَ عَنْ شَتْمِي بِلَا إِحْنَةٍ
لَكِنْ أَبَتَ نَفْسُكَ فَعَلَ النَّهْيُ
فَتَحَتَّ لِي بِالشَّتْمِ حَتَّى بَدَأَ
فَاجْهَدُ وَقُلْ لَا تَتْرِكْ جَاهِدًا
تَعُدُّنِي فِي قَهْوَةٍ مُزَّةٍ
وَلَوْ رَأَاهَا خَرَّ مِنْ حُبِّهَا
يَا شَرًّا بِكْرٍ كُلِّهَا مَحْتَدًا
عَرَضَكَ وَقَرَّةٍ وَدَعْنِي وَمَا

[عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعراً]

قال ابن حبيب : كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل ، فسكير نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك :

[من الطويل]

أَبِي لِي أَنْ أَلْحَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَى
وَقَارِي وَعَلْمِي بِالشَّرَابِ وَأَهْلِيهِ
فَلَسْتُ بِبِلَاحٍ لِي نَدِيمًا بِزَلَّةٍ
عَرَكْتُ بِجَنِّي قَوْلَ خِدْنِي وَصَاحِبِي
فَلَمَّا تَمَادَى قَلْتُ خُذْهَا عَرِيقَةً
فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلَ مَا
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طَارَ بَلْبِي
وَلَاكَ لِسَانًا كَانَ إِذْ كَانَ صَاحِبًا

[شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشرب فأبى]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذثان قال : كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تستر⁶ في بعث ، فشرِب بها في حانة مع رجلٍ من قومه

1 كفة الحابل : حالته التي يصيد بها .

2 إشارة إلى مثل «أعياء من باقل» .

3 ذو الحجر : ذو العقل .

4 عركت ذنبه بجنيي إذا احتملته . والخذن : الصديق .

5 وضع الفجر : يبيض الصبح .

6 تستر : مدينة بخوزستان .

كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتِ والرُّخِجِ وكان مكنبُه هناك ، فأقام بها مدّة ، ثمّ لقي بها ذلك الرجلَ الذي نادَمه بُتَسْتَر ذاتَ يومٍ ، فسَلَّم عليه ودعاه إلى منزله ، فأكلا ، ثم دعا بالشراب ليشرَبَا ، فامتنع الرجلُ وقال : إني قد تركتها لله . فقال أبو جِلْدَة وهو يشرَب :

[من الطويل]

ألا رَبَّ يومٍ لي يُبْسِتَ وِلِيلَةَ
غَنِيْتُ بها أسْقِي سُلَافَ مُدَامَةِ
نُبَادِرُ شُرْبِ الرَّاحِ حَتَّى نَهْرُهَا
فذلك دَهْرٌ قد تَوَلَّى نَعِيمُهُ
فراجَعني حِلْمِي وأصْبَحْتُ مَنهَجِ الـ
وكلَّ أوانِ الحَقِّ أبصرتُ قَصْدَهُ
سأرْكُضُ في التَّقْوَى وفي العِلْمِ بَعْدَمَا
وباللَّهِ حَوْلِي وَاخْتِيَالِي وَقُوَّتِي
ولا مِثْلَ أَيَّامِي المَوَاضِي بُتَسْتَرِ
كريمَ المُحَيَّا مِنْ عَرَانِينِ يَشْكُرُ
وتَتْرَكُنَا مِثْلَ الصَّرِيحِ المُعْفَرِ¹
فأصْبَحْتُ قد بُدِّلْتُ طَوَلَ التَّوَقُّرِ
شَرَابِ وَقَدِّمًا كُنْتُ كالمُتَحَيِّرِ
فلسْتُ وإن نُبِهُتُ عنه بمُقْصِرِ
رَكضْتُ إلى أَمْرِ الغَوِيِّ المُشَهَّرِ
ومَنْ عِنْدَهُ عُرْفِي الكَثِيرُ وَمُنْكَرِي

[مرّبه مسمع بن مالك فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال مرّ مِسمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدَة ، فوثبَ إليه وأنشأ يقول :

[من الرجز]

يا مِسمَعُ بنَ مالِكِ يا مِسمَعُ
أنتَ الجِوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ

فاصنَعُ كما كان أبوك يصنَعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إن قِبلَ منك والله يا أبا جِلْدَة ناكُ أمّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع .

[مدح مقاتل بن مسمع طمعا فلما رده هجاه]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : كان مِسمَعُ بن مالكٍ يُعْطِي [أبا جِلْدَة ، فقال فيه] : [من البسيط]

يسعى أناسٌ لَكَيْمًا يُدْرِكوكَ وَلَوْ
وَأنتَ في الحربِ لا رَثُ القُوَى بَرِمٌ
خاضُوا بِحَارِكِ أو ضَحَضَاحِها غِرْقُوا²
عِندَ اللِّقَاءِ ولا رِغْدِيدَةً فَرِقُ³
كلُّ الخِلالِ التي يسعى الكرامُ لَهَا
إن يمدحوكَ بها يوماً فقد صدقوا

1 هره : كرهه .

2 الضحضاح : الماء القليل القعر .

3 رث القوى : ضعيفها . البرم : الضجر الملول . الرعيدة : الجبان .

ساد العراقَ فحالُ الناسِ صالحةٌ وسادهم وزمانُ الناسِ مُنْخَرِقٌ
لا خارجيٌّ ولا مُسْتَحَدَثٌ شَرَفًا بل مجدُ آلِ شِهَابٍ كان مذ خُلِقُوا
قال : ثم مدح مُقَاتِلَ بنِ مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعْطِيهِ ، فلم يَلْتَفِتْ إليه وأمر
أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرّضتَ للسانِ أبي جِلْدَةَ وخُبَيْثِهِ . فقال : وَمَنْ هو الكلبُ ؟ وما
عسى أن يقول قبحه الله وقبح مَنْ كان منه ! فليجهدْ جهْدَهُ . فبلغ ذلك من قوله أبا جِلْدَةَ
فقال يهجوهُ :

[من الطويل]

قَرَى ضَيْفَهُ المَاءِ القَرَّاحِ ابنُ مِسْمَعٍ
فلَمَّا رأى الضيفُ القِرَى غيرَ رَاهِنٍ
يُنَادِي بأعلى الصوتِ بَكَرَّ بنَ وإِثْلٍ
عَمِيدُكُمْ هَرَّ الضيوفِ فما لَكُمْ
وخَفْتُمْ بَأَن تَقْرُوا الضيوفَ وَكُنْتُمْ
فما بِالْكُمْ باللهِ أَنْتُمْ بَخِلْتُمْ
ويُكْرَمُ حَتَّى يُقْتَرَى حينَ يُقْتَرَى
فَمَهْلًا بنِي بَكَرَ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ
وَدُونَكُمْ أَضْيَافَكُمْ فَتَحَدِّبُوا
ولا تُصْبِحُوا أَحَدُوثةً مِثْلَ قَائِلٍ
إِذَا ما التقيَ الرُّكبانُ يوماً تذاكروا
فلا تَقْرَبُوا أبايَهم إنَّ جَارَهُمْ
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواوَهُمْ
فَلَوْ بيني شَيِّبانَ حَلَّتْ رَكَائِبِي
أولئِكَ أُولَى بِالْمَكَارِمِ كُلِّها
بنِي مِسْمَعٍ لا قَرَبَ اللهُ دارَكُمْ
فلم تَرَدُّعُوا الأبطالَ بالبيضِ والقَنَا

وكان لثيماً جاره يتذللُ
لديه تولى هارياً يتعللُ
ألا كُلُّ مَنْ يرجو قراكم مُضللُ
ربيعاً أسمى ضيفكم يتحولُ
زماناً بكم يحيا الضريكُ المعيلُ¹
وقصرتُم والضيفُ يُقرى ويُزلُ
يقول إذا ولى جميلاً فيجملُ²
ورأيهم لا يسبقُ الخيلُ مُحْتَلُ³
عليهم وواسوهم فذلك أجملُ
به يضربُ الأمثالَ مَنْ يَتَمَثَلُ
بنِي مِسْمَعٍ حَتَّى يُحْمُوا وَيَتَقَلُّوا
وضيفهمُ سَيِّانٍ أَنَّى تَوَسَّلُوا
وما فيهمُ إلا لثيمٌ مُبْخَلُ
لكان قراهمُ راهناً حينَ أنزلُ
وأجدرُ يوماً أن يُواسوا ويُفضَلُوا
ولا زال واديكم من الماءِ يُمَجَلُ
إذا جعلتُ نارُ الحروبِ تَأْكَلُ

1 المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .

2 يقتري في الأولى : تتبع وفي الأخرى : أضاف .

3 المحتل : الضاوي والدقيق السيء الغذاء .

[195] - أخبار علويه ونسبه

[نسبه]

هو علي بن عبد الله بن سيف . وكان جدُّه من السُّعد¹ الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان واسترقَّ منهم جماعةً اختصَّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضهم ، ولم يُعتقَ الباقيين فقتلوه . وذكر ابن خَرْداذبِه . وهو مَن لا يحصُلُ قولُه ولا يُعتمدُ عليه ، أنَّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أمية ، والقولُ الأوَّلُ أصحُّ .

[مهارته في الغناء والضرب وسبب وفاته]

ويُكنى علويُّه أبا الحسن . وكان مغنياً حاذقاً ، ومؤدِّباً محسناً ، وصانعاً متفنناً ، وضارباً متقدماً ، مع خِفة رُوح ، وطيبِ مُجالسة ، وملاحةِ نواذر . وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرجه وعُني به جدّاً ، فبرعَ وغنىَ لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيام المتوكّل ، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيِّدةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنَّه خرج به جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه ، فبعث إليه بدواءٍ مُسهلٍ وطلاء ، فشرِبَ الطلاء واطلى بالدواء المُسهل ، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخارق . فأما التقدِيمُ والوصفُ فلم يكن إسحاق يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المهديّ ، فلا يضرُّه ذلك مع تقدُّمه وفضله .

[رأى إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدَّثنا حماد بن إسحاق قال : قلت لأبي : أيما أفضلُ عندك مُخارقٌ أو علويُّه ؟ فقال : يا بُنيَّ علويُّه أعرُفهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يُغنيهِ ويؤدِّيهِ ، ولو خيَّرتُ بينهما من يُطارح جوارياً أو شاورني من يسننصحنني كما أشرتُ إلا بعُلويِّه ؛ لأنَّه كان يؤدِّي الغناء ، وصنع صنعةً مُحكَّمةً . ومُخارقٌ بتمكُّنهِ من حلِّقه وكثرة نغمِهِ لا يُقنَع بالأخذ منه ؛ لأنَّه لا يؤدِّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنيهِ مرَّتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنَّهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سوقيةٍ غلب مُخارقٌ على المجلس والجايزة لطيبِ صوته وكثرة نغمِهِ .

حدَّثني جَحْظَةُ قال حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدَّثني أبي قال : اجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضِرَ علويُّه فغنى أصواتاً ، ثم غنى من صنَّعته : [من الطويل]

1 السُّعد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بين بخارى وسمرقند .

صوت

وَبُنْتُ لَيْلَى أُرْسَلْتُ بِشَفَاعَةِ إِيَّيْ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

ولحنه ثاني ثقيل . فقال له إسحاق : أحسنت والله يا أبا الحسن ! أحسنت ما شئت ! فقام علوية من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسرّ بقوله سروراً شديداً ، ثم قال : أنت سيدي وابن سيدي ، وأستاذي وابن أستاذي ، ولي إليك حاجة . قال : قل ، فوالله إنني أبلغ فيها ما تحب . قال : أيما أفضل عندك أنا أو مخارق ؟ فأني أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر ويحكيه عنك من حضر ، فتشرفني به . فقال إسحاق : ما منكم إلا محسن مجمل ، فلا ترد أن ترى في هذا شيئاً . قال : سألتك بحقي عليك وبترية أهلك وبكل حق تعظمه إلا حكمت . فقال : ويحك ؛ والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب ، فأما إذ أبيت إلا ما ذكرت فهالك ما عندي : فلو خيرت أنا من يطرح جوارِي أو يغنيني لما اخترت غيرك ، ولكنما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه واستبد عليك بجائزته . فغضب علويه وقام وقال : أف من رضاك ومن غضبك ! .

[شاع له صوت كان الناس يظنونه لإسحاق]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : قدمت من سر من رأى قدمة إلى بغداد ، فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء ، فقال : أي شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني ، فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صنعتك . فقال : أي شيء هو . فقلت :

صوت

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا¹
وأبكتي ماني وسط صحبي ولم أكن أبا لي دموع العين لو كنت خاليا
فضحك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعلويه ، ولقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء .
لحن علويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطي .

[أطعم أصحابه وغنمهم]

حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبراري

1 دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة . (معجم البلدان 2/480) .

قال : أتيتُ علويّه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بنَ حامدٍ وعبدَ الله بنَ صالحٍ صاحبَ المصلّى ، وكنْتُ حملتُ معي قفصَ فراريجٍ كسكريّة¹ مُسمّنةً وجرابيَ دقيقِ سَمِيذٍ² ، فسلمتُهُ إلى غلامه ، وبعثتُ إلى بشرِ بنِ حارثةٍ : أطعمنا ما عندك ، فلم يزل يُطعمنا فضلاتٍ حتى أدرك طعامه ، ثم بعثتُ إلى عبد الوهّابِ بنِ الخَصِيْبِ بنِ عمرو فحَضَرَ ، وقُدِّمَ الطعامُ فأكلَ وأكلنا أَكْلَ مُعَدَّرِينَ³ ، ثم قال : إنِّي صنعتُ البارحةَ لحنًا أعجبني ، فاسمعه وقلوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال :

صوت

هَزَيْتُ عُمَيْرَةَ أَنْ رَأَتْ ظَهْرِي أَنْحَى وَذُؤَابَتِي عُلَّتْ بِمَاءِ خِضَابِ
لَا تَهْزَيْتِي مَنِّي عُمَيْرُ فَإِنِّي مَحْضُ كَرِيمٍ شَيْبَتِي وَشَبَابِي
لحنُ علويّةٍ في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى . قلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحاً . ثم استوذن لعنثتِ غلام أحمد بن يحيى بن مُعَاذٍ ، فأذن له ، ومع عنثتِ كتابٌ من مولاة أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصم) ، فأجِبْ أن تفضّل وتطرّحه على عبدك عنثت . وهو :

صوت

فَوَاحَسَرَتَا لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً وَلَمْ أَمْتَمَّعْ بِالْجَوَارِ وَبِالْقُرْبِ
يَقُولُونَ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْهُمْ فَقُلْتُ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي
لحنُ علويّه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقدّم أغانيه وصدورها . وأوّل هذا الصوت :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ شَيْبٌ مُورِقٌ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَيْبِ
قال : وإذا مع حُسينِ رُفْعَةٌ مِنْ مَوْلَاهُ : سَمِعْتُكَ يَا سَيِّدِي تُغْنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٌ دُورَانَ هِجْتُمَا بِقَلْبِي الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
أُجِبُّ أَنْ تَطْرَحَهُ عَلَى عَبْدِكَ حُسينِ . قال : فدعا بغلامٍ له يُسَمَّى عَبْدَ آلِ فَطْرَحَهُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَحْكَمَاهُ ثُمَّ عَرَضَاهُ عَلَيْهِ حَتَّى صَحَّ لهُمَا . فَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَرَّلَنَا يَوْمَ يَقَارِبُ طَيْبَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَحُسْنَهُ .

1 الفراريج الكسكرية : منسوبة إلى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة . وكانت قصبتها «واسط» .
2 السميذ : الحواري ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة .
3 المعذورون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل .

[وصف الواثق له]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول : عَلَّوِيَه أَصَحُّ النَّاسِ صَنْعَةً بَعْدَ إِسْحَاقَ ، وَأَطْيَبُ النَّاسِ صَوْتًا بَعْدَ مُخَارِقَ . وَأَضْرَبُ النَّاسَ بَعْدَ رَبْرَبٍ وَمُلاحِظَ ، فَهُوَ مُصَلِّي كُلِّ سَابِقٍ قَادِرٍ ، وَثَانِي كُلِّ أَوَّلٍ وَاصِلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال : وكان الواثقُ يقول : غِنَاءُ عَلَّوِيَه مِثْلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يَبْقَى سَاعَةً فِي السَّمْعِ بَعْدَ سُكُوتِهِ .
[خطأ إسحاق لحنا غناه عند المعتصم فردّه هو عليه]

نسختُ من كتاب أبي العباس بن ثوابة بخطه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العباس الربيعي قال : اجتمعتُ يوماً بين يدي المعتصم وحضر إسحاق الموصلي ، فغنى عَلَّوِيَه :
[من الطويل]

لِعِبْدَةَ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ تَلُوحَ مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أُسْطَارُ¹

فقال إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا . فغضب علويه وقال : أُمُّ مَنْ أَخَذْنَا عَنْهُ هَكَذَا زَانِيَةً . فقال إسحاق : وَشَتَمْنَا قَبْحَهُ اللَّهُ ، وَسَكَتَ وَبَانَ ذَلِكَ فِيهِ . قال : وكان علويه أخذه من أبيه .

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حدَّثني عمي قال حدَّثنا هارون بن مُخَارِقٍ قال : كان علويه أعسرَ وكان عودُه مقلوبَ الأوتارِ : البَمُّ أسفل الأوتار كلها ، ثم المثلثُ فوقه ، ثم المثني ، ثم الزير ، وكان عودُه إذا كان في يد غيره مقلوباً على هذه الصفة ، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكون مستويًا في يده ومقلوباً في يد غيره .

[غنى بشعر ابن أخته القاضي الخلنجي فعزله المأمون]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال كان الخلنجي القاضي ، واسمه عبد الله [بن محمد] ، ابنَ أختِ علويه المغني ، وكان تيّهاً صليفاً ، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشَّرْقِيَّة² ، فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك ، فإذا تقدّم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله . فعمد بعض المجان إلى رُقعةٍ من الرِّقَاعِ التي يُكْتَبُ فيها الدَّعاوى فألصقها في موضع دنتيه بالدَّبْقِ ومكّن منها الدَّبْقَ . فلما تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل

1 الأسطار : جمع سطر يشير إلى الكتابة .

2 الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربي من بغداد .

انكشف رأسه وبقيت الدنية¹ موضعها مصلوبةً ملتصقةً ، فقام الخَلنجيُّ مُغضباً وعلم أنها حيلةٌ وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه ، وقام فانصرف وتركها مكانها ، حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات : [من مملع البسيط]

إِنَّ الْخَلَنْجِيَّ مِنْ تَتَائِهِ أَثْقَلُ بَادٍ لَنَا بَطْلَعَتِهِ
مَا إِنْ لِدِي نَخْوَةٌ مُنَاسِبَةٌ بَيْنَ أَخَاوِينِهِ وَقَصْعَتِهِ
يُصَالِحُ الْخَصْمَ مَنْ يُخَاصِمُهُ خَوْفًا مِنَ الْجَوْرِ فِي قَضِيَّتِهِ
لَوْ لَمْ تُدْبِقْهُ كَفُّ قَانِصِهِ لَطَارَ تَيْهًا عَلَى رَعِيَّتِهِ²

قال : وشهرت الأبياتُ والقصةُ ببغدادَ ، وعمل له علويه حكايةً أعطاهما للزفانين³ والمُختئين فأخرجوه فيها ، وكان علويه يُعاديهِ لمنازعةً كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخَلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوكى بعضَ الكورِ البعيدة ، فوكى جُندَ دِمَشقَ أو حِمصَ . فلما ولي المأمونُ الخلافةَ غناه علويه بشعر الخَلنجيِّ فقال : [من الطويل]

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَأَشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ غَرِيَةً بِهِجْرِي تَوَاصَوْا بِالنَّمِيمَةِ وَاحْتَالُوا⁴
فَقَدْ صِرْتَ أَذْنًا لِلْوَشَاةِ سَمِيعَةً يَنَالُونَ مِنْ عِرْضِي وَإِنْ شَتَّ مَا نَالُوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضي دِمَشقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكتب إلى صاحب دِمَشقَ بإشخاصه فأشخص وجلس المأمون للشربِ وأحضر علويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أنشدني قولك :

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَأَشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتها منذ أربعين سنةً وأنا صبي ، والذي أكرمك بالخلافةِ وورثك ميراثَ النبوةِ ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلا في زهدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : اجلس فجلس ، فناوله قَدَحَ نبيذٍ كان في يده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما غيرت الماء بشيء قطُّ مما يختلف في تحليله ، فقال لعلك تريد نبيذَ التمر أو الزبيب . فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها . فأخذ القَدَحَ من يده وقال : أما والله لو شربت شيئاً

1 الدنية : غطاء الرأس .

2 الدبق : الغراء . التديق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاده .

3 الزفانون : الرقاصون .

4 غرية : مولعة .

من هذا لضربتُ عنقك . وقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كله ، ولكن لا يتولّى لي القضاء رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، أنصرفُ إلى منزلك . وأمرُ علويه فغيّرَ الكلمة وجعل مكانها «حُرِّمْتُ مُنَايَ مِنْكَ» .
[ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان علويه يغني بين يدي الأمين ، فغني في بعض غنائه :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفْتُ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعن عليه ، فقال للأمين : إنما يُعَرِّضُ بك ويستبطنُ المأمونَ في محاربتِه ؛ فأمر به فضربَ خمسين سوطاً وجرَّ برجله ، وجفاه مدّةً ، حتى ألقى نفسه على كوثِرٍ فترضاه له وردّ إلى خدمته ، وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلما قدِم المأمون تقرب إليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُجبّ . وقال له : إنّ الملكَ بمنزلة الأسد أو النار ، فلا تتعرّض لِمَا يُغضبُه ، فإنّه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه ، ولم يُعطه شيئاً .

[غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته]

ومثل هذا من فعل الأمين ، ما حدّثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : دخلتُ على الأمين فرأيتُه مُغضباً كالحأ ، فقلتُ له : ما لأمر المؤمنين ، تمّم الله سروره ولا نغصه ، أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله ! والله لو كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبشتُ الساعة قبره وأحرقتُ عظامه . فقمّتُ على رجلي وقلت : أعودُ بالله من سُخطك يا أمير المؤمنين ! ومنّ أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمه إياه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغاناه فيه ، وغيّته الساعة فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبي غناءً إلّا وأنا أرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله :

أَبُو الْمَأْمُونِ فِينَا وَالْأَمِينُ لَهُ كَنَفَانٌ مِنْ كَرَمٍ وَلِينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يُقدّم المأمون في الشعر لتقديمه إياه في الموالاة ، ولكنّ الشعر لم يصحّ وزنه إلّا هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يصحّ الشعرُ إلّا هكذا أن يدّعه إلى لعنة الله . فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن . فلما قدِم المأمون سألتني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحك ويعجب منه .

[مدحه عبد الله بن طاهر]

حدَّثني جعفرُ بن قدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول : لو خُيرتُ لوناً من الطعام لا أزيدُ عليه غيره لاخترتُ الدَّرَاجَةَ¹ ؛ لأنِّي إن زدتُ في حلِّها صارتُ سِكْبَاجَةً² ، وإن زدتُ في مائها صارتُ إسْفِيدبَاجَةً³ ، وإن زدتُ في تَصْبِيرِها بل في تَشْيِيطِها صارتُ مُطَجَّنَةً⁴ . ولو اقتصرتُ على رجل واحد لما اخترتُ سِرَى عُلُوِيَه ؛ لأنَّه إن حدَّثني ألهاني ، وإن غنَّاني أشجاني ، وإن رجعتُ إلى رأيه كفاني .

[حضر عند سعيد بن عفيف فأكرمه ثم طلبه عفيف]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن محمد الأبراري قال : كنتُ عند سعيد بن عَجِيفٍ أنا وعبدُ الوهَّاب بن الخَصِيب وعبدُ الله بن صالح صاحبُ المِصْلَى ، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : علُوِيَه بالباب ، فأذن له فدخل . فقال له : لا تحمِّدني فإنِّي لم يَجئني رسولُ رجلٍ اليوم ، فعرضتُ إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُك . فدعا له بِبِرْدُونٍ اذْهَمَ بِسَرِّجِه ولِجَامِه فأهداه إليه ، وجلسنا نشربَ وعلُوِيَه يغني . فلما تَوَسَّطْنَا أمرنا جاء رسولُ عَجِيفٍ⁵ يطلبُه في منزله ، فقالوا له : هو عند ابنه سعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أجبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شيءٌ ؛ ليس فيه حيلةٌ . وقد جاء الرسولُ وهو يغني : [من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةٌ مَالِيَا⁶
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبَكَاءَ لِرَاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا

لحنُ علُوِيَه في هذا رملٌ . والشعر للفرزدق . قال : فقام علُوِيَه ثم قال : هو ذا ، أمضي إلى الأمير فأحدِّثه بحدِيثنا وأستأذنه في الانصراف بوقتِ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنِيَانٌ⁷ فيهما رماطونٌ⁸ ، فقال : جئتُ أشربُ عندكم ، وآخذُه وأنصرفُ إلى إنسانٍ له عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعَاذٍ أَخَا يحيى بن

1 الدَّرَاج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغير .

2 السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

3 الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى .

4 مطجئة : مقلوة بالطاجن .

5 هو عفيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قواد المعتصم .

6 جَوِّ سُوَيْقَةٍ : من جواء الصمَّان .

7 المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره .

8 قد يكون صوابه (الرساطون) والرَّسَاطون : ضرب من الشراب يتخذ من الخمر والغسل .

مُعَاذٌ . فلم يَزَلْ عندنا حتَّى همَّ بالانصراف . فلمَّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبله فأتيتُ منزلَ عليِّ بن مُعَاذٍ ، فقيل له : ابن الأبراريِّ بالباب : فبعث إليَّ : إن أردتَ مَصَاءً فخذْه (يعني غلاماً كان يعنِّي) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنَّما أريدك أنت ، فأذن لي فدخلتُ . فقال : ألك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلتُ : الساعةَ يجيئك علويُّه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدَّثته بالحديث . ودخل علويُّه ، فقال لي : ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ : ما كنتُ لأدعُ بقيَّةَ ليلتي هذه تضيع ، فما زال يُعَنِّينا ونشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

[فضله عمرو بن بانه على نفسه]

حدَّثني جعفر بن قُدَّامة قال حدَّثنا هارون بن مُخارق قال حدَّثني أبي قال : قلت لعمرو بن بانه : أيما أجودُ صنعتك أم صنعةُ علويَّة ؟ فقال : صنعةُ علويُّه ، لأنَّه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أكذِّبك يا أبا المهنا والله ما أحسنُ أن أصنعَ مثلَ صنعةِ علويَّة : [من الطويل]

فواحسرتا لم أقضِ منك لُبَّانةً ولم أتمتَّعَ بالجوارِ وبالقُربِ

ولا مثلَ صنعتِهِ : [من الكامل]

هزئتُ أميمةً أن رأْتُ ظهري انحنى وذؤابتني علَّتْ بماءِ خضابِ

ولا مثلَ صنعتِهِ : [من الطويل]

ألا يا حَمَامِي قُصرِ دُورانَ هِجْمَتَا لِقَلْبِي الهوى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا

وقد مضتُ نسبةً هذه الأصوات .

[غنى في شعر هجاء فضربه الأمين]

حدَّثني جَحْظَةُ قال حدَّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدَّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال : كان بين علويِّه وبين عليِّ بن الهيثم جَوْنَقًا شرًّا في عَرَبِيَّةٍ وقعتُ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشرُّ بينهما ، فغنى علويُّه في شعرٍ هجاء به أبو يعقوب¹ في حاجةٍ ، فهجاه وذكر أنَّه دَعِيٌّ . وكان جَوْنَقًا يدَّعي أنَّه من بني تغلب ، فقال فيه أبو يعقوب :

[من الخفيف]

يا عليُّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوْنَقًا أنت عندي من الأراقمِ حَقًّا²

عربيٌّ وجَدُّه نَبْطِيٌّ ! فَدَبْنَقًا لِيذا الحديثِ دَبْنَقًا

قد أصابتك في التقربِ عينٌ فاستنارتْ لشهبها الفلكِ برقًا

وإذا قال إنني عربيٌّ فانتهره وقل له أنت شفقًا

1 هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخرمي .

2 الأراقم هنا : حيٌّ من تغلب .

وللخزيمي فيه أهاج كثيرة نبطية . فغنى علويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين علي بن الهيثم كابني ، وإذا استخف به فإنما استخف بي . فقال الأمين : خذوه ، فأخذوه وضرب ثلاثين درةً ، وأمر بإخراجه . فطرح علويه نفسه على كوثر فاستصلح له الفضل بن الربيع ، وترضى له الأمين حتى رضي عنه وهب له خمسة آلاف دينار :

[ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فردّ عليه إسحاق بما أخجله]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني مخارق قال : غنى علويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت :

من صاحب الدهر لم يحمّد تصرفه
عناً وللهـر إـحـلاـء وإـمـارـاً

ولحنه ثقيلٌ أول ، فاستحسنه الواثق وطرب عليه . فقال علويه : والله لو شئت لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز ، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق ، فتضاحك ثم قال : يا أبا الحسن ، إذا تكون قيمته مثل قيمة الجوز ، لبتك إذ قلّته صنعت شيئاً ، فكيف إذا كثرته ؟ . فخرج علويه حتى كأنما ألقمه إسحاق حجراً ، وما انتفع بنفسه يومئذ .

[ترك موعده المأمون ليذهب إلى عريب]

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن المعتز قال حدّثني عبد الله الهشاميّ قال : قال لي علويه : أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ مولى عريب ، فقال : أيها الظالم المعتدي أما ترحم ولا ترقّ ، عريب هائمة من الشوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلم بك في نومها في كل ليلة ثلاث مرّات . قال علويه : فقلت أمّ الخلافة زانية ، ومضيت معه . فحين دخلت قلت : استوثق من الباب ، فأنا أعرف الناس بفضول الحجاب ، فإذا عريب جالسة على كرسيّ تطبخ ثلاث قُدور من دجاج . فلما رأنتني قامت فعانقتني وقبلتني وقالت : أي شيء تشتهي ؟ فقلت : قدراً من هذه القُدور ، فأفرغت قدراً بيني وبينها فأكلنا ، ودعت بالنبيذ فصبت رطلاً فشربت نصفه وسقنتني نصفه ، فما زلتُ أشرب حتى كدتُ أن أسكر . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنيت البارحة في شعر لأبي العتاهية أعجبني ، أفنسمعه مني وتصلحه ؟ فغنّت :

[من الطويل]

صوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته
صفا لي ولا إن صرت طوع يدية
وإني كمشتاق إلى ظل صاحب
يروق ويفصو إن كدرت عليه

فصيرناه مجلساً . وقالت : قد بقي فيه شيء ، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه . ثم قالت :

وَأُحِبُّ أَنْ تَغْنِيَّ أَنْتِ فِيهِ أَيْضاً لِحْنًا ، ففعلتُ . وجعلنا نشربَ على اللَّحْنِ مَلِيًّا . ثم جاء الحُجَّابُ فكسروا البابَ واستخرجوني ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقصُ من أقصى الإيوان وأصَفَّقُ وأغنيُّ بالصوت ، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : اذُنْ يا عَلَوِيَّةُ ورُدِّه¹ ، فرددته عليه سبعَ مرَّاتٍ . فقال لي في آخرها عند قولِي :

يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ

يا عَلَوِيَّةُ خُذِي الخِلافةَ وَأَعْطِينِي هذا الصَّاحِبَ .

[سمع منه إبراهيم بن المهدي صوتين فحسده]

لِحْنٌ عَرِيبٌ فِي هذا الشعرِ رَمَلٌ . وفيه لعلويه لحنان : ثاني ثقيلٍ ، وماخوري . وقال العتَّابيُّ حدَّثني أحمد بن حمدون قال : غابَ منَّا عَلَوِيَّةُ مدَّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهدي : ما الذي أحدثتَ بعدي من الصَّنعةِ يا أبا الحسن ؟ قال : صَنَعْتُ صوتين . قال : فهاتيهما إذا ؛ فغناه :

[من الطويل]

صوت

أَلَا إِنْ لِي نَفْسَيْنِ نَفْسًا تَقُولُ لِي تَمَتَّعْ بِلَيْلِي ما بدا لك لِينُها
ونفساً تقول استبقي وُدَّكَ واتَّسُدْ ونفسك لا تطرح على من يهينها

لحن علويه في هذين البيتين خفيف ثقيل . قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهدي قد كاد يموت من حسده وتغير لونه ، ولم يدر ما يقول له ؛ لأنَّه لم يجد في الصوت مَطْعَنًا ، فعدَّلَ عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يدلُّ على أن ليلى هذه كانت من لِينِها مثل الموم² بالبَنْفَسَج ، فسكَّتْ عَلَوِيَّةُ . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغناه :

[من الطويل]

صوت

إِذَا كانَ لِي شَيْئانِ يا أُمَّ مالِكِ فَإِنَّ لِجاريِ مِنْهُما ما تَخَيَّرا
وفي واحدٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ غيرُ واحدٍ أَراهُ لهُ أَهلاً إِذا كانَ مُقْتِرا

والشعر لحاتم الطائي . لحنُ عَلَوِيَّةِ فِي هذين البيتين أيضاً خفيفٌ ثقيلٌ . وقد روي أن إبراهيم الموصلي صَنَعَهُ ونَحَلَهُ إِيَّاهُ ، وأنا أذكر خبره بعقب هذا الخبر . قال أحمد بن حمدون : فأتني والله بما برز على الأول وأوفى عليه ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنعةِ وعجزه عنها . فقال له : وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَكَ مِنْهُما واحدةً ؟ فخرَّجَ عَلَوِيَّةُ

1 يقال : ردَّ القول ترداداً إذا كرَّره ، مثل ردِّه .

2 الموم هنا : الشمع .

وما نطق بصوت بقيّة يومه . وحدّثني عمّي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر .
ولفظه أقلّ من هذا .

[نحله إبراهيم الموصليّ صوتاً فلم يظهره إلا أيام المأمون]

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أن إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت فحدّثني جحظة
قال حدّثني ابنُ المكيّ المرتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال : قال
إبراهيم الموصليّ يوماً : إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمعته منّي أحدٌ بعد ، وقد أحببتُ أن أنفَعَكَ
وأرفعُ منك بأنّ القيه عليك وأهبه لك ، ووالله ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به ،
فانتجّله وادّعه . فلستُ أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالاً . فألقى عليّ قوله : [من الطويل]
إذا كان لي شيئان يا أمّ مالكٍ فإنّ لجاري منهما ما تخيراً

فأخذته وادّعيته وسترته طولَ أيام الرشيد خوفاً من أن أتهم فيه وطولَ أيام الأمين حتى
حدّث عليه ما حدث . وقديم المأمون من خراسان وكان يخرج إلى الشّماسية¹ دائماً يتنزّه ،
فركبتُ في زلال² وجئتُ أتبعه ، فرأيتُ حرّاقةً عليّ بن هشام ، فقلتُ للملّاح : اطرحْ
زلالي على الحرّاقة ففعل ، واستوذن لي فدخلتُ وهو يشرب مع الجوّاري ، وما كانوا
يحجّبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن ، فإذا بين يديه مئيمٌ وبذل [من] جواريه ،
فغنّيته الصوتَ فاستحسنه جدّاً وطربَ عليه وقال : لمن هذا ؟ فقلتُ : هذا صوتُ صنعته
وأهديته لك ، ولم يسمعه أحدٌ قبلك ، فازداد به عجباً وطرباً وقال لها : خذيه عنه ، فألقيته
عليها حتى أخذته ، فسرّ بذلك وطرب ، وقال لي : ما أجِدُ لك مكافأةً على هذه الهدية إلا
أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأسلمه إليك أجمع . فتحوّل إلى أخرى ، وسلّمت
الحرّاقة بخزانتها وجميع آلتها إليّ وكلّ شيء فيها ، فبعتُ ذلك بمائة وخمسين ألفَ درهمٍ
واشترتُ بها ضيّعتي الصالحة .

[غنّى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد]

حدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حُميدٍ كاتبِ أبي
الرازيّ وحدّثني به عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسان بن محمد الحارثي عن
إسحاق بن حُميدٍ كاتبِ أبي الرازيّ قال : غنّى علّويه الأعرسُ يوماً بين يدي المأمون : [من الطويل]
تخيّرتُ من نعمانٍ عودَ أراكِ لهندي فمَنْ هذا يبلّغه هندا

فقال المأمون : اطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعرف ، وسأل كلَّ مَنْ بحضورته من أهل

1 الشّماسية هنا : من ضواحي بغداد .

2 الزلال : ضرب من الزوارق .

الأدب والرؤاة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال إسحاق بن حميد : لما رأيتُ ذلك عُنيتُ بهذا الشعر وجهدتُ في المسألة وطلبتُهُ ببغدادَ عند كلِّ متأدّبٍ وذِي معرفةٍ فلم يَعْرِفه . وقد المأمون ابا الرازي كُورَ دِجْلَةَ وأنا أَكْتُبُ له ، ثم نقله إلى اليمامة والبحرين . قال إسحاق بن حميد : فلما خرجنا ركبنا مع أبي الرازي في بعض الليالي على حمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذي كنتُ أطلبُهُ ، فسألته عنها فذكر أنها للمرقش الأكبر ، فحفظتُ منها هذه الأبيات : [من الطويل]

خليلِيَّ عُوْجَا بَارَكَ اللهُ فِيكَمَا	وإن لم تكنْ هندٌ لأرضيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلالُ أجازنا	ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
تخيرتُ من نَعْمَانِ عودَ أراكيةٍ	لهندٍ فمن هذا يبلغه هنداً
وانطيتُهُ سيفي لكيما أقيمهُ	فلا أوداً فيه استبنتُ ولا خضداً ¹
ستبغُ هنداً إن سلمنا فلائصُ	مهاري يُقطعن الفلاةَ بنا وحدا
فلما أنخنا العيسَ قد طار سيرها	إليهم وجدناهم لنا بالقرى حشدا
فناولتها المسواكَ والقلبُ خائفُ	وقلتُ لها يا هندُ أهلكتنا وجدا
فمدتُ يداً في حُسنِ ذلِّ تناوُلًا	إليه وقالتِ ما أرى مثلَ ذا يُهدى
وأقبلتُ كالمجتازِ أدّى رسالةً	وقامتِ تجرّ الميسنانيّ والبردا ²
تعرّضُ للحيّ الذين أريدهم	وما التمستِ إلا لتقتلني عمدا
فما شئهُ هندٍ غيرُ أدماءِ خاذلِ	من الوحشِ مُرتاعٍ مُراعٍ طلاً فرداً ³

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستحسنيتُ ورؤيتُ ، وأمر علويه فصنع في البيتين الأولين

منها غناء يشبه [. . .]

أغاني علويه في هذه الأبيات : اللحن الأول في قوله :

تخيرتُ من نَعْمَانِ عودَ أراكيةٍ

غناه علويه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفٌ ثقيلٌ بالبصرة . ولحنه الثاني الذي

أمره أن يصنعه في :

1 أنطى : لغة في أعطى . الخضد : كسر العود من غير أن يبين .

2 الميسناني : ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان .

3 الأدمة في الطباء والنوق : لون مشرب بياضاً . والخاذل من الطباء : التي تتخلف عن صوابها وتفرد ، أو

أقامت على ولدها . والطلا هنا : ولد الظبية .

خَلِيلِي عُوْجَا بَارِكَ اللهُ فِيكَمَا

رملٌ .

[دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : عَرَضَ عَلَويَه على المعتصم رُقْعَةً في أمر رِزقه وإِقطاعه وهو يشرب دَفْعَهَا إليه من يده ، فلَمَّا أَخَذَهَا اندفع عَلَويَه يَغْنِي :
[من الكامل]

صوت

إِنِّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوءَ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمْ
وعَلَيْكَ عَهْدُ اللهِ إِنْ خَبَّرْتَهُ أَحَدًا وَلَا أَظْهَرْتَهُ بِتَكَلُّمِ

فقرأ المعتصم الرُقعة وهو يضحك ، ثم وَقَعَ له فيها بما أَرَادَ .

الشعر لابن هرمة كَتَبَ به إلى بعض آل أبي طالب وهو إبراهيم بن الحسن يَطْلُبُ منه نبيذًا وقد خرج هو وأصحابه إلى السَّيَالَةِ¹ ، فَكَتَبَ إليه البيتَ الأوَّلَ على ما روينا ، والثاني غَيْرَه المغنون ، وهو :
[من الكامل]

وعَلَيْكَ عَهْدُ اللهِ إِنْ أَعْلَمْتُهُ أَهْلَ السَّيَالَةِ إِنْ فَعَلْتَ وَإِنْ لَمْ

فَلَمَّا قَرَأَ الرُقْعَةَ قال : عَلَيَّ عَهْدُ اللهِ إِنْ لَمْ أُعْلِمْ به عامل السَّيَالَةِ . [وكتب إلى عامل السَّيَالَةِ] : إِنْ ابن هرمة وأصحاباً له سُفْهَاءَ يشربون بالسَّيَالَةِ ، فَارْكَبْ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى تَأْخُذَهُمْ ، فَركب إليهم ونذروا به² ، فَهَرَبَ ، وقال يهجو إبراهيم :
[من الوافر]

كَبِيتُ إِلَيْكَ اسْتَهْدِي نَبِيذًا وَأُذِي بِالْمُودَةِ وَالْحَقُوقِ
فَخَبَّرْتَ الْأَمِيرَ بِذَلِكَ جَهْلًا وَكُنْتَ أَخَا مُفَاضِحَةٍ وَمُوقِ³

حدَّثني بذلك الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبَيْرُ . وقد ذَكَرْتُهُ في أخبار ابن هرمة .
والغناء لِعَبَادِلَ .

[غنى هو ومخارق معرضين بفرس كميث للمعتصم فأعطاهما غيره]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني موسى بن هارون الهاشمي قال حدَّثني أبي قال : كُنْتُ واقفًا بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَيْرِ الوَحْشِ والخيلِ تُعْرَضُ عليه وهو يشرب وبين يديه عَلَويَه ومُخَارِقِ يَغْنِيان ، فَعُرِضَ عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أَحْمَرُ ما رأيتُ مثله قَطُّ ، فتغامز

1 السَّيَالَةُ : أرض في طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

2 نذر به : علم به .

3 الموق هنا : الحمق في غباوة .

عَلْوِيَهْ وَمُخَارِقْ ، وَغَنَاهْ عَلْوِيَهْ : [من الرمل]

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَاتَّشَوْا وَهَبُوا كُلَّ جَوَادٍ وَطِيمَرٍ¹

فَتَغَافِلُ عَنْهُ . وَغَنَاهْ مُخَارِقٌ : [من الخفيف]

يَهَبُ الْبَيْضَ كَالظَّبَاءِ وَجُرْدًا تَحْتَ أَجْلَالِهَا وَعَيْسَ الرُّكَّابِ²

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : اسْكُنَا يَا ابْنَي الزَّانِئَتَيْنِ ، فَلَيْسَ يَمْلِكُهُ وَاللَّهِ وَاحِدٌ مِنْكُمْ . قَالَ : ثُمَّ دَارَ

الدَّوْرُ ، فَغَنَى عَلْوِيَهْ : [من الرمل]

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَاتَّشَوْا وَهَبُوا كُلَّ بَغَالٍ وَحُمُرٍ

فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَتَنَعَمْ ، وَأَمْرٌ لِأَحَدِهِمَا بِيَعْلٍ وَاللَّآخِرِ بِجِمَارٍ .

[اجتمع مع أصحاب له عند زليهة]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَبْرَارِيُّ قَالَ :

كُنَّا عِنْدَ زَلِيهَةَ النَّخَّاسِ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا حِشْفٌ ابْتَاعَهَا مِنْ عَلْوِيَهْ ، وَذَلِكَ فِي

شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَمَعْنَى رَجُلٍ هَاشِمِيٍّ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ ،

وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَهْيُونَ وَكَانَ يُحِبُّهَا ، فَأَعْطَى بِهَا زَلِيهَةَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ فَلَمْ يَبِعْهَا مِنْهُ ،

وَبَقِيََتْ مَعَهُ حَتَّى تُؤْفِقَتْ ، فَغَنَّتْنَا أَصْوَاتًا كَانَتْ فِيهَا : [من الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةً مُحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ

فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسَلَّمِ

وَأَبْرَزْتُ طَرْفِي نَحْوَهَا لِأُجِيبَهَا وَقَلْتُ لَهَا قَوْلَ امْرِئٍ غَيْرِ مُعْجَمٍ

هَنِيئًا لَكُمْ قَتْلِي وَصَفْوُ مَوَدَّتِي وَقَدْ سَيْطُ فِي لِحْمِي هَوَاكُ وَفِي دَمِي³

الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أولٌ عن الهشاميِّ . قَالَ : فَلَمَّا وَثِنَا لِلانْتِصِرَافِ قَالَ لَنَا وَقَدْ

اشْتَدَّ الْحَرُّ : أَقِيمُوا عِنْدِي . فَوَجَّهْتُ غَلَامًا مَعِي وَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَقَلْتُ لَهُ ابْتَعْ فَرَارِيحَ

بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ وَثَلَاثًا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ وَعَجَّلْتُ ، فَجَاءَ بِذَلِكَ فَدَفَعَهُ إِلَى زَلِيهَةَ وَأَمْرَهُ بِإِصْلَاحِ

الْفَرَارِيحِ أَلْوَانًا ، وَكَبَيْتُ إِلَى عَلْوِيَهْ فَعَرَفْتَهُ خَبِيرًا ، فَجَاءَنَا وَأَقَامَ ، وَأَفْطَرْنَا عِنْدَ زَلِيهَةَ ،

وَشَرِبْنَا مِنْ مَنْ كَانَ يَسْتَجِيزُ الشَّرَابَ ، وَغَنَى عَلْوِيَهْ لِحْنًا ذَكَرَ أَنَّهُ لَابِنِ سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ،

فَاسْتَغْرَبَهُ الْجَمَاعَةُ ، وَهُوَ : [من السريع]

1 الطمّر : الجواد .

2 الجرد من الخيل : القصيرات الشعر . وعيس الركاب : النوق البيض .

3 سيط : خلط ومزج .

صوت

يا هندُ إنَّ الناسَ قد أفسدوا وُدَّكَ حتى عَزَّيَ المَطْلَبُ
يا ليتَ مَنْ يَسْعَى بنا كاذباً عاشَ مُهاناً في أذى يَتَعَبُ
هَيِّهِ ذنباً كنتُ أذنبتهُ قد يَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجاني وجرتَ دَمْعِي أنْ أرسلتُ هندُ وهي تَعْتَبُ
ما هكذا عاهدتْنا في مَنِي ما أنتَ إلاَّ ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفتَ لي بالله لا نَبْتَغِي غيرَكَ ما عشتَ ولا نَطْلُبُ

قال : وقام عبد الصمد الهاشمي ليبول . فقال علويه : كلُّ شيء قد عرفتُ معناه : أما أنت فصديق الجماعة ، وهذا يتعشَّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربَّيتها وعلمتها ، وهذا الهاشمي أيش معناه ! . فقلتُ لهم : دعوني أحكهُ ! وأخذ لزلبهزة منه شيئاً . فقال : لا والله ما أريد . فقلتُ له : أنت أحمق ، أنا أخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه . فقال : إن كان هكذا فنعم . فقلتُ له : إذا جاء عبد الصمد فقلْ لي : ما فعل الأجر الذي وعدتني به . فإن حاططي قد مال وأخاف أن يقع ، ودعني والقصة .

فلما جاء الهاشمي قال لي زلبهزة ما أمرته به ، فقلتُ : ليس عندي أجر ، ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي ، وجعلتُ أنظر إلى الهاشمي نظراً متعرضاً به . قال الهاشمي : يا غلام دواة ورقعة ، فأحضر ذلك . فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى عامل له ، وشربنا حتى السحر وانصرفنا . فجئتُ برقعته إلى الأجرى . ثم قلتُ : بكم تبيعه الأجر ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهماً الألف . قلتُ : فيكم تشتريه مني ؟ قال : بنقضان ثلاثة دراهم في الألف . فقلتُ : فهات ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً ، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرفته الخبر ، ودعونا علويه والهاشمي ، وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية . فقال علويه : نعم ! الآن صار للهاشمي عندكم موضعٌ ومعنى .

[هو مصلح كل سابق في الصنعة]

أخبرني جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال حدثني أبي قال : قال لنا الواثق يوماً : من أصدق الناس بالصنعة ؟ قلنا إسحاق . قال : ثم من ؟ قلنا : علويه . قال : فمن أضرب الناس ؟ قلنا : ثقيف . قال : ثم من ؟ قلنا : علويه . قال : فمن أطيب الناس صوتاً ؟ قلنا : مخارق . قال ثم من ؟ قلنا : علويه . قال : اعترفتم له بأنه مصلح كل سابق ، وقد جمع

الفضائل كلها وهي متفرقة فيهم ، فما ثمَّ ثانٍ لهذا الثالث .
[غنى المأمون في دمشق بما أغضبه]

وحدثني جَحْظَةَ قال حدثني محمد بن أحمد المكيّ المَرْجِلِيّ قال حدثني أبي قال : دخلتُ إلى علّويه أعوده من علة اعتلها ثم عوفي منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لي : كِدْتُ ، عَلمَ الله ، أذهبَ دَفْعَةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أن الله تعالى سلمني ووهب لي حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطُفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم ، فدخل صَحْنًا من صُحُونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عينٍ تُصَبُّ إليها . وفي البركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه أربعُ سُرّواتٍ كأنها قُصَّتْ بمقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السُرّو قَطُّ قَدًّا وَقَدْرًا . فاستحسن ذلك ، وعزَمَ على الصُّبْح ، وقال : هاتوا لي الساعةَ طعاماً خفيفاً ، فأتني ببزماوزد¹ فأكل ، ودعا بشراب ، وأقبل عليّ وقال : غَنّني ونشَطُنّي ، فكانَ الله عزَّ وجلَّ أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت : [من السريع]

لو كان حوْلِي بنو أمية لَمْ تَنطِقْ رجالٌ أراهُم نَطَقوا

فنظر إليّ مُغَضِباً وقال : عليك وعلى بني أمية لعنةُ الله ؛ ويلك ! أَقَلْتُ لك سُؤني أو سُرّني ! أَلَمْ يكنْ لك وقتٌ تذكُرُ فيه بني أمية إلا هذا الوقتَ تعرّض بي ! . فتحيّلتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ ، فقلت : أتلومني على أن أذكر بني أمية ! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وهبها له سوى الخيل والضّياع والرقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال : أو لم يكنْ لك شيءٌ تذكُرني به نفسك غيرَ هذا ! فقلت : هكذا حضرنِي حين ذكرتهم . فقال : اعْدِلْ عن هذا وتبّه على إرادتي . فأنساني الله كلَّ شيءٍ أحسنه إلا هذا الصوت :

الحينُ ساق إلى دِمَشقَ ولم أكنُ أرضى دِمَشقَ لأهلينا بلدًا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح ، وقال : قُم عني إلى لعنة الله وحرّ سقر ، وقام فركب . فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به ، حتى مرض ومات . قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كم تُراني أحسن ! أغني ثلاثة آلاف صوت ، أربعة آلاف صوت ، خمسة آلاف صوت ، أنا والله أغني أكثر من ذلك ، ذهب عَلمَ الله كله حتى كآني لم أعرف غير ما غنيت . ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ رُوحٍ ما نجتُ منه واحدةً منها ، ولكنّه كان رجلاً حليماً ، وكان في العُمَرِ بَقِيَّةً .

1 البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلّي بالزبد والبيض .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

[من السريع]

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجال أراهم نطقوا
من كل قزم محض ضرائبه عن منكبته القميص ينخرق¹

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات . والغناء لمعبد ، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر ابن خرداذبه أن فيه لدككين بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقیل الأول ، وأن دكينا مدني كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت

[من الكامل]

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فاستقدت لها وأريست أمر غواية رشا

لعمر الوادي في هذا الشعر ثقیل أول بالوسطى عن ابن المكي . قال : وفيه ليعقوب الوادي رمل بالبنصر .

[اعترض على خطابه فأجاب]

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال سمعت الحسن بن وهب الكاتب يحدث : أن علويه كان يصطحب في يوم خضابه مع جواريه وحرمه ، ويقول : أجعل صبحي في أحسن ما يكون عند جوارِي . فقيل له : إن ابن سيرين كان يقول : لا بأس بالخضاب ما لم تُعزَّز به امرأة مسلمة . فقال : إنما كره لئلا يتصنع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوجها على أنه شاب وهو شيخ ، فأما الإمام فهن ملكي ، وما أريد أن أغرهن .

قال الحسن : فتعالل علويه على المعتصم ثلاثة أيام متوالية واصطحب فيها ، فدعاني ، وكان صوته على جواريه في شعر الأخطل :

[من البسيط]

كان عطاراً باتت تطيف به حتى تسربل مثل الورس وانتعلا²

فقال لي : كيف رويته ؟ فقلت له : قرأت شعر الأخطل وكان أعلم الناس به ، كان يختار

1 انخرق القميص : إشارة إلى جذب العفاة ، أو إلى إيثار غيره بشابه .

2 مثل في ل : ماء .

«تَسْرُولَ» ويقول: إنما وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نُوَّارٌ أَصْفَرُ فَأَثَّرَ فِي قَوَائِمِهِ وَبَطْنِهِ فَكَانَ كَالسَّرَاوِيلِ ، لَا أَنَّهُ صَارَ لَهُ سِرْبَالٌ . وَلَوْ قَالَ : «تَسْرِيلٌ» أَيْضاً لَمْ يَكُنْ فَاسِداً ، وَلَكِنَّ الْوَجْهَ «تَسْرُولٌ» .

[مدح إسحاق لحنه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: قَدِمْتُ مِنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى قَدَمَةً بَعْدَ طُولِ غَيْبَةٍ ، فَدَخَلْتُ إِلَى إِسْحَاقِ الْمُوصِلِيِّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ وَسَأَلَنِي خَبْرِي وَخَبَرَ النَّاسَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى ذِكْرِ الْغِنَاءِ ، فَسَأَلَنِي عَمَّا يَتَشَاغَلُ النَّاسُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمُسْتَجَادَةِ¹ . فَقُلْتُ لَهُ : تَرَكْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ مُغْرَمِينَ بِصَوْتِ لِكَ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَقُلْتُ :

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٌ دُورَانَ هِجْتُمَا

فَقَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ لِي . ذَاكَ لَعَلَّوَيْهِ . وَقَدْ لَعَمْرِي أَحْسَنَ فِيهِ وَجُودَ مَا شَاءَ .

[قال المأمون أياتاً فغناه فيها فوصله]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني علويه قال: خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقْعَةٍ بِخَطِّهِ ، وَهِيَ :

[من الطويل]

صوت

خَرَجْنَا إِلَى صَيْدِ الطَّبَاءِ فَصَادَنِي هُنَاكَ غَزَالٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَ أُخَوِّرُ
غَزَالٌ كَأَنَّ الْبَدْرَ حَلَّ جِيْنَهُ وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى الْمُنِيرَةُ تَزْهَرُ
فَصَادَ فُؤَادِي إِذْ رَمَانِي بِسَهْمِهِ وَسَهْمُ غَزَالِ الْإِنْسِ طَرْفٌ وَمِخْجَرُ
فِيَا مَنْ رَأَى ظَلِيماً يَصِيدُ وَمَنْ رَأَى أَخَا قَنْصٍ يُصْطَادُ قَهْرًا وَيُقَسَّرُ

قَالَ : فَغَنَيْتَهُ [فِيهَا] ، فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ : لَحْنُ عَلَوَيْهِ فِي هَذَا الشُّعْرِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ابْتِدَاؤِهِ نَشِيدٌ .

[غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال: غَنَيْتُ الرَّشِيدَ يَوْمًا : [من البسيط]

هَمَا فَتَاتَانِ لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي وَبِالشَّبَابِ عَلَى شَيْبِي يُدِلَّانِ

فَطَرِبَ وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَامِعٍ ، وَكَانَ أَحْسَدَ النَّاسِ : اسْمَعْ غِنَاءَ الْعُقَلَاءِ وَدَعْ غِنَاءَ الْمَجَانِينِ ، وَكُنْتُ أَخَذْتُ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ مَجْنُونٍ بِالْمَدِينَةِ كَانَ يُجِيدُهُ . ثُمَّ غَنَى قَوْلَهُ :

[من الرمل]

ولقد قالت لأتراب لها كالمها يلعبن في حُجْرَتِها
خُذْنَ عني الظلَّ لا يتبعني وغدت تسعى إلى قُبَّتِها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنى وَجْهَ القَرَعَةِ : [من المنسرح]

يَمشونَ فيها بكلِّ سَابِغَةٍ أَحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ¹

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار . ثم تغنى عُلُوِيَه : [من الكامل]

وأرى الغَوائي لا يُواصِلنَ امرءاً فَقَدَ الشَّبَابَ وقد يَصِلنَ الأُمُرُدا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَطْرُ أمه ! تُغني في مدح المُردِّ وذمِّ الشَّيبِ وستارتي منصوبةٌ وقد شئتُ ؛ كأنك إنما عرَضتَ بي ! ثم دعا بمسرورٍ فأمره أن يأخذ بيده فيُخرِجَه فيضربه ثلاثين دِرَّةً ولا يردّه إلى مجلسِه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقية يومنا ، وجفا علويّه شهراً فلم يأذن له حتى سألناه فأذن له .

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صوت

[من البسيط]

هما فتاتان لما يعرفنا خلقي وبالشباب على شيبني يُدلّانِ
كلُّ الفعّالِ الذي يفعلنه حسنٌ يُضني فؤادي ويؤدي سرّاً أشجاني
بل احذرا صولةً من صول شيخكما مهلاً عن الشيخ مهلاً يا فتاتان

لم يَقَعْ إليّ شاعره . فيه لابن سُرَيْجِ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مَجْرَى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيْجِ رملٌ بالبِصْر عن عمرو . وفيه لسليمان المصاب رملٌ كان يغنيه . فُدسَّ الرشيد إليه إسحاق حتى أخذه منه ، وقيل : بل دسَّ عليه ابن جامع .

[خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دعاني الرشيد لما حجّ ، فقال : صرّ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً ، وهو :

هُما فتاتان لما يعرفنا خلقي وبالشباب على شيبني يُدلّانِ
وله أمّ ، فصرّ إليها وأقمَ عندها واحتلّ حتى تأخذه . فجئتُ أستدلّ حتى وقفت على بيتها ،

1 الدرغ السابغة : التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقثير : مسامير الدرغ .

فخرجت إليّ فوهبتُ لها مائتي درهم ، وقلتُ لها : أريد أن تحتالي على ابنك حتى آخذَ منه الصوتَ الفلاني . فقالت : نعم ، وأدخلتني دارها ، وأمرتني فصعدتُ إلى عليّة لها ، فما لبثتُ أن جاء ابنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتك نفسي ؛ أمك قد أصبحتَ اليومَ خاترةً¹ مُغرمةً² ، فاحبب أن تغني ذلك الصوت :

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

فقال لها : ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت : ما طربتُ ولكنني أحببتُ أن أتفرجَ من همٍّ قد لحقني . فاندفع فغناه ، فما سمعتُ أحسنَ من غناؤه . فقالت له أمه : أحسنتَ ! فديتك ! فقد والله كشفتَ عني قطعةً من همّي ، فأسألك أن تُعيده . قال : والله ما لي نشاطٌ ، ولا أشتري غمّي بفرحك . فقالت : أعدهُ مرتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطقاً³ . قال : ومن أين لك درهم ؟ ومتى حدث لك هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تحتاج إليه ، وأخرجتُ إليه درهماً فأعطته إياه ، فأخذه وغناه مرتين ، فدار لي وكاد يستوي . فأومأتُ إليها من فوق أن تستزيده . فقالت : يا بُنيّ بحقّي عليك إلا أعدته . فقال أظنّ أنّك تريدان أن تأخذه فتصيري مغنّية . فقالت : نعم ! كذا هو . قال : لا ؛ وحقّ القبر لا أعدته إلا بدرهمٍ آخر . فأخرجتُ له درهماً آخر ، فأخذه وقال : أظنك والله تزندقتِ وعبدتِ الكبشَ فهو ينقد لك هذه الدراهم ، أو قد وجدتِ كنزاً . فغناه مرتين ، وأخذته واستوى لي . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ إلى الرشيد فغنيته به وأخبرته بالقصة ، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بدلُ مائتي الدرهم .

صوت

[من الرمل]

ولقد قالتُ لأتراب لها كالمها يلعبنَ في حُجرتِها
خُذَنَ عني الظلُّ لا يتبعني وعَدتُ سعيّاً إلى قُيَّتِها
لم يُصيِّبها نكدٌ فيما مضى ظبيّةٌ تختالُ في مشيِّتها

في هذه الأبيات رملٌ بالبنصر ذكر الهشاميُّ أنه لابن جامع المكيِّ ، وذكر ابن المكيِّ أنه لابن سُريج ، وهو في أخبار ابن سُريج وأغانيه غيرُ مُجَنِّس .

- 1 خاترة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة .
- 2 المغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .
- 3 الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبيطي .

صوت

[من مخلع البسيط]

يمشون فيها بكلّ سابعةٍ أُحْكِمَ فِيهَا الْقَتِيرُ وَالْحَلْقُ
 تعرّف إنصافَهُمْ إِذَا شَهِدُوا وصَبَّرَهُمْ حِينَ تَشَخَّصُ الْحَدَقُ¹
 الغناء لابن مُحَرِّزٍ ، خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن الهشاميِّ وحبش .

صوت

[من الكامل]

يَجْحَدُنِي دَنِيَّ النَّهَارَ وَأَقْتَضِي دَنِيَّ إِذَا وَقَدَ النَّعَاسُ الرَّقْدَا
 وَأَرَى الْغَوَائِي لَا يُوَاصِلُنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدَ يَصِلُنَ الْأَمْرَدَا
 الشعر للأعشى . والغناء لمعبدٍ ، خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من السريع]

أَيَّةُ حَالٍ يَا ابْنَ رَامِينَ حَالُ الْمُحِجِّينَ الْمَسَاكِينَ
 تَرَكْتَهُمْ مَوْتِي وَمَا مَوَّتُوا قَدْ جُرُّعُوا مِنْكَ الْأَمْرِينَ²
 وَسِرْتَنِي فِي رَكْبٍ عَلَى طِيَّةٍ رَكْبٍ تَهَامٍ وَيَمَانِينَ
 يَا رَاعِي الدَّوْدَ لَقَدْ رُعْتَهُمْ وَتِلْكَ مِنْ رَوْعِ الْمُحِجِّينَ
 الشعر لإسماعيل بن عَمَّارِ الْأَسَدِيِّ . والغناء لمحمد بن الْأَشْعَثِ بن فجوة الزُّهْرِيِّ الكوفيِّ ،
 ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى ، عن الهشاميِّ وأحمد بن المكيِّ .

1 يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخص الحدق كناية عن الفزع وشدة الخوف في الحرب .

2 لقي منه الأمرين : أي الدواهي .

[196] - نسب إسماعيل بن عمار وأخباره

[نسبه]

هو إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل بن جذيمة بن عمرو بن خلف بن زيان بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . أخبرني بذلك علي بن سليمان الأحفش عن السكري عن ابن حبيب .

[من مخضرمي الدولتين وكان ينزل الكوفة]

وإسماعيل بن عمار شاعرٌ ، مُقِلٌّ ، مخضرمٌ من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية . وكان ينزل الكوفة .

[كان ممن يختلف إلى ابن رامين وجواربه]

قال ابن حبيب : كان في الكوفة صاحب قيانٍ يقال له ابن رامين ، قديمها من الحجاز ؛ فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده : مثل يحيى بن زياد الحارثي ، وشراعة بن الزندبوذ ، ومطيع بن إياس ، وعبد الله بن العباس المفتون ، وعون العبادي الحيري ، ومحمد بن الأشعث الزهري المغني . وكان نازلاً في بني أسدٍ في جيران إسماعيل بن عمار ، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده . ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ [الله]¹ ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقةٍ لبعدهما . وكان لابن رامين جوارٍ يقال له سلامة الزرقاء ، وسعدة ، وربيحة ، وكن من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث :

[من البسيط]

صَدَعُ مُقِيمٍ طَوَالَ الدَّهْرِ والأَبْدِ
وكيف يُشْعَبُ صَدَعُ الحُبِّ في كِبِدِ

أَمسى لِسَلَامَةَ الزرقاء في كِبِدِي
لا يَسْتَطِيعُ صِنَاعُ القَوْمِ يَشْعَبُهُ

[قصيدة له في جواربه ابن رامين]

[من البسيط]

صَبَا وَصَبَّ إلى رُئْمِ ابنِ رامينِ
بِحُسْنِهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانينِ²
وَلتَغْتَفُ بعدُ [في] زايِ وفي سِينِ
وَأنتِ تَأْتينَ لُوماً أنْ تُطِيعيني

وفي جواربه يقول إسماعيل بن عمار :

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبِ لَجِّ محزونِ
إلى رُيْحَةٍ إنَّ اللهَ فَضَّلَهَا
وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حَسَنٌ
نَفْسِي تَأبَى لَكُمْ إلا طَوَاعِيَةً

1 عائذ الله : حي من العرب .

2 السماع : الغناء .

وتلك قِسْمَةٌ ضِيْرِي قد سمعتِ بها
 إن تُسْعِفِينِي بِذَلكِ الشَّيءِ أَرْضَ به
 أنتِ الطَّيِّبُ لداءِ قد تلبَّسَ بي
 نَعَمْ شِفَاؤُكَ مِنها أن تقولَ لها
 يا ربُّ إنَّ ابنَ رامينِ له بَقَرٌ
 لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ
 لا أنسَ سَعْدَةَ والزَّرْقَاءَ يومَ هُما
 يُغْنِيانِ ابنَ رامينِ على طَرَبٍ
 أذاك أنعمُ أم يومَ ظَلَلتُ به
 يَشُوِي لَنَا الشَّيْخُ شُورينَ دَواجِنَه
 نُسْقِي طِلاءَ لِعَمْرانِ يُعْتَقُه
 يُزِلُّ أَقْدامَنَا من بعدَ صِحَّتِها
 نَمشي وأرجُلنا مطوَّيَّةٌ سَللاً
 أو مَشِي عُمَيانِ دَيْرٍ لا دَليلاً لهم
 في فِتيَةٍ من بَنِي تيمٍ هُوتُ بهم
 حُمُرُ الوُجُوهِ كَأَنَّا من تَحَشُّمِنا
 ما عائدُ اللهُ لولا أنتِ من شَجَبي
 في عائدُ اللهُ بيتُ ما مررتُ به
 يا سَعْدَةُ القَيْنَةُ الخُضراءُ أنتِ لَنَا
 ما كنتِ أَحسَبُ أَنَّ الأَسَدَ تُؤنِّسني
 لولا رُبِيحَةُ ما استأنستُ ما عَمَدتِ

وأنتِ تَتَلينَها ما ذاكِ في الدَّيْنِ
 وإنَّ ضَنَنْتِ به عَنِّي فَرَّني
 من الجَوَى فانْفِثِي في فيِّ وارْفِني
 أَضْنيتني يومَ دَيْرِ اللُّجِّ فاشْفِني¹
 عَيْنٌ وليسَ لَنَا غيرُ البراذينِ
 يرضى به منكَ غيرَ الرَّبِّ العِينِ²
 باللُّجِّ شَرْفِيَهُ فُوقَ الدَّكاكينِ³
 بِالْمِسْجَحِيِّ وتَشيبُ الحِجِينِ⁴
 فِرَاشِي الوَرْدُ في بُسْتانِ شُورينِ
 بِالجَرْدَنَاجِ وسَحَاجِ الشَّقَابِينِ⁵
 يَمشي الأَصْحاءُ مِنه كالمجانينِ
 كَأَنها ثِقَلًا يُقْلَعَنَ من طِينِ
 مَشِي الأَوْزِ التي تأتي من الصِينِ
 سِوَى العِصِيِّ إلى يومِ السَّعائِينِ
 تيمَ بنِ مُرَّةٍ لا تيمَ العَدِيَّينِ
 حَسناءَ شَمطاءَ وافَتْ من فِلسْطينِ
 ولا ابنُ رامينِ لولا ما يُمَنِّني
 إلاَّ وَجِئتُ على قَلبي بسَكِينِ⁶
 أنسَ لأنَّكَ في دارِ ابنِ رامينِ⁷
 حتى رأيتُ إِلَيْكَ القَلبَ يدعوني
 نَفسي إِلَيْكَ ولو مُثَلتِ من طِينِ

1 دير اللج : بالحيرة .

2 الربرب : القطيع من حمر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدها عينا .

3 الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .

4 المسجحي : الغناء المنسوب لابن مسجح .

5 الجردناج : من أنواع الشواء . الشقابين : جمع شقبان وهو طير نبطي .

6 وجئت : ضربت .

7 الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

[باع ابن رامين سلامة في حجة فقال هو شعراً]

قال : وحجّ ابن رامينَ وحجّ بجواريه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز ، فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم . فقال إسماعيل بن عمار : [من السريع]

أيةُ حالِ يا ابنِ رامينِ حالُ المُحِبِّينَ المساكينِ
تركتهم موتى وما مؤتوا قد جرّعوا منك الأُمّرينِ
وسرتَ في ركبٍ على طيبةٍ ركبٍ تهامٍ ويمانينِ
حججتَ بيتَ الله تبغي به الـ سيرٌ ولم تَرتِ لمحزونِ
يا راعيِ الذودِ لقد رعتهمُ ويَلَكَ من روعِ المُحِبِّينِ
فرقتَ قوماً لا يرى مثلهم ما بين كوفانٍ إلى الصّينِ¹

[مات له ابن فرثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحمش قال حدثنا السكريّ عن محمد قال : كان لإسماعيل بن عمار ابن يقال له معن فمات ، فقال يرثيه :

يا موتُ ما لك مولعاً بضراري إني عليك وإن صبرت لزاري²
تعدو عليّ كأنني لك وائرٌ وأوولُ منك كما يؤولُ فراري
نفسُ البعيدِ إذا أردتَ قريبةً ليست بناجيةً مع الأقدارِ
والمرءُ سوف وإن تطاولَ عمره يوماً يصيرُ الحفرةَ الحفارِ
لما غلا عَظْمٌ به فكأنه من حسن بنيته قضيْبُ نضارِ³
فجعنتني بأعزّ أهلي كلهم تعدو عليه عذوة الجبارِ
هلاً بنفسي أو ببعض قرابتي أوقعت أو ما كنت للمُختارِ
وتركتَ ريتي التي من أجلها عفتُ الجهادَ وصيرتُ في الأمصارِ

[رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعنبون وشعره في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدثني السكريّ عن محمد بن حبيب قال : قال رجلٌ من بني أسدٍ كان وجهاً ، لإسماعيلَ بن عمار : هلّمّ أركبْ معك إلى يوسفَ بن عمر ، فإنه صديقٌ ، حتى أكلّمه فيك يستعملك على عمليّ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دعني حتى يحولَ الحولُ . فنظر إسماعيلُ إلى عمالِ يوسف يُعذّبون ، فقال في ذلك :

[من الوافر]

1 كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .

2 يقال : فلان زار على فلان إذا كان عاتياً ساخطاً غير راض .

3 النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّيْرُوزِ أَمْرًا
فَرَرْتُ مِنَ الْعِمَالَةِ بَعْدَ يَحْيَى
وَبَعْدَ الزُّورِ وَابْنِ أَبِي كَثِيرٍ
فَحَابَ بِهَا أَبُو عَثْمَانَ غَيْرِي
أُحَاذِرُ أَنْ أَقْصَرَ فِي خِرَاجِي
أَعْجَلُ إِنْ أَتَى أَجْلِي بَوَقْتِ
فَمَا عُذْرِي إِذَا عَرَّضْتُ ظَهْرِي
تُعَدُّ لِيُوسُفٍ عَدًّا صَحِيحًا
وَأُسْحَبُ فِي سَرَاوِيلِي بِقَيْدِي
فَمِنْهُمْ قَائِلٌ بَعْدًا وَسُحْقًا
كَفَانِي مِنْ إِمَارَتِهِمْ عَطَائِي
كَفَانِي ذَاكَ مِنْهُمْ مَا بَقِينَا

[شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه : إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنية يؤدبها ، ويصنعها⁴ ليهدبها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار :

بُوبَ حُيَيْتِ عَنْ جَلِيسِكَ بُوبَا
مَا رَأَيْنَا قَتِيلَ حَيٍّ حَبَا الْقَا
غَيْرَ مَا قَدْ رُزِقْتَ يَا بُوبَ مِنِّْي
غَيْرَ مَنْ بِهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كُنْ
بِنْتُ عَشْرٍ أَدِيبَةٌ فِي قُرَيْشٍ
أُدِّبْتُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى
مُخْطَئًا فِي تَحِيَّتِي أَوْ مَصِيبَا
تَلَّ بِالْوَتْرِ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَا
فَهَنِيئًا وَإِنْ أَتَيْتِ عَجِيبَا
تُ بَقْدَرِ الْقِيَانِ طَبَّأً طَبِيبَا
بَخْ فَأَكْرَمَ بِهِمْ أَبَا وَنَسِيبَا
كَمَلْتُ فِي حُجُورِهِمْ تَأْدِيبَا

قال : ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام . فقال إسماعيل بن عمّار :

أَلَا حُيَيْتِ عَنَّا
مَّ سَقِيًّا لَكَ يَا بُوبَةَ

[من الهزج]

1 المجرحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع الجلد .

2 الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبه خراسان وأشهر مدنها .

3 أحذيت : أعطيت . والسبق : ما يجعل من المال رهناً على المسابقة وغيرها .

4 صنع الجارية : ربّأها وأحسن تغذيتها .

وَأَكْرِمَ بِكَ مُهْدَاةً وَأَحْيَبَ بِكَ مَطْلُوبَةً
 وِوَاهَاً لَكَ مِنْ بَكْرٍ وِوَاهَاً لَكَ مِثْقَابَةً
 وِوَاهَاً لَكَ مُلْقَاةً وِوَاهَاً لَكَ مَكْبُوبَةً
 لَقَدْ عَايَنَ مَنْ يَلْقَا لَكَ مِنْ حُسْنِكَ أُعْجُوبَةً
 وَيَا وَيْلِي وَيَا عَوِّي فَنَفْسِي الدَّهْرَ مَكْرُوبَةً
 عَلَى هَيْفَاءِ حَوْرَاءِ عَلَى جَيْدَاءِ رُعْبُوبَةٍ¹
 إِذَا ضَاغَعَهَا الْمَوْلَى فَقَدْ أَدْرَكَ مَحْبُوبَةً

[هجاؤه لجارية له كان يبغضها]

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بن عمار جارية قد ولدت منه ، وكانت سيئة الخلق قبيحة المنظر ، وكان يُبغضها وتُبغضه ، فقال فيها : [من المتقارب]

بُلَيْتُ بَزْمَرْدَةٍ كَالْعَصَا أَلْصَّ وَأَخْبَثَ مِنْ كَنْدُشٍ²
 تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الْأَسْفَهِ الْأَطْيَشِ
 لَهَا وَجْهٌ قَرْدٍ إِذَا أَرِيَتْ وَلَوْنٌ كَيْبُضِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ³
 وَمِنْ فَوْقِهِ لِمَّةٌ جَثْلَةٌ كَمَثَلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمَرْعَشِ⁴
 وَبَطْنٌ خَوَاصِرُهُ كَالْوِطَا بَ زَادَ عَلَى كَرِشِ الْأَكْرَشِ⁵
 وَإِنْ نَكَهَتْ كِيدَتْ مِنْ نَتْنِهَا أَخْرُ عَلَى جَانِبِ الْمَفْرَشِ⁶
 وَتُدِي تَدَلَّى عَلَى بَطْنِهَا كَقَرْبَةِ ذِي الثَّلَاةِ الْمُعْطَشِ⁷
 وَفَخْذَانِ بَيْنَهُمَا بَسْطَةٌ إِذَا مَا مَشَتْ مِثْيَةَ الْمُنْتَشِي⁸
 وَسَاقٌ يُخَلِّجُهَا خَاتَمٌ كَسَاقِ الدَّجَاجَةِ أَوْ أَحْمَشِ⁹

1 رعبوبة : بيضاء ناعمة .

2 الزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خلقاً وخلقاً . كندش : لقب لص معروف وقيل إنه العقق . والعقق : طائر ، تضرب العرب به المثل في الخباثت وسوء الخلق .

3 البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

4 الجثلة : الكثيرة المنتفة . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يملق في الهواء .

5 الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . والأكرش : عظيم البطن .

6 نكه : تنفس على أنف آخر .

7 الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ويروي الشطر الأول في الحماسة (وتدي يجول على نحرها) .

8 يروي الشطر الأول في الحماسة : (وفخذان بينهما نفنف) أي مهواة بينهما .

9 أحمش : أي دقيق .

وفي كلِّ ضرسٍ لها أَكَلَةٌ أَصَلُّ من القبرِ ذي المَنبَسِ¹
ولما رأيتُ خَوا أَنفها وفيها وإصْلالَ ما تَحشِي²
إلى ضامرٍ مثلِ ظَلْفِ الغزالِ أَشدُّ اصفراراً من المَشْمِشِ
فَرَرْتُ منَ البَيْتِ من أَجلها فِرارِ الهَجِينِ من الأعمشِ
وأبرُدُ من ثَلجِ سائِدِما إذا راح كالعُطْبِ المُنْفَسِ³
وأرْسَحُ من ضَفدَعِ عَثَّةِ تَنقُ على الشَّطِّ من مَرعَشِ⁴
وأوسَعُ من بابِ جَسْرِ الأميرِ تُمرُّ المَحامِلَ لم تَخْدِشِ
فهذي صِفاتي فلا تَأْتِها فقد قلتُ طَرْداً لها كَشكِشِي⁵

[هجا جاراً له مسجداً قرب داره]

وقال ابن حبيب: كان في جوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْرِ وهجاء الناس ويعذّله ، وكان إسماعيل له مُغضِباً . فبني ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصقُ دارَ إسماعيل وحسنه وشيّدته ، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامّةً نهارهم ، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحدٌ مَن كان يألّفه من مغنٍّ ومغنيةٍ أو غيرهما من أهل الرّية . فقال إسماعيل يهجوّه . وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة : [من الطويل]

بني مسجداً بُنيانُه من خِيانَةٍ لَعَمري لَقَدِماً كنتَ غيرَ مُوفِّقٍ
كصاحِبَةِ الرُّمّانِ لَمّا تَصَدَّقَتْ جَرَتْ مَثَلاً للخائِنِ المتصدِّقِ
يقولُ لها أهلُ الصِّلاحِ نَصِيحَةً لكِ الوَيْلُ لا تَزْنِي ولا تَتصدَّقِي

[استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف]

وقال ابن حبيب : وُلِّي العَسَسَ⁶ رجلٌ غاضريٌّ ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه ، فطافوا إلى الغدّاة . فلَمّا أصبحَ غدا على الوالي مُستعدياً على الغاضريّ . فقال له الوالي ، وكان رجلاً من همدان : ماذا صنع بك ؟ فأنشأ يقول :

عَسَّ بنا ليلتَه كُلُّها ما نحن في دُنيا ولا آخِرَة
يأمرُ أشياخَ بني مالكٍ أن يجرُسوا دون بني غاضِرَة

1 الأكلة : داء يقع في العضو .

2 أصل : أتتن . الخواء : الهواء بين الشيئين .

3 سائيدما : جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند . العطب : القطن .

4 الرسح : قلة لحم الفخذين والعجز . العثة : المحقورة والضئيلة الجسم . مرعش : مدينة بين الشام وبلاد الروم .

5 الكشكشة هنا : الهرب .

6 العسس : الحراس .

والله لا يرضى بهذا كائناً من حُكْمِ هَمْدَانَ إِلَى السَاهِرَةِ¹
 قال فقال له الوالي: قَدْ لَعَمْرِي صَدَقْتَ ، ووظَّف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب
 العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنوائب² بينهم .
 [كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه]

وقال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقبَةَ بن أبي
 مُعَيْطٍ ، وكان إليه مُحْسِناً ، وكان يُنادمه . فولِّي خالد بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك
 فخرج إليه ، وكان إسماعيل عليلاً فتأخَّر عنه ، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله ، فورد نعيه
 الكوفة في يوم فِطْرٍ . فقال إسماعيل بن عمّار يرثيه :
 [من الخفيف]

ما لِعَيْنِي تَفِيضُ غَيْرِ جَمُودٍ ليس تَرَقَا ولا لها من هُجُودٍ
 فإذا قَرَّتِ العيونُ اسْتَهَلَّتْ فإذا نَمَنَّ أولَعَتْ بالسُّهُودِ
 أَلِنَعِي ابنِ خالِدِ خالِدِ الخِيءِ رات في يومِ زِينَةِ مشهُودِ
 سَنَحْتُ لي يومَ الخَمِيسِ غَدَاةَ ال فِطْرٍ طَيْرٍ بالنَّحْسِ لا بالسُّعُودِ
 فَتَعَيَّفْتُ أَنَّهُنَّ لِأَمْرٍ مُفْطَعٍ مَّا جَرَيْنَ في يومِ عِيدِ³
 فَنَعْتُ خالِدَ بنَ أَرُوى وَجَلَّ ال خَطْبُ فَقَدانِ خالِدِ بنِ الولِيدِ

[سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه]

وقال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمّار جَارٌ يقال له عثمان بن درباس ، فكان يُؤذيه
 ويسعى به إلى السلطان في كلِّ حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشُّرَاة⁴ ، فأخذ وحِيس .
 فقال يهجوهُ :
 [من البسيط]

مَنْ كان يَحْسُدُنِي جاري وَيَغِيْبُنِي مِنَ الأنامِ بعْثانَ بنِ دِرْباسِ
 فَقرَّبَ اللهُ مِنْهُ مثْلَهُ أبداً جاراَ وَأَبْعَدَ مِنْهُ صالحَ النَّاسِ
 جاراَ لَهُ بابُ ساجٍ مُغْلَقٌ أبداً عَلَيْهِ مِنْ داخِلِ حُرَّاسِ أُحْرَاسِ⁵
 عَبْدٌ وَعَبْدٌ وَبِنتاهُ وَخادِمُهُ يَدْعُونَ مِثْلَهُمْ ما لَيْسَ مِنْ ناسِ
 صُفْرُ الوِجْوِهِ كَأَنَّ السُّلَّ خامَرَهُمْ وما بِهِمْ غَيْرَ جَهْدِ الجِوْعِ مِنْ باسِ

1 الساهرة : الأرض أو الفلاة .

2 نوايب : جمع نياية بمعنى نوبة .

3 عيافة الطير : زجرها .

4 الشراة : الخوارج .

5 الساج : ضرب من الشجر ينبت في الهند .

له بُنُونٌ كأطباءٍ مُعلِّقَةٍ
 إن يُفْتَحَ البابُ عنهم بعدَ عَاشِرَةٍ
 فليَتَ دارَ ابنِ دِرْياسٍ مُعلِّقَةٍ
 فكانَ آخِرَ عَهْدِي مِنْهُمُ أبداً

قال : وقال فيه أيضاً :

[من مجزوء الرمل]

لَيْتَ بَرْدَوْنِي وَيَغْلِي
 كُنَّ فِي النَّاسِ وَأُبْدَلُ
 جَارَ صِدْقِي بَابِنِ دِرْبَا
 فَتَبَدَّلْتُ بِهِ مِنْ
 بَدَلًا يَعْرِفُ مَا اللُّدُ
 لَوْ تَبَدَّلْتُ سِوَاهُ
 وَاسْتَرَحْنَا مِنْ بَلَايَا
 لَوْ جَزَيْنَاهُ بِهَا كُنْتُ
 أَوْ سَكُنْنَا كَانَ ذُلًّا

وَجَوَادِي وَجَمَارِي
 سَتْ غَدًا جَارًا بِجَارِي
 سِ وَالْأَبْعْتُ دَارِي
 يَمَنِي أَوْ مِنْ نِزَارِي
 هُ وَمَا حَقُّ الْجَوَارِي
 طَابَ لَيْلِي وَنَهَارِي
 هُ صَغَارًا أَوْ كِبَارِي
 سَنَا جَمِيعًا فِي فَجَارِي⁴
 دَاخِلًا تَحْتَ الشُّعَارِي⁵

قال : فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان ، وذكر أنه من الشُّرَاة ، وأنهم مجتمعون عنده ، وأنه من دُعاة عبد الله⁶ بن يحيى وأبي حمزة المُختار . فكتب من السجن إلى ابن أخ له يقال له مُعَانٌ :

[من السريع]

أُبْلِغُ مُعَانًا عَنِّي وَإِخْوَتَهُ
 بَأَنَّي وَالْمُصَبِّحَاتِ مِئِي
 لِحَائِفٍ أَنْ يَكُونَ وَدُكُمُ
 أُنْ عَرَانِي ذَهْرِي بِنَائِبِي

قَوْلًا وَمَا عَالِمٌ كَمَنْ جَهْلًا
 يَعْدُونَ طَوْرًا وَتَارَةً رَمَلًا
 إِيَّايَ بَعْدَ الصَّفَاءِ قَدْ أَفْلًا
 أَصْبَحَ مِنْهَا الْفَوَادُ مَشْتَعَلًا

1 الأطباء : جمع طبي ، وهي حلمات الضرع .

2 ل : ديماس .

3 أرماس : واحدها مرس وهي الحبال .

4 فجار : اسم للفجور .

5 الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .

6 هو عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضرموت ، خرج في أيام مروان بن محمد وآخرين ، فغلبوا على اليمن والحجاز ، ثم قتلوا أخيراً .

حاولتُم الصُّرْمَ أَوْ لَعَلَّكُمْ
لا تُغفلونا بني أخِي فلقد
تمسكوا بالذي امتسكتُ به
قال : فكتب إليه ابنُ أخيه :

[من السريع]

يا عَمَّ عُوْفِيَتَ من عذابِهِمُ الذُّ
كُتِبَتْ تشكو بني أخِيك وقد
«أبدأهمُ بالصُّراخِ يَنْهزموا»
زعمتُ أنا نرى بلاءك في
يا عَمَّ بِسِ الفَتِيانِ نحنُ إذا
عليَّ إن كنتَ صادقاً حَجَّجْ
بُعْدَ عنكَ الهمومُ فارحُ من ال
[أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل]

قال : وثمَّ ولي الحكمُ بن الصَّلْتِ فأطلقه وأحسنَ إليه ، فلم يزل يشكره ويمدحه . ثم

[من المنسرح]

عزَّل الحكم بعد ذلك ؛ فقال إسماعيل فيه :
تبارك اللهُ كيف أوحشتِ ال
الحكمُ العَدْلُ في رعيتهِ ال
فأصبح القصرُ والسَّريرانِ وال
يُذري عليه السريُّ عَبرتهِ
والناسُ من حُسنِ سيرةِ الحكمِ بـ
مثلُ السَّكارى في فَرطٍ وجديهِمُ
يومَ جَرى طائرُ النُحوسِ لهم
فأرغمَ اللهُ حاسِدِيه كِما

كوفَةٌ أن لَم يَكُنْ بها الحكمُ
كاملُ فيه العفافُ والفهمُ
حَمِيرُ كالكلِّ من أبِ يَتَمُّ²
والميتَرُ المَشْرِفي يَلتَدِمُ³
من الصَّلْتِ يبكون كلِّما ظَلَموا
إلا عَدُوا عليه يُتَهَمُ
يُنزَعُ منه القِرطاسُ والقَلَمُ
أرغمَ هودَ القُرودِ إذ رَغَمُوا⁴

1 أصل هذا المثل «أبدأهم بالصراخ يفروا» . ذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه فيبدوه بالشكاية والتجني ليرضى من الآخر بالسكوت . يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه . مجمع الأمثال للميداني 178/1 .

2 القصر في ل : القبر .

3 اللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

4 الهود : اليهود . وهود القُرود : هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، كان محرماً عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت .

فِي سَيِّئِهِمْ يَوْمَ نَابَ خَطْبُهُمْ وَاللَّهُ مِمَّنْ عَصَاهُ يَنْتَقِمُ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ أَمَا لِلنَّاسِ عَهْدٌ يُوفَى وَلَا ذِمَّةٌ
 حَوْلَ عَلَيْنَا ، وَلِيَلْتَأَنَّ لَنَا مِنْ لَدَةِ الْعَيْشِ ، بِسْمَا حَكَمُوا
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُظْهِرُهُ يَقْضِي لِضِرَائِهَا الَّتِي قَسَمُوا
 مَاذَا تُرْجِي مِنْ عَيْشِهَا مُضَرًّا إِنْ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا الَّذِي زَعَمُوا

[ذم ولاية خالد القسري]

وقال ابن حبيب : سمع إسماعيل بن عمّار رجلاً يُشيدُ أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمراً بن
 هُبيرة الفزاريّ لما وليّ العراقَ ويعجب من ولايته إياها ، وكان خالد القسريّ قد وليّ في
 تلك الأيام العراقَ ، فقال إسماعيل : أعجبُ والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن
 هُبيرة ، [وهو] ما لستُ أراه يُعجبُ منه ، ولايةُ خالدِ القسريّ وهو مُخنثٌ دعيّ ابن
 دعيّ ، ثم قال :

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فَرَاةٍ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمَيَّةً بِالْمَشَارِقِ تَنْزِعُ
 فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرًا تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْرَعُ
 بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَاةٍ شَجَّوْهَا فَالآنَ مِنْ قَسْرِ تَضِجُ وَتَجْزَعُ
 فَمَلُوكُ خِنْدِفٍ أَضْرَعُونَا لِلْعِدَا لِلَّهِ دَرٌّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ¹
 كَانُوا كَقَاذِفَةٍ بَيْنَهَا ضَلَّةٌ سَفَهًا وَغَيْرُهُمْ تَرَبُّ وَتُرْضِعُ

[شعره في عينه وقلبه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عبد الله بن
 سعيد بن أسيد العامريّ قال حدّثني محمد بن أنس الأسيديّ قال : جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار ،
 وإذا هو يفتلُ أصابعه متأسِّفًا ، فقلتُ : علامَ هذا التأسُّفُ والتلهُّفُ ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

عَيْنَايَ مَشْوُومَتَانِ وَيَحَهُمَا وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُتَلَيٌّ بِهِمَا
 عَرَفْتَاهُ الْهَوَى لِظْلَمِهِمَا يَا لَيْتَنِي قَبْلَ ذَا عَدِمْتُهُمَا
 هُمَا إِلَى الْحَيْنِ ذَلَّتْنَا وَهَمَا ذَلَّ عَلَيَّ مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهُمَا²
 سَأَعْدِرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ وَمَا سَبَبَ كُلَّ الْبَلَاءِ غَيْرُهُمَا

1 أضرعوننا : أذلونا وأخضعونا .

2 ذل الدمع : هان .

صوت

[شعر للأعشى وشرحه]

[من المتقارب]

فكعبةٌ نجرانَ حتمَّ علي
نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيح
وشاهدنا الجُلَّ والياسميد
وبربطنا دائمٌ مُعمَلٌ
إذا الحبرَاتُ تَلَوَّتْ بهم
فلمَّا التقينا على آيةٍ
لكِ حتى تناخبي بأبوابها
وقيساً همُ خيرُ أربابها
نُ والمُسَمِّعاتُ بقصَّابها¹
فأيُّ الثلاثةِ أزرى بها²
وجرُّوا أسافلَ هُدَّابها³
ومَدَّتْ إليَّ بأسبابها⁴

عروضه من المتقارب . الشعرُ للأعشى يمدحُ بني عبد المَدَانِ الحارثيين من بني الحارث بن كعب . والغناء لحنين ، خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لحناً للمالك . وزعم عمرو بن بانه أنه خفيفٌ ثقيلٌ . وزعم أبو عبد الله الهشامي أن فيه لابن المكِّي خفيفٌ رملٌ بالوسطى أوله :

تنازِعني إذ خلعتُ بُردَها⁵

ومعه باقي الأبيات مخلطةٌ مقدّمةٌ ومؤخّرة . والكعبةُ التي عنها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعةٌ بناها بنو عبد المَدَانِ على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاةً للكعبة ، وسمّوها كعبةَ نَجْرانَ ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ﷺ ودعاهم إلى المُباهلة ، وقيل : بل هي قُبّةٌ من أدمٍ سمّوها الكعبة . وكان إذا نزل بها مستجيراً أُجبر ، أو خائفٌ أمين ، أو طالبُ حاجةٍ قضيت ، أو مسترفدٌ أُعطي ما يريده . والمُسَمِّعاتُ : القيّانُ . والقصَّابُ : أوتار العيدان . وقال الأصمعيّ : قلت لبعض الأعراب : أنشدني شيئاً من شعرك . قال : كنتُ أقول الشعرَ وتركتُه . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنني قلت شعراً وغنّي فيه حكّم الواديّ وسمعتُه فكاد يذهل عقلي . فآليتُ ألا أقول شعراً ، وما حرّك حكّم قصَّابه إلا توهمتُ أن الله عزَّ وجلَّ مُخلدي بها في النَّار .

* * * *

1 في ديوان الأعشى : «وشاهدنا الورد» . والجلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . قُصَّاب : جمع قاصب وهو الزامر . والقصَّاب : الأوتار كما قال أبو عبيدة .

2 البربط : العود . والمزهر : العود أيضاً .

3 الحيريات : ضرب من برود اليمن منمر .

4 آية في ل : آلة .

5 تمام البيت : مفضلة غير جلبابها .

الفهرس

- 5 [173] - أخبار النابغة ونسبه
- 29 [174] - أخبار الحارث بن حلزة ونسبه
- 35 [175] - نسب عمرو بن كلثوم وخبره
- 41 [176] - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل
- 47 [177] - ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره
- 51 [178] - خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا
- 56 [179] - مقتل زهير بن جذيمة العبسي
- 65 [180] - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب
- 85 [181] - خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة
- 88 [182] - [خبر يوم رحرحان]
- 92 [183] - وهذا يوم شعب جيلة
- 113 [184] - [مقتل عمليق وسببه]
- 117 [185] - [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]
- 122 [186] - أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها
- 136 [187] - نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره
- 141 [188] - ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله
- 169 [189] - ذكر الأقيشر وأخباره
- 187 [190] - أخبار ابن الغريزة ونسبه
- 189 [191] - أخبار أعمشى بني تغلب ونسبه
- 192 [192] - أخبار أبي النضير ونسبه
- 198 [193] - أخبار العبلي ونسبه
- 209 [194] - أخبار أبي جلدة ونسبه
- 224 [195] - أخبار علويه ونسبه
- 245 [196] - نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره